













يُوقَى الحَاكِمَةُ سَنَاءُ  
وَمَنْ نَوَتْ الحَاكِمَةَ فَقَدْ  
أَوْقَى خَيْرَ الشَّيْءِ وَمَا  
يُذَكِّرُ إِلَّا أَوْلِيَاءُ

المجلد الخامس

العدد ١٣١٥

بِسْمِ عَادِلٍ لَدُنْ سَمْعٍ  
الْقَوْلُ يَسْمَعُونَ مَا  
أُولَئِكَ لَدُنْ هَدَاهُمْ  
وَأُولَئِكَ هُمُ الْوَالِدُونَ

هَالِ عَلَى الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ إِنَّ لَاسْلَامَ صَوِي « وَمَا » كُنَّا الطَّرِيقَ

٣٠ ربيع الأول سنة ١٣٥٤ هـ برج السرطان سنة ١٣١٣ هـ ش ١ يوليو سنة ١٩٣٥

( فاتحة المجلد الخامس والثلاثين )

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ \*  
وَسُرُّدُونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ  
إِنَّهُ لَا يَنَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ \* وَمَنْ  
يَقْطَعْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الضَّالُّونَ ؟

نرجو أن ندخل هذه السنة في عهد جديد لدعوة القرآن تفتح بها المجلد ٣٥ من  
المجلد ١٣ من تفسير القرآن الحكيم، والطبعة الثالثة من كتاب الوحي المحمدي،  
بعد أن بينا للناس في الستين الخالية جميع الأسباب والعلل التي فقدوا بها هداية دينهم  
وهم ملوكهم وحضارته بالأعراض عن تدبر القرآن وجميع ما يجب عليهم من علم وعمل  
لاستعادة ذلك القرآن، وإقامة الحجج والآيات على ذلك من كتاب الله تعالى وسنة  
رسوله (ص) في بيانه ونفيه، وسنة خلفائه الراشدين في فتوحه وتأسيس دولته وإقامة







أحكامه بين الشعوب المتباينة الاجناس واللغات ، والملل المختلفة الاصول والمذاهب  
والحضارات ، وانا نذكر القراء بخلاصة من ذلك  
أمة موسى وأمة محمد والتوراة والقرآن

في مدة أربعين سنة انقرض جيل من بني اسرائيل في التيه ونشأ جيل آخر انقرض  
الجيل الذي تعبد فرعون واستنذله فقال زعماءه لموسى لما دعاهم إلى دخول الارض  
المقدسة التي كتبها لهم ووعدهم بالغلبة على أهلها إذا دخلوها — ( اذهب أنت  
وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ) ونشأ جيل جديد أخذ التوراة بقوة ودخلوا  
البلاد ففتحها الله لهم كما وعدهم

وفي عشرين سنة أسس محمد رسول الله وخاتم النبيين (ص) بدعوته ديناً كاملاً  
وأمة متحدة ودولة قوية عادلة فقد ربي الجيل الاول من قومه بالقرآن من أول يوم  
فأخرجهم الله بدعوته من الظلمات إلى النور في عشر سنين ، وفتح بهم جزيرة العرب  
في عشر سنين ، وفتح خلفاؤه من بعده ملك كسرى وقيصر في عشرين سنة ، ولم  
ينقض القرن الاول من هجرته إلا وقد تم لامته نشر ممالكهم ودينهم من آخر حدود  
أوربة في الغرب إلى جدار الصين في الشرق ، وأدى لهم فغفور الصين الجزية  
بماذا فعل المسلمون هذه المعجزات في الفتح الديني الاجتماعي السياسي ؟ ما فعلوها  
إلا بأخذهم القرآن بقوة كما أخذ بنو اسرائيل التوراة بقوة ، وكان تأثير كل من الكتابين  
بقدره : التوراة هداية لشعب صغير وعد بوطن صغير إلى أجل معلوم ففتحوه وتمكنوا  
فيه إلى أجل معلوم ، ثم عاقبهم الله بظلمهم وإفسادهم في الأرض فسلط عليهم من شاء من  
عباده إلى أجل آخر ثم سلب ملكهم بغيهم ، والقرآن هداية عامة لجميع الشعوب والقبائل  
وعد أهل بخلافة الأرض كلها ( ١٦٥: ٦ ) وهو الذي جعلكم خلافة في الأرض \* ٢٤ :  
٥٥ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف  
الذين من قبلهم ، وليكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني  
لا يشركون بي شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ) ووفى لهم بما وعدهم  
في أكثر الأرض التي عرفوها ما أقاموا القرآن بإقامة الحق والعدل في الناس والشكر  
لله ، ثم مناب منهم أكثر ما أعطاهم بكفر هذه النعمة ، والفسوق عن هذه الهداية ،  
ومن العجب أن يفعل اليهود اليوم ما لا يفعل العرب لاستعادة مجدهم







ولكن أمة محمد ليسوا شعباً صغيراً كقوم موسى (عليهما الصلاة والسلام) بل أمة دعوته جميع البشر وأمة الإجابة لهم المهتدون بالقرآن وسنته في إقامته، وما وعدهم به هو الأرض كلها لا أرض فلسطين، ودينهم عام باق إلى يوم القيامة لا خاص بموقت محدود

### فتح العرب العالم بالقرآن

إن المسلمين كفروا بهذه النعمة قبل أن يتم لهم فتح أكثر الغرب كما فتحوا أكثر الشرق، بأن استبدلوا بهداية القرآن بدعاسرت اليهم نظريات الباطلة من الأديان والفلسفة والآداب التي كان عليها الشعوب التي فتحوا بلادها بقوة القرآن لا بقوة السيف والسنان، فقوة العرب الحربية كانت دون قوة الرومان، ودون قوة الفرس، اللتين كانتا أقوى دول الأرض، وكان يدين لهما كثير من العرب المجاورين لبلادهما، وكانت أضعف من البربر في شمال أفريقيا ومن القوط (والاسبانيول) في غرب أوربة. ومن الغال في جنوب فرنسا من الغرب، ومن الهنود في الشرق، وناهيك بعد المسافات بين جزيرة العرب وبين هذه الاقطار، وما يزعمه بعض الافرنج ومقلديهم من ان سبب فوز العرب بذلك الفتح السريع الواسع هو ما كان طراً على تلك الدول والامم من الفساد والضعف فهو تعصب ظاهر فمهما تكن عليه تلك الامم من ضعف وفساد فالعرب كانوا افسد وأضعف من كل واحدة منها قبل الاسلام وبه سادتها كلها؛ وما هو الانور القرآن

### عصر الصحابة ومنتهى علمهم

ان الصحابة الكرام (رض) هم الذين اسسوا هذا الملك الاسلامي العظيم العادل الرحيم، فيما يسمى العالم القديم، وكان أكثرهم أميين، لم يكن عندهم كتاب يهتدون به في فتوحهم وحكمهم إلا هذا القرآن وحده، وما كانوا يعتمدون في فهمه إلا على ملكة لغته وما بينه لهم النبي (ص) من هداية القول والفعل وهو سنته وهديه، وتلاهم التابعون الذين حفظوا عنهم القرآن والسنن والآثار فكانوا في الدرجة الثانية لدرجتهم إيماناً وعلماً بالاسلام وعملاً وتخلقاً به وجهاداً في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وفتحاً للإمصار وحكماً بين الناس بالحق والعدل، وقل فيهم الاميون وكثر المتعلمون، ولكن لم يكن في أيديهم كتاب غير القرآن يهتدون به في تزكية أنفسهم وإصلاحها، ويهدون به غيرهم من الشعوب التي كانت تدخل في دين الله أفواجا، ويحذون الاسلام خيراً مما كانوا عليه هدى وصلاً وعلماً وعدلاً وأدباً وفضلاً







### عصر التابعين في هديهم وحكمهم وفتحهم

وبدأ التابعون بكتابة السنن والآثار حفظاً لها من الضياع بيد أنهم لم يتخذوا منها كتاباً مدوناً مع القرآن يدينون الله بالعمل به في عباداتهم الشخصية وفي قضاء حكومتهم وسياستها، بل ظلوا يهتدون بالقرآن وبما كان عليه الصحابة من سنن النبي (ص) وهديه وبسيرة خلفائه الراشدين في الفتح والسياسة والقضاء، ومن ذلك الاجتهاد فيما ليس فيه نص قطعي من القرآن أو سنة عملية لا تختلف فيها الافهام والآراء: اجتهاد الافراد لأنفسهم في الاحكام الشخصية الخاصة، واجتهاد أولي الامر من الأئمة والقضاة وقواد اجيوش في الاحكام العامة، مع مراعاة الشورى فيها، فكانوا على منهاج الصحابة في ذلك كله، وناهيك بكتب عمر وعلي الى عمالها ككتاب عمر الى شرح في القضاء وكتاب علي الى الاشتر النخعي في السياسة العامة

### عصر العلم وما يجب من النظام الواقى من الشقاق فيه

ثم جاء عصر التدوين والتصنيف للحديث والسير والآثار والفقه، وتلا ذلك تدوين اللغة وفنونها ووقائع التاريخ، وترجمة علوم الاوائل بأنواعها كالرياضيات والتاريخ الطبيعى والطب والفلك والفلسفة بأقسامها والتصوف بنوعيه الخلقى والفلسفى، ودرسوا هذه العلوم واجتهدوا فيها ونقدوا ونقحوا وأتموا ما كان ناقصاً وزادوا على من كان قبلهم، عملاً بإرشاد القرآن الى النظر فى آيات السموات والأرض وما بينهما وما خلق الله من شئء وسنن الله فى الأمم كان من سنة العمران وطبيعة الاجتماع فى ذلك أن تصير علوم الدين والدنيا كلها فناً صناعية، وأن يختص بكل جنس منها طوائف من الناس للتوسع والنبوغ فيها، وأن يكون لكل منها تأثير فى أنفس التابعين فيه قد يعارض غيرهم باختلاف الفهم والقصد من العلم وموضوعه وفائدته

وكان يجب فى هذه الحال أن يكون للتعليم نظام جامع يوجه كل علم الى الغاية منه دينية كانت أو عقلية أو عملية كما أرشد اليه القرآن الحكيم، وأن يظل القرآن والاشوة بالرسول (ص) فى تبليغه وتربية الامة كما كان فى عهده وعهد خلفائه الاربعة هدياً إلهياً عملياً لا نزاع فيه ويتره عن أن يكون صناعة بشرية، وفقاً جديلاً يضرب بعضه







بعض لتأييد المذاهب والشيعة الدينية والسياسية ، وأن تكون حرية الدين على أكملها فيما هو من كسب البشر وتنتائج أفكارهم وأفهامهم ، فالاسلام أباح لأهله الحرية في هذه دون ما هو فوقه وفوق كل شيء بشري وهو كلام الله اليقيني القطعي الرواية والدلالة من الدين الذي شرعه الله لهم ، وأما ما كان ظني الرواية او الدلالة منه فقد اباح لهم الاجتهاد فيه بشرط أن لا يكون اختلاف الفهم والرأي سبباً لتفريق الامة والشقاق بين أهلها ، ولو فعلوا ذلك لاتقوا الشقاق والتفريق بما حدث من البدع في الدين ، ولكنهم لم يفعلوا فاضلوا وابتدعوا ، ففترقوا واختلفوا ، وفسقوا وضعفوا .

كان هذا التأليف بين العلوم والفنون والدين أول واجب على الامام الاعظم خليفة المسلمين ولكن خلفاء العباسيين أطلقوا العنان اولا فلم يقوموا بالواجب ثم نصرروا بعض المتفرقين في الدين على بعض بما أضعف سلطان الدين في الهداية ، وفوائد العلوم والفنون في الحضارة ، وأنى للمعتصم العامي وكذا المأمون العالم المتفنن أن يفهم حكمة امير المؤمنين عمر بن الخطاب في عقاب صبيغ المجادل المشكك في القرآن ونفيه من المدينة الى البصرة وأمر الناس بهجره حتى تاب ، تلك جناية فوضى العلم في العرب وجناتها على هداية القرآن بالابتداع والتفريق والاختلاف

### حضارة العرب وتأثير الاسلام فيها

وقد كانت للمسلمين من جملة ذلك كله حضارة عربية زاهية زاهرة ، جمعو فيها بين زينة الدنيا ونعمتها والاستعداد لسعادة الآخرة . ألطف مثلها ما حكى عن امرأة كانت ترفل في حايها وحللها مخضبة الكفين مطرفة البنان وهي تسبح الله تعالى وتذكره ، فرآها رجل ناسك فقال لها ما هذا مع هذا ؟ فقالت

ولله مني جانب لا أضيعه ولله مني والخلاعة جانب

وكانت قيانهم ووصائفهم تحفظ القرآن وتروي الحديث بالأسانيد وتنظم الشعر وتلجنه ، وما كان من إسراف بعضهم وفسوقهم تجدد تجاهه غلو آخريين في دينهم ، وانقطاعهم إلى العبادة وجهاد النفس بحرمانها من الطيبات المباحة

كان أهل بغداد في عهد حضارة العباسيين يتزهون في زوارق دجلة أصيل كل يوم كما يتزهون في هذه الأيام ، فاتفق أن اقترب قاريان منها في أحدهما مغن يعزف على عوده وفي الآخر قاري يرتل سورة التكوير ، فأصت المغنى واستمع للقرآن يتدبره ، حتى إذا بلغ القاري قوله تعالى ( وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ) ضرب بعوده جانب



الزورق فكسره ورماه في دجلة خاشعاً متصدعاً من خشية الله ، فكان ترتيل القرآن  
أفعل في نفسه من توقيح الألحان ، ومثل هذا لا يقع الآن والقوم هم القوم ولكنهم  
ضعفوا في لغتهم ، فلم يبق للقرآن سلطان على قلوبهم ، وغلوا في الدين والحضارة معا  
فحرم السماع بعضهم واتخذ آخرون عبادة

لو جرى المسلمون في حضارتهم وعلومها وفنونها على صراط القرآن بكفالة  
الخلافة لاستفادوا من فلسفة اليونان وتصوف الهند وفنون الروم والفرس وصناعاتهم  
وتنظيم حكومتهم ما يزيدهم إيماناً بالله وبصيرة في دينه وقوة في دولتهم ، واعتدالاً في نعمة  
حضارتهم ولما وجدت بدع النظريات الفلسفية والصوفية وفتن السياسة الشعوية سيلاً إلى  
التفريق بينهم في دينهم وحكمهم ، ولكنهم نكبوا عنه فانقلبوا بعد ألفتهم وتوادم أعداء  
يتنازعون في متشابه القرآن الذي ألف بين قلوب سلفهم بعد تعاديتهم وتقاتلتهم فأصبحوا  
بنعمة الله إخواناً ، وهم يقرؤون قوله عز وجل (٧:٣) فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه  
منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ) الآية وقوله ( ٢ : ٢١٣ ) وأنزل معهم الكتاب بالحق  
ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم  
البيانات بغياً بينهم ) الآية ، وقوله ( ٤ : ٥٨ ) فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول  
إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً )

### سنن الاجتماع في قلب الاسلام لنظم الامم السريع

كل ما جرى للأمة الاسلامية كان مقتضى سنن الاجتماع في دين قلب نظم الامم  
والمثل كلها في اديانها ودنياها في جيل واحد ، ودخل فيه أفواج لا تحصى من كل جنس  
وكل ملة وكل حضارة وكل بدادة قضى شرعه أن يكونوا إخواناً متساوين في جميع  
الحقوق لا يتفاضلون إلا باستعدادهم الشخصي ، فمنهم من فهمه بلغته وثقافته من جاء  
به ، وهم العرب لأنه لم يكن عندهم ما يزاخمه من التقاليد الدينية والعادات المدنية ،  
بل كانوا كما قيل

أنا نبي هوأها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

ومنهم من لم يفهم منه إلا بعض تقاليد الظاهرة ، ولم يره إلا في مرآة ما كان عليه  
قومه من دين وحضارة ، ومنهم من كان مخلصاً فيه ومن كان يكيد له عصية لقومه  
وملك ودوائه التي قضى عليها ، ومن كان يبتغي به الحياة الدنيا وسلطانها وزينتها ، ومن  
كان يريد وجه الله والدار الآخرة

## حكمة الله في ترتيب الخلفاء الاربعة

وكان من حكمة الله ورحمته أن خلف رسول الله (ص) فيه خير أصحابه علماً وحكمة  
 و إخلاصاً ليكونوا قدوة لمن بعدهم وحجة لله عليهم ، وألهم أهل الحل والعقد أن  
 يقدموا أقصرهم فأقصرهم عمراً من حيث لا يدرون لتستفيد الأمة من كل واحد منهم ،  
 وهذه حكمة ألهمني الله تعالى إياها منذ عشرات السنين لم أروها ولم اسمعها من أحد ،  
 يوهاك وجه كل واحد منهم ( رضى الله عنهم أجمعين )

قدموا أبا بكر أولاً فكان في عهده تمحيص الأمة العربية وتصفيها من النفاق  
 والضعف وكان هو أولى الناس بتأييد هذه التصفية في حروب الردة ودعوى المتبئين  
 النبوة وبقايا العصية الجاهلية ، وهو مشهود له بأنه كان أعلم الناس بأنساب العرب  
 وأخلاقهم وأحوالهم فتم ذلك بسياسته على أكمل وجه

وخلفه عمر فكان في عهده فتح الأمصار والقضاء على ملك كسرى برمته ، وملك  
 قيصر الروم في الشرق كله ، والاستيلاء على الأمم والمال الكثيرة وخضوعها للإسلام  
 في دينه وحكمه أو في حكمه فقط ، وقد ظهر لجميع الأمم في عهده ومن بعده أنه خير  
 من قام بهذا الفتح ونظمه علماً وعقلاً وعدلاً وقوة وإخلاصاً

فبحكمة أبي بكر صارت الأمة العربية أمة واحدة موحدة مشقة ، وبحكمة عمر  
 صارت أمة فاتحة حاكمة عادلة مصلحة للبشر ، ولما كان من سنن الاجتماع أن يظهر  
 في هذه الدولة العربية ما هو كامن في بعض أهلها من الاستعداد للفتن والمطامع ،  
 وما ينفخ في ضرمة خصومها الذين قضت على ملكهم ، ومن المصلحة أن يظهر حكم  
 الإسلام في إخماده بالحق والعدل ، ألهم الله أهل الشورى أن يقدموا عثمان على علي ،  
 وجل عتبة الأول من بني أمية الطامعين في الملك ، وجل عتبة الثاني من بني هاشم  
 الذين يغلب على أكثرهم الزهد في الدنيا ، وقد كان بينهما في الجاهلية ما كان من  
 (التنازع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم) الذي ألف المقرئ في مصنفها خاصاً بهذا الاسم  
 كان عثمان على عدله وفضله شديد الحياء لين العريكة ، فغلبه قومه على وصية  
 عمر السياسي الحكيم له بأن لا يحمل أبناء أبي معيط على رقاب الناس ، فركبوا الرقاب  
 من غير أن يحملهم هو عليها ، فنجمت رموس الفتنة في عهده وكان كارهاً لها ، إلا  
 أنه لم يستطع كبج جهاتها ، فكان شهيد أول ثورة على ولي الأمر في الدولة العربية ،  
 وكان هذا أشأم سنة في الحكم الإسلامي



ثم جاء علي ونار الفتنة مشتعلة وكان أولى إمام في الامة أن يقاومها علماً وعدلاً وإشارة للحق على الخلق ، وللهدي على الهوى ، ولو لم يكن لها في تأخر زمنه وقد أطال الله عمره إلا هذه الحكمة والرحمة لكفى ، فهو قد سن من سنن الحق والعدل في قتال البغاة والخارجين على حكم الاسلام ما لم يكن يرجى من غيره مثله ، وخيرها اتقاء تكفير أهل القبلة بخطأ الاجتهاد كما كان هذا التكفير شر ما فعلوه ، فالإيمان والكفر إنما يكونان بالقطع لا بالاجتهاد

وقد بينا من قبل أن التنازع في الامامة بين شيعة علي وجمهور الامة قد كان تنازعا بين ما يسمى في هذا العصر السلطة الارستقراطية أي حكم الأشراف ، والسلطة الديمقراطية أي حكم الامة الشوري الانتخابي ، ولذلك كان أشد أنصار الشيعة من بعده الأعاجم الوارثين للعبودية للملوك ، وأن علياً لو ولي الأمر من أول الأمر بسبب قربه من النبي (ص) أو بحجة وصيته له ولذريته من فاطمة بنت الرسول (ص) لكانت فتنة عبادته وعبادة آله ودعوى عصمتهم قضت على توحيد الاسلام من أول وهلة إن ثبت

استحالت خلافة النبوة بعد علي والحسن (ع.م) ملكاً عضواً كما ورد وهو من سنن الاجتماع ، وكان بنو أمية وقد صفا لهم الملك من أقدر قریش على استمرار الفتح ، وتوسيع دائرة الدولة وعظمتها ، ولكن تحويل زعيمهم الأول (معاوية) لحكم الاسلام الشوري (الديمقراطي) إلى عصية النسب (الارستقراطية) كان سنة سيئة دائمة قضت على دولتهم قبل أن يتم لها قرن كامل ، وهم الذين أحدثوا بسياساتهم الجنسية فتنة الشعوبية فكانت عاقبة هذه العصية أن آل الحكم إلى الأعاجم ، وصار قائماً على قوة العصية دون أصل الشرع ، وزال سلطان الامامة الدينية الذي تخضع الامة له بوازع العقيدة ، فصار الحكم الاسلامي عسكرياً مذهبياً لا ارستقراطياً ولا ديمقراطياً هذه جملة أسباب ترك الدول الاسلامية لهداية القرآن وهداية السنة وجماعة الامة ولو ظلت الامة متبعة لها لا كرهت الدولة على هذا الاتباع في أي وقت تجتمع به كلمتها ، ولكن جمهور الامة تحولوا عن هذا الاتباع بفساد التعليم وتقصير العلماء في بيانه والدعوة إليه والعمل به ومطالبة الحكومات بالتزام هدايته بل إلزامهم إياها بنظام تكفله الامة ، وتيسير السبل لذلك بجعل لغته ملكة راسخة في الامة بتعليلها بالعمل كما كان عليه أهل العصر الأول ، ولم يفعلوا شيئاً من هذا وهو الذي اضاع حكم القرآن من ناحية السلطان

## إضاعة علماء النقل والعقل للقرآن

تقدم أن سنة العمران اقتضت الاختصاص في العلوم وانفراد طوائف تعنى بكل علم منها بمقتضى جعلها من الصناعات فعلماء الرواية عتوا بتدوين ما نقلوه عن التابعين وبعض الصحابة من تفسير القرآن وأكثره مراسيل لا تصح، واسرائيليات يجب نبد ما تصح روايته منها بله ما لا تصح، وعنى الفقهاء بآيات الأحكام دون غيرها، والمقلدون منهم حاولوا جعلها حجة لمذاهبهم على ما خالفها ولو بالتأويل، وكذلك علماء الكلام حتى أنهم يفسرونه بنظرياتهم الفلسفية واصطلاحاتهم المخالفة لأصل اللغة، ويوجبون تأويل كثير من ظواهره لدعواهم أن العقل يثبتها دون اعتقاد الظاهر وإن وافقته الأحاديث الصحيحة، ويعنون بالعقل الذي خاطبه القرآن بنظرياتهم الفلسفية، وعلماء الفنون العربية يجعلون أكبر همهم من تفسيره إعرابه وبيان نكت البلاغة في آياته، وكل ذلك شاغل عن تدبره وهدايته، وكان الواجب وضع كل شيء من ذلك في كتب الفن الخاصة به

ثم استقر الرأي العام عند جماهير المسلمين بعموم التقليد على أن عقائد الاسلام يجب أخذها من كتب الكلام، وأحكامه من كتب الفقه المذهبية، وآدابه وأخلاقه من كتب التصوف، وبهذا أمست فائدة القرآن محصورة في التبرك به والتعبد بتلاوة ألفاظه - ندبا لا وجوبا - بغير فهم له ولا عمل به، بل لما ورد من أن لتاليه بكل حرف عشر حسنات، وأنه لا يفترض على مسلم أن يعلم أو يقرأ منه شيئا إلا ما تصح به صلاته كسورة الفاتحة، بل هبط بكثير منهم الجهل بالقرآن والاعراض عن القرآن والكفر بالقرآن ان خرموا أخذ الدين من القرآن حتى كتب بعض من يسمونهم كبار العلماء حديثا أن الإيمان بظاهر القرآن في بعض آيات الصفات هو الكفر الصراح أي يخرج من الملة الذي يخلف صاحبه في النار؟ (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا \* إِنَّ الَّذِينَ أُرْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ - أَفَلَمْ يَذْكُرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ \* أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ)





## القرآن لا تغني غناه جميع كتب الاسلام

كلا، فوفق القرآن إن جميع ما كتبه علماء الكلام لا يغني عن سورة صغيرة ولا عن آية من آيات القرآن في بيان أصل الدين الذي هو التوحيد فضلاً عن جميع عقائد الاسلام، وإن جميع ما كتب المفسرون من المحدثين والمتكلمين والفقهاء والصوفية والبلغاء في تفسير القرآن وفي الفقه والتصوف لا يغني عن تدبر القرآن نفسه في هداية الافراد ولا الجماعات في انفسها، ولا الأمم والحكومات في حضارتها وسياستها، وإنه ما سلب الله أكثر المسلمين ملكهم وعزهم وقوتهم إلا عقوبة على إعراضهم عن القرآن، والاستغناء عنه بكتب للبشر ما أنزل الله بها من سلطان، يصدق عليهم به ما قاله في الذين من قبلهم (٣ : ١٨٧) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ

أطلت في بيان اسباب اعراض المسلمين عما كان عليه سلفهم الصالح من هدى القرآن بغير قصد، وبغير شعور باتى أطلت، وإنما كنت أريد أن أقول إن بعض علماء التقليد الرسميين ناصبوني العداوة في الدعوة الى القرآن والسنة وحضارة الاسلام وناهضوا المنار بدعاية سرية وجهرية في داخل الأزهر وخارجه بشبهة دعوى الاجتهاد الذي أقفل بابه على انفسهم أمثالهم من المقلدين الجاهلين، وإنتى على تفنيدي لشبهتهم بالحجج الناهضة في محاورات المصلح والمقلد التي نشرتها في المجلدين الثالث والرابع من المنار في سنتي ١٣١٧ و ١٣١٨ وفي مقالات وفتاوى كثيرة بعدها في عشرات المجلدات - كنت أحاول إقناعهم بأن هداية القرآن لا يستغنى عنها مسلم مجتهد ولا مقلد لأنه حبل الله الذي أمر عباده بالاعتصام به، فكل من ترك هذا الاعتصام فقد قطع الصلة بينه وبين ربه في الدين، والرحمة الخاصة بالأمميين، وإن ما أدعوا اليه من استقلال الفهم وقصد الاهتداء بالكتاب والسنة لا يستلزم دعوى ما يسمى الاجتهاد المطلق، ولم يفهم مرادي هذا إلا أفراد متفرقون في الاقطار، وقبلة كثيرون على إطلاقه حتى بمعنى الاجتهاد، وكاد الجليل ينقضي وهو يدور بين بعض مسقتلي الفهم، ولم يظهر للدعوة المرادة أثر عام ينتشر في بلاد الاسلام، حتى كان من تأثير كتاب (الوحي المحمدي) في هذين العامين ما كان،





وهو ما نوهنا به في تصدير الطبعة الثالثة التي نشرناها في هذا الشهر، وصرحنا فيه بأنه تحدث لنا به أمل جديد في حياة المسلمين المليئة لا تعرف حقيقتها إلا بتجربة عملية جديدة، وهو ما عز منا عليه في هذه السنة

### الدعوة الجديدة هي أساس الإصلاح كله

سيكون المنار منذ هذا العام لسان جماعة الدعوة إلى الاسلام وجمع كلمة المسلمين أنشئت لتخلف جماعة الدعوة والارشاد في أعلى مقصديها أو فيما عدا التعليم الاسلامي المدرسي منه الذي ضاق زمان هذا العاجز عن السعي له وتولي النهوض به فتركه لمن بعده التوفيق الالهي له من الذين يفقهون دعوة القرآن وتوحيدوه ووحدة أهله وجماعته، ولا يصلح له غيرهم

لما ألفنا جماعة الدعوة والارشاد وأنشأنا مدرستها وجدنا عقلاء المسلمين وأذكياهم في مصر واستانبول وأمصار الهند الاسلامية الكبرى وبغداد وسورية متفقين على أنها أعظم عمل إسلامي لا يرجى الاصلاح المنشود بدونه؛ حتى إن كبار رجال الترك أكبروه وعلوا أنه يحيي الدولة العثمانية حياة جديدة إذا هي كفلته ونفذته على الوجه الذي اقترحه عليها وقررت الجمعية التي أسست له من أذكى رجال الدولة، ولكن زعماء جمعية الاتحاد والترقي الملاحدة منهم كانوا قد أجمعوا أمرهم على اسقاط دولة آل عثمان وخلافتهم وإقامة دولة تركية لادينية على أنقاضها، ولولا ذلك لما منعوا الحكومة من تنفيذه بعد أن صدر به أمر مجلس الوزراء وقرر أن تكون نفقات المدرسة السنوية في ميزانية وزارة الأوقاف

وكان الأمير عباس حلي باشا خديو مصر علم بالامر وأكبره فلما عدت من استانبول والامر مقرر رسميا اقنعني بأنه هو يكفل مساعدتي على تنفيذه في مصر وبأن الدولة العثمانية إن ارادت تنفيذه في استانبول فإن من السهل أن يكون في كل من العاصمتين مدرسة تابعة لمقاصد الجمعية ومنهجها، ففعلت وصدق هو وعده، وفتحت المدرسة أبوابها لجميع الشعوب الاسلامية، وتعاون على نفقاتها ديوان الاوقاف الخيرية العامة ومصلحة الاوقاف (الملكية) الخاصة، حتى اذا ما اشتدت سيطرة الانكليز على مصر في عهد الخرب الكبرى كادوا للمدرسة كيدهم واوعز عميدهم إلى وزير الاوقاف (إبراهيم قنقني باشا) وكان من ضائعه ففعلت الاعانة التي كانت قررت لمدرسة الدعوة والارشاد، وتعذر عودته الخديو إلى مصر فاضطرت بعد صبر جميل إلى تعطيلها





وجملة القول أنني على هذه التجارب وما هو أوجع منها وأذع من أمر مشترك المنار، وعلى ما أقر به من عجزى عن النهوض بالأعمال المالية الخاصة والعامة بالأولى، وعلى دخولي في سن الشيخوخة وضعفها، لم أزد إلا ثقة ورجاء بنجاح سعي لأهم أصول الإصلاح الإسلامي وتجديد أمر الدين بما يظهره الله به على الدين كله، حتى تعم هدايته وحضارته جميع الأمم؛ ولم أياس من قيام طائفة من المسلمين بذلك تصديقاً بالبشارة رسول الله (ص) بأنه لا يزال في أمته طائفة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة. رواه الشيخان في الصحيحين وغيرهما بالفاظ من عدة طرق، وهذه الطائفة كانت في القرون الأخيرة قليلة متفرقة، واني منذ سنتين أكتب عناوين خيار الرجال المتفرقين في الاقطار الذين أرجو أن يكونوا من أفرادها على اختلاف ألقابهم وصفاتهم وأعمالهم لمخاطبتهم في الدعوة إلى العمل، وأرجو من كل من يرى من نفسه ارتياحاً إلى التعاون معهم على هذا التجديد والجهاد أن يكتب إلينا عنوانه وما هو مستعد له من العمل معهم إلى أن تنشر دعوتهم الرسمية

وأهم ما يرجى من الخير لامة محمد (ص) في هذا العصر الذي تقارب فيه البشر بعضهم من بعض فهو في تعارف هذه الطائفة القوامه على أمر الله وتعاونها على نشر الدعوة وجمع كلمة الامة بعد وضع النظام لمركز الوحدة الذي يرجى أن تثق به فهي لا ينقصها إلا هذا، وقد طال تفكيري فيه، وعسى أن ابشرها قريباً بما يسر هأمنه،

وأعجل بحمد الله تعالى أن تجدد لي على رأس هذه السنة ما كان لي ولشيخنا الاستاذ الامام (قدس الله روحه) من الرجاء في مركز الأزهر - وهو ما يعبر عنه في عرف عصرنا بشخصيته المعنوية - وقد قضى هو يائساً مما كان يحاول فيه، وظللت أجاهد في سبيل إصلاحه على ما عرض من أسباب اليأس منه التي تفاقم أمرها أخيراً وكتبت فيها بعض مقالات في المقطم ثم (كتاب المنار والأزهر) وما هذا إلا لاني لم أياس، وهذا الرجاء الذي تجددت بسببه أمره إلى الشيخ محمد مصطفى المراغي عظيم أشرت إليه في تصدير الطبعة الثالثة من كتاب الوحي المحمدي بعد أن كتبت عنه في الجزء الماضي من المنار ما كتبت كان الأزهر كنزاً خفياً أو جوهراً مجهولاً عند أهله وحكومته وعقلاء بلده لم يفتن أحد قبل الاستاذ الامام لا مكان لإصلاح العالم الإسلامي كله به، والاستيلاء على زعامة جميع الشعوب الإسلامية في الدين والأدب واللغة بإصلاح التعليم العام فيه، ولكن تعليم الامام رحمه الله وأفكاره هما الذان أحدثا هذا الرجاء في طائفة من شيوخه، والاستعداد في جمهور طلابه، ولم يبق إلا العمل الجهد والله الحمد





# بسم الله الرحمن الرحيم

## الجزء الثالث عشر

من تفسير المنار

(٥٣) وَمَا أُبْرَىٰ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَا مَارَةً بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ

رَبِّي ۚ إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ

هذه الآية تنمى إقرار امرأة العزيز على الراجح المختار وقيل من قول يوسف (ع.م) ويرده عطفه على إقرارها وعطف أمر الملك بالأتيان به من السجن عليه ، وقد جعلت أول الجزء ، لأن تقسيم القرآن إلى الأجزاء والأحزاب مراعى به مقادير الكلم العددية دون المعاني ، وهذا لا يمنع من يجعل ورده من القرآن جزءاً في كل يوم ليختمه في كل شهر أن يزيد أو ينقص في القراءة آية أو أكثر ليقف عند ما يتم به سياق سابق أو معنى فيه ، ثم يبدأ بعده بسياق آخر أو معنى مستقل منه في ورد اليوم الذي بعده

تقدم أن قولها (ذلك ليعلم أي لم أخنه بالغيب) يجوز أن يراد به يوسف (ع.م) لأن كلامها في جواب الملك عما سألتها هي وسائر النسوة عن خطبهن في مراودته. ويجوز أن تعني به زوجها للعلم به من قرينة الحال وإن لم يذكر ، والأول أظهر ، وهذه الآية في معنى الاستدراك على ذلك النفي فهي تقول

٥٣ ﴿ وَمَا أُبْرَىٰ نَفْسِي ﴾ في دعوى عدم خيائته بالغيب من كل سوء

وعيب غير هذه الخيانة وما عرف أمره ﴿ إِنْ النَّفْسَ لَا مَارَةً بِالسُّوءِ ﴾ أي النفس البشرية لكثرة الأمر بعمل السوء بداعي الشهوات البدنية والاهواء الغضبية،





ونزغات الوسوسة الشيطانية، ومنتها التحريض على سجن يوسف وسوء النية فيه، وكانت مما بسوءه ويسوء الزوج من ناجيتين مختلفتين، وعن ابن كثير ونافع قراءة (بالسوء)

بشديد الواو على لغة من يقلب الهمزة واوا ويدغمها في الواو (إلا ما رحم ربي) أي إلا نفسا رحمها ربي رحمة خاصة فصيرف عنها السوء والفحشاء بعصمته كنفس يوسف. هذا هو المعنى المتبادر من سياق القصة، ويجوز في الجملة نفسها أن يجعل الاستثناء منقطعا بمعنى لكن رحمة ربي هي التي قد تكفها عن الأمر بالسوء أو تحفظها من إجابة دعوته وطاعة أمره، وأن تكون (ما) زمانية، والمعنى أن من شأن النفس أن تكون أماراة بالسوء في عامة الاوقات إلا وقت رحمة ربي الذي يوفقها

فيه لمراقبته والاعمال الصالحة التي ترضيه (إن ربي غفور رحيم) تعليل للاستثناء بأن مقتضى مغفرته ورحمته تعالى أن يصرف بعض النفس عن الأمر بالسوء أو عن طاعتها فيه أو يصرف السوء نفسه عنها ويحول بينه وبينها، وأن يغفر لمن يطيع أمرها فيقترب السوء ثم يتوب إليه منه

وقد أخذ علماء النفس وصفاتها من آيات القرآن أن أنفس البشر على ثلاث درجات أدناها الامارة بالسوء، وأعلىها النفس المطمئة بذكر الله الراضية منه المرضية عنده، وهي التي يخاطبها تعالى في آخر سورة الفجر بقوله (يا أيها النفس المطمئة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) الخ، ويدينها التي سماها في أول سورة القيامة بالنفس اللوامة، وهي التي تلوم صاحبها على كل ذنب وتقصير في طاعة الله ومعرفته، ومن التقصير في طاعته التقصير في حقوق عباده الشرعية ولا سيما أولى القربى والجيران والمحتاجين إلى البر، وكذا الحقوق العامة للملة والأمة. وبعضهم يجعل النفس الراضية والنفس المرضية قسمين من أقسام النفس المطمئة، ولفقهاء الصوفية تفصيل لهذه الأنفس وتربيته فيها علم يزيد المطلع عليه بصيرة في دينه وتربية نفسه ونفس غيره من ولد وتلميذ ومريد ومعرفة ربه

كان الفصل الاول من قصة يوسف (ع. م) في نشأته وما وقع بينه وبين أخوته وانتهى ببيعه بثمن بخس، والفصل الثاني حياته الاولى في مصر وهو قسمان





أحدهما في بيت عزيز مصر وثانيهما في السجن ، وكانت هذه الاطوار كلها أطوار  
يؤمن ويشدائد ، رباه الله تعالى بها أكل تربية ، وجعله خير أسوة لأفراد الناس  
في عفته ونزاهته وصديقه وأمانته وخير أهل لما بعدهما من إدارة ملك مصر ، وإتمام  
الهمة عليه وعلى آل يعقوب كما تنبأ أجود من قبل ،

( الفصل الثالث من قصة يوسف ، توليته حكومة مصر )  
وما وقع لآخوته معه فيها

( ٥٤ ) وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ اَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي ، فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ  
إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ( ٥٥ ) قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ  
الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ )

( ٥٤ ) وقال للملك : بعد انتهاء التحقيق في أمر النسوة وظهور براءة يوسف  
فيه من كل سوء وهو ما اشترطه في قبول الدعوة أول مرة ( ٥٤ ) ائْتُونِي بِهِ اَسْتَخْلِصُهُ  
لِنَفْسِي ( ٥٥ ) أي أحضروه من السجن الي وقدوفينا له بما اشترطه لمجيئه - أجعله خالصاً  
لنفسى لا يشاركني أحد فيه من وزير يدخل يفتنا في إدارة الملك ولا حاجب يبلغه  
عني ويبلغني عنه - فأتوه به ( ٥٥ ) فلما كلمه ( ٥٥ ) وسمع ما أجابه به ( ٥٥ ) قال إنك اليوم  
لدينا مكين أمين ( ٥٥ ) أي إنك في هذا الزمن لدى حضرتنا الملكية الخاصة ذو مكانة  
ثابتة ومنزلة عالية ، وأمانة تامة موثوق بها ، فأنت مفوض في إدارة ملكنا غير  
منازع في تصرفك ولا متهم في أمانتك ، وفي الآية تنبيه إلى تأثير الكلام في إظهار  
معارف الانسان وإرادته وأخلاقه وإقناع مخاطبه بما يريد منه

أخذ الملك استحقاقه لهذه الثقة من فحوى كلامه وما كان من أمانته في بيت وزيره  
العزيز على ماله وعرضه وحسن تصرفه في كل ذلك ، ومن سيرته الحسنة في السجن ،  
وما علم عنه فيه من علم وفهم ، وتأويل الرؤيا بما يعبر عن معناها ، ويرشد إلى ما يجب





من العمل فيما تدل عليه من التدبير، ثم ما كان من حرصه على إظهار شرفه وكرامته في مسألة النسوة، فداته جملة هذه الأعمال والاحوال والاخلاق على ما استحق به تلك المكانة والامانة، وهذا يدل على أن ذلك الملك كان وافر العقل، محبا للعدل، بصيرا بمزايا الرجال وهذه الاخيرة يقل في الملوك من يقدرها قدرها، ويعطيها حقها، فلا تصرفه عنها الاحوال العارضة ككون الرجل غريبا أو اجنبيا أو فقيرا أو مملوكا أيضا، وما قام ملك ولا سقط الا بهم، وقد قال عمر اذ ظهر له خطؤه في تقدير رجل: رحم الله أبا بكر كان أعرف مني الرجال

والظاهر أن الملك كله مشافهة بدون ترجمان بينهما، وكذلك كان يوسف يكلم العزيز وامرأته من أول يوم وكذا كلم النسوة اللاتي دعتهن امرأة العزيز لرؤيته عندها وصاحبيه في السجن بالاولى، وذلك أن لغة يوسف كانت فيما يظهر لغة جده ابراهيم وأولاده وأحفاده وهي لغة حكام وطنه السكديانيين وكانوا من العرب القحطانيين، ثم تفرعت من هذه العربية الاسماعيلية فالمصرية والعبرانية والسريانية والفينيقية، وكان ملوك مصر وكبراء حكامها في ذلك العهد من أولئك العرب أيضا وهم الذين يسمونهم الرعاة (الهكسوس) وفي التواريخ العربية أن ملك مصر هذا كان يسمى الوليد بن الريان، ولو لا هذا وذاك لكان المتبادر أن يوسف تعلم لغة مصر في هذه المدة الطويلة في مصر وكله ملكها بها، على أن العربية أصيلة وعريقة في مصر لغة وأدبا، وعرقا ونسبا، وانما كان الفراعنة وأشياعهم يعدون ملوك الرعاة العرب غرباء وأجانب لعصبية الملك، وقد أثبت المرحوم أحمد باشا كمال العالم الاثري أن الهيرغليفية ممزوجة بالعربية المصرية من قبلهم، ولوعرفت العربية القحطانية القديمة لجاز ان تكون هي أصلها، ويرى بعض علماء الغرب أن اللغة العربية ما غلبت بعد الاسلام وثبتت إلا في بلاد الشعوب التي هي عربية الاصل أو للعرب فيها عرق واشج، ونسب راسخ

••• قال اجعلني على خزائن الارض ••• هذا جواب سؤال تقديره ماذا قال يوسف للملك وقد سمع منه ما سمع ورأى من تأثير لقائه وكلامه في نفسه ما رأى؟ أي ولتي خزائن أرضك كلها أكن المشرف عليها لا تمكن من تنفيذ ما أولته من رؤياك بنفسني





فيكون متقدماً للبلاد والعباد من المجاعة والمراد بالخزائن - وهي جمع خزانة - الأهرام التي تخزن فيها غلات الأرض أو ما يشمل كل مال (إني حفيظ عليم) أي شديد الحفظ لما يخزن فيها بحيث لا يضيع منه شيء أو يوضع في غير موضعه، راسخ العلم بطرق حفظه ووجوه تصرفه والانتفاع به، فهو قد طلب أهم ما تتوقف عليه إدارة الملك وسياسته وتنمية العمران وإقامة العدل فيه، فكان مضطراً إلى تزكية نفسه بالحقوق فيه فالجملته تعاليل لما قبلها، ونحن نرى دهشة الأفرنج في كل بلاد يستولون أو يسيطرون عليها، يعنون بآديء ذي بدء بالاستيلاء على إدارة الأمور المالية فيها، لأنه يتوقف على تنظيمها تنظيم غيرها من أمور الدولة، وبهذا ترسخ أقدامهم فيها، فإذا لم يسرفوا في تحويل الثروة إلى أنفسهم وأبناء جلدتهم فضلمهم أهل البلاد على أنفسهم أي على ملوكهم وحكامهم، أو يهديهم الله للعدل وحسن الإدارة فتعود الأمة إلى تفضيلهم بعد الثقة بها. وأما الجاهلون الظالمون فأنهم يسرفون في إفساد النظام المالي واحتكار الثروة لأنفسهم حتى يمتصهم أبناء جلدتهم ويفضلوا الأجنبي عليهم، وما أضاع ملك المسلمين وغيرهم من الشرقيين في هذه القرون الأخيرة إلا الجهل والتقصير في إدارة النظام المالي وتدير الثروة وحفظها سواء في ذلك الدولة والأمة

(٥٦) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ، نُنْصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ  
(٥٧) وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ

هذا بيان لسنة الله تعالى في تأسيس الرياسة الفضلى والحكومات المثل في الأمم، ونيل الأفراد المناصب العالية فيها وإن كان أهلها غرباء عنها وافدين عليها. يقول تعالى

(٥٦) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ أي ومثل هذا التمكين الذي سبق



بيان أسبابه ومقدماته مكننا ليوسف في أرض مصر وقد جيء به مملوكاً فأصبح مالِكاً ، فهذا التشبيه في « كذلك » ينبيء عن علم غزير هو موضع العبرة في القصة ، وهو إعداده تعالى إياه بما تحلى به من الصبر واحتمال الشدائد والعفة والامانة والصدق .  
 ﴿ نصيب برحمتنا من نشاء ﴾ يقال أصابه الشيء وأصابه الله به ، أي نخص برحمتنا من عطاء الملك والرياسة والغنى وغير ذلك من نعم الدنيا من نشاء من عبادنا بمقتضى سنتنا في الاسباب الكسبية ، وموافقة الاحداث الكونية والاجتماعية .  
 ﴿ ولا نضيع أجر المحسنين ﴾ في أعمالهم بشكر هذه الرحمة والنعم بأن نأجرهم عليها في الدنيا بالزيادة والهناءة فيها ، فإن نعم الدنيا مبدولة لكل من يطلبها من طرقها وأسبابها ، ولكن المحسنين لا تصرف فيها هم الذين لا يضيع عليهم شيء من أجرها في الدنيا كالذي يصيب السيئين من المنغصات ، وغوائل الاسراف والبطر والخيلاء ، وإثارة أضغان المظلومين والحساد ، والخوف على النعم منهم ومن غيرهم . وقلم يصيب المحسنين الشاكرين شيء من هذا . وما عسى أن يصيبهم منه يكون عليهم أخف ، ويكونون عليه أصبر ، ولا تدنس هنا قوله تعالى في يوسف ( ٢٢ ) ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين ) وقوله حكاية عن صاحب السجن :  
 ( ٣٦ إنا نراك من المحسنين )

٥٧ ﴿ ولا أجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ هذه جملة مؤكدة بالقسم مثبتة أن أجر الآخرة وهو نعيمها الذي يكون فيها للجامعين بين الايمان والتقوى خير لهم من أجر الدنيا لاهلها وإن بلغوا سلطان الملك ومتاعه ، ليكون المؤمنون المتقون المحرومون من هذا النعيم راضين عن الله عز وجل ، موقنين بأن ما أعد لهم في الآخرة يصغر ويتضاءل تجاهه كل ما في الدنيا من مال وجاه وزينة وشهوات ولا شك أن الجامعين بين السعادتين أكمل ، وفضل الله عليهم أعظم ، اذا هم أعطوا النعمة حقها من الشكر ، قال فقراء المهاجرين ( رض ) للنبي ﷺ يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم قال « ماذا ؟ » قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون كما نتصدق ويعتقون ولا نعتق .





النار : ج ١ م ٣٥ مجي. إخوة يوسف مصر واكرامه اياهم وهم مجهلون ١٩

قال ﷺ « أفلا اعلمكم شيئا تدركون به من قد سبقكم وتسبقون به من بعدكم ، ولا يكون احد افضل منكم ، الا من صنع مثل ما صنعتهم ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال « تسبحون وتكبرون وتحمدون الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة » رواه الشيخان عن ابي صالح عن ابي هريرة قال ابو صالح فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله ﷺ فقالوا سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله ، فقال رسول الله ﷺ « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء »

( ٥٨ ) وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ قَدْ خَلَوْا عَلَيْهِ فَمَرَقَهُمْ وَهُمْ لَهُ

مُنْكَرُونَ ( ٥٩ ) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَنْ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمُ  
أَلَا تَرُونَنِي أُنْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ؟ ( ٦٠ ) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي  
بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ( ٦١ ) قَالُوا سَنُرَوِّدُ عَنْهُ أَبَاهُ  
وإِنَّا لَفَاعِلُونَ ( ٦٢ ) وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ  
لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

جاء في كتب التاريخ وأقدمها سفر التكوين أن يوسف عليه السلام غني أشد  
الغنى بما أجمله من ذكر التدبير في تأويل رؤيا الملك فبنى الأهرام العظيمة وخزن فيها  
الحبوب التي استكثر منها مدة سني الخصب السبع الاولى فلما جاءت السبع الشداد  
وعم القحط مصر وغيرها من الاقطار القريبة منها وأقربها اليها فلسطين من بلاد  
الشام واشتهر ما فعله يوسف ( ع. م ) في مصر وما فيها من الخير وحسن تصرف  
يوسف في بيع الغلال ، أمر يعقوب ( ع. م ) اولاده بأن يرحلوا الى مصر ويأخذوا  
معهم ما يوجد في بلادهم من بضاعة ونقد فضة ويشتروا به قمحا لان المجاعة أوشكت  
أن تقضي عليهم ، والمقصود من العبرة الدينية والادبية في هذه الاخبار هو ما وقع  
بين يوسف وإخوته في مصر فاقصر عليه في التزليل وهو





(٥٨) وجاء إخوة يوسف (أي جاءوا مصر بمطارون) فدخلوا عليه (لأن أسر الميرة وشراء الغلال بيده ورهن أسره) فمرفهم (إذ دخلوا بلا تردد ولا طول تأمل كما يفهم من العطف بالغاء إذ كان عددهم وشككهم وزيتهم محفوظاً في خياله لنشوئه بينهم، وما قاساه منهم في آخر عهده بهم وكان في سن السادسة عشرة على رواية سفر التكوين وقد استكثرناها، ويجوز أن يكون هنالك سبب آخر لسرعة هذه المعرفة كأن يكون عمال يوسف وعبيده لا يدخلون عليه إلا من عرفوا أمرهم وعرضهم عليه ونالوا إذنه بادخالهم) وهم له منكرون (أي والحال أنهم كانوا إذ دخلوا عليه منكرين له لتغير شكله بالدخول في سن الكهولة، ولما كان عليه من عظمة الملك وزيه وشارته وما كان من حاجتهم كغيرهم لبره وعطفه، وكل ذلك مما يحول دون إطالة النظر اليه والتثبت من معارف وجهه، وكانوا يظنون أنه هلك أو طوحت به طوايح الزمن بالانتقال من سيد إلى آخر، فلو فطنوا لبعض ملامحه وتذكروه بها اعدوها مما يتشابه فيه بعض الناس ببعض عادة، ولم يخطر ببالهم أن اخاهم وصل إلى هذه العظمة

(٥٩) فلما جهزهم بجهازهم (أي أصلحهم بعدتهم وهي عادة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرين وأوقروا كائبهم بما جاؤا له من الميرة اه من الكشف قال الفيومي في المصباح المنير: جهاز السفر أهبة وما يحتاج إليه في قطع المسافة بالفتح وبه قرأ السبعة (وذكر الآية) والمكسر لغة قليلة، وجهاز العروس واليت باللغتين أيضاً يقال جهزها أهلها بالتثقيل، وجهاز المسافر بالتثليل أيضاً. هيأت له جهازه وما يحتاج إليه في قطع المسافة اه فتجهيز يوسف إياهم بالجهاز اللائق بهم الكافي لهم هو غير الميرة التي جاؤا لامتيازها أي الطعام الذي جاؤا لشرائه، وهو يدل على أنهم أخذوا الميرة أيضاً فهو من إيجاز القرآن الدقيق، وجعله الزمخشري شاملاً له بالمعنى لاستلزامه إياه. وقد نقل البيضاوي عبارته ثم قال والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كمدة السفر وما يحمل من بلد إلى آخر وما تزف به المرأة إلى زوجها اه فجعل الميرة وغيرها من البضائع داخلة في معنى الجهاز وليس كذلك في أصل



اللافة . ﴿ قال اثتوني بأخ لكم من أبيكم ﴾ يريد شقيقه بنيامين ، وفي سفر التكوين أنه كان استنبأهم عن أنفسهم متذكراً لهم إذ عرفهم ولم يعرفوه واتهمهم بأنهم جواسيس جاؤا ليروا عورة البلاد فأنكروا ذلك وأخبروه خبرهم ( ١٣: ٤٢ ) فقالوا نحن عبيدك اثنا عشر أخاً، نحن بنو رجل واحد في أرض كنعان ، وهو ذا الصغير عند أيدينا اليوم ، والواحد مفقود ١٤ فقال لهم يوسف ذلك ما كلمكم به قائلًا : جواسيس أنتم ١٥ بهذا تمتحنون ، وحياة فرعون لا تخرجون من هنا إلا بمجيء أخيكم الصغير إلى هنا ( الخ ) ٢٥ نعم أمر يوسف أن تملأ أوعيتهم قمحاً وتورد فضة كل واحد إلى عدله ، وأن يعطوا زاداً للطريق ، ففعل لهم هكذا ( اه وهو بمعنى ما قلنا يدل عليه قوله ﴿ ألا ترون أنني أوفي السكيل ﴾ أي أنه وأجمله وافيًا كافيًا ﴿ وأنا خير المنزايين ﴾ أي وأنا على هذا خير المضيفين للضيوف ، وكان قد أحسن ضيافتهم ومن تمامها نجهم بهم بالزاد الكافي لهم مدة سفرهم ، والميرة لا تقتضي هذا ولا تستلزمه ، يقال أنزلت الضيف نزلاً وخير منزل بضم الميم وفتح الزاي فهو نزيل - فعيل بمعنى مفعول - والنزل بضم النون طعام النزيل الذي يهيأ له ، وهو مستعمل في التنزيل ، واستدل بقوله هذا على ضعف رواية اتهامه إياهم بالتعسس على كون هذه التهمة لا تليق بمن دون الصديق النبي وهو يعلم بطلانها إلا أن تكون ذريعة لفرض صحيح كاتهامهم بالسرقة

﴿ ٦٠ فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ﴾ فإذا عدتم متارون لا هلكم ولم يكن معكم منع جنس السكيل أن يكال لكم في حضرتي أو ملكي فضلاً عن إيفائه وإكاله الذي كان لكم بأمرى ﴿ ولا تقربون ﴾ بكسر النون الدالة على ياء المتكلم المحذوفة ، وهو يجوز أن يكون نفيًا معطوفاً على ما قبله وأن يكون نهيًا عن القرب منه فضلاً عن إنزاله إياهم في ضيافته خير ضيافة لا توجد عند غيره ، وناهيك بما بين منزله من الملك والحكم ، ومنزلتهم فيمن لا يحصى من الجائعين المتارين من البعد ٦١ ﴿ قالوا سنراود عنه أباه ﴾ أي سنبدل جهداً في مراوغة أبيه وتحويله





عن إرادته في إبقائه عنده إلى إرادتنا وإرادتك حتى تقنعه بإرساله معنا كما تحب ﴿ وإنا لفاعلون ﴾ ذلك قطعا وعدا مؤكدا لا نكساة ولا نتوانى فيه

٦٢ ﴿ وقال لفتيانہ ﴾ أي غلمانہ الكياليين ، وهذه قراءة حمزة والكسائي وحفص ، وهو جمع كثرة لفتى ، وقرأ الباقر ( لفتيته ) وهو جمع قلة فهما كاخوة وإخوان ولا وجه للتفاضل بينهما ﴿ اجملوا بضاعتهم ﴾ التي جاؤا بها لشراء الطعام ﴿ في رحالم ﴾ أي أوعيتهم وهي جمع رحل بالفتح يطلق على كل ما يعدل للرحيل ( السفر ) من وعاء للمتاع ومركب وحلوس للبعير ورسن ﴿ لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم ﴾ أي رجاء أن يعرفوا لنا حق إعادتها إليهم وجعل ما أعطيناهم من الغلة مجانا بغير ثمن إذا هم رجعوا إلى أهلهم وفتحوا مناعهم فوجدوها فيه فانهم إنما يفتحونها هنالك ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ البنا طمعا في برنا وإن كانوا غير محتاجين إلى امتياز آخر لضرورة القوت . ويجوز أن يكون رجاء الرجوع منوطا بمعرفة البضاعة من غير تقدير معرفة حق ردها إليهم وما فيه من المنة والكرم ، وهو أن يمتقدوا أن فتیان يوسف نسوها أو وضموها في رحالم خطأ؟ وهم لا يستحلون أكلها بالباطل فيرجعون لإعادتها وإيصالها إلى أهلها

(٦٣) فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٤) قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ؟ قَالُوا خَيْرٌ حَفِظَا وَهُوَ أَزْهَمُ الرَّاحِمِينَ

٦٣ ﴿ فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل ﴾ أي صدر حكم العزيز ولي الأمر في مصر بمنع الكيل لنا في المستقبل ، وأخبروه بما قاله لهم ورتبوا عليه



قوله ﴿فَارْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا﴾ بنيامين ﴿نَكْتَلُ﴾ أي تمكن من أخذ ما نطلب من الطعام بالكيل المعلوم بأن نرفع المانع من الكيل ونكتال من الطعام بقدر عددنا ، وقرأ حمزة والكسائي ( يكتل ) بالياء يعنون أخاهم بنيامين أي يكتل لنفسه كما يكتال كل منا لنفسه فان الكيل لنا مشروط برسالة ورؤية العزيز له ، تقول كتلت له الطعام إذا أعطيته واكتلت منه وعليه إذا أخذت منه أو تولى الكيل بنفسك يقال كال الدافع ، واكتال الآخذ ، قاله في المصباح ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ في ذهابه وإبابه فلا يناله مكروه نخافه ، كأنهم كانوا يعتقدون أن أباهم يعتقد أنهم يحسدونه كما كانوا يحسدون يوسف معه فقالوا له مثل ما قالوا لما طلبوا إرسال يوسف معهم يرتع ويلعب ، فماذا قال هو لهم ؟

﴿٦٤﴾ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ﴿٦٥﴾ إِذْ قُلْتُمْ (يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ؟ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ) ثم ختم وكذبتم فأضمتهم يوسف ؟ قاله واحدة ووعدكم بحفظه لا يوثق به « ما أشبه الليلة بالبارحة » ﴿فَاللَّهُ خَيْرَ حَافِظٍ﴾ فمن لم يحفظه فلا حافظ له ، قرأ الجمهور ( حفظا ) على التمييز وحمزة والكسائي ( حافظا ) وهو يحتمل التمييز والحال ، والكلمة كتبت في المصحف الامام بدون الف ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فأرجو أن يرحمني بحفظه ولا يجمع علي الابتلاء بفقد أخيه يوسف معاً فرحته أوسع وأعظم ، وفي قوله هذا لين وميل إلى إرساله لشدة الحاجة ولكنه غير صريح

(٦٥) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَبْغِي آبَاءَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ (٦٦) قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ، فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ





﴿٦٥﴾ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم ﴿أي فتحوا رحالهم من غرائر وغيرها وجدوا فيها ما كانوا أعطوه من بضاعة ونقد نعماً للطعام كما توقع يوسف اذ أمر فتياناً بوضعها في رحالهم ولم يعلموا بذلك من قبل﴾ قالوا يا أبانا ما نبغي؟ ﴿استفهام في سياق استئناف بياني، يعنون أي إكرام نطلب وراء هذا الذي فعل معنا عزيز مصر، أو نفى للمبالغة فيما حدثوه به من كرمه وحسن ضيافته، أي انبغي ولا نسرف فيما حدثناك عن كرم هذا الرجل، ثم استدلوا على هذا بقولهم مستأنفاً أيضاً﴾ هذه بضاعتنا ردت إلينا ﴿بمعناها على حقارتها لم يأخذ العزيز شيئاً منها، وكل ما جئنا به على غلاته وعظم قيمته فهو هبة منه لنا أو صدقة علينا﴾ وغير أهلنا ونحفظ أخانا ﴿هذا عطف على محذوف تدل عليه القرينة، أي فنحن ننتفع ببضاعتنا، وغير أهلنا بما نجلبه من الميرة من مصر مجانا ونحفظ أخانا بعنايتنا كلها به مع عدم المخاوف التي تخشى ان تغلبنا عليه﴾ ونزداد كيل بعير ﴿أي حمله يكال لأخينا. ويفهم منه ان يوسف ما كان يعطي أحداً أكثر من حمل بعير حتى لا يسرف الناس في الطعام، وقد أشار في تعبير رؤيا الملك إلى ما يجب من الاقتصاد﴾ ذلك كيل يسير ﴿أي ان حمل البعير كيل سهل لا عسر فيه على عزيز مصر. الجواد المحسن، أو قليل لا يكسر على سخائه ولا يشق عليه وإن كان يعلم ان كل ما نأخذه لبیت واحد، فالشار إليه حمل البعير والكيل بمعنى الكيل، واليسير له معنيان أحدهما السهل وهو ضد العسير ومنه قوله تعالى (يوم عسير على الكافرين. غير يسير) وقوله (وكان ذلك على الله يسيراً) والثاني القليل في كل شيء حتى الزمن ومنه قوله تعالى (وما تلبثوا بها إلا يسيراً) وقال الزمخشري وتبعه البيضاوي: أي ذلك مكيل قليل لا يكفيننا، يعنون ما يكال لهم فأرادوا أن نزدادوا إليه ما يكال لأخيهم، أو يكون ذلك إشارة إلى (كيل بعير) أي ذلك الكيل شيء قليل يجيئنا إليه الملك ولا يضايقنا فيه، أو سهل عليه متيسر لا يتعاضده ويجوز أن يكون من كلام يعقوب وان حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لشده



بالولد اه وهذا بعيد ولو كان من قوله لطف عليه ما بعده ولكنه جاء مفصلاً مستأنفاً على الاصل في جواب سؤال مقدر كأمثاله وهو :

﴿ ٦٦ ﴾ قال ان أرسله معكم حتى تؤثثون موثقا من الله ﴿ أي حتى تعطوني عهداً موثقاً بالقسم بالله ﴾ لتأثثني به ﴿ جواب القسم أي لترجعن به إلي على كل حال تعرض لكم ﴾ إلا أن يحاط بكم ﴿ إلا في حال واحدة وهي أن تغلبوا على أمركم بعدو أو بلاء يحيط بكم فتغلبوا دونه فلا تستطيخوا الايمان به مجتمعين ولا متفرقين أو لا يعلم منكم أحد ﴾ فلما آثروه موثقهم ﴿ أي أعطوه العهد الموثق الذي اشترطه عليهم ﴾ قال الله على ما نقول وكيل ﴿ أشهد الله تعالى على ما قاله واشترطه وما أجابوه به ، يعني أنه سبحانه رقيب عليه وعليهم ، وأمرهم موكل اليه فهو الكفيل الذي يوفق للوفاء بالعهد ، والصدق بالوعد ، فنقول القول خبر في اللفظ إنشاء في المعنى

(٦٧) وَقَالَ يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ، إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٨) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ، وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

﴿ ٦٧ ﴾ وقال يا بني لا تدخلوا ﴿ مصر مجتمعين ﴾ من باب واحد ﴿ كم يشترك هذه بناء على أنه كان لمصر عدة أبواب لكبرها وكثرة طرقها ، وقيل انه أراد بالابواب الطرق ، والراجح عندي أنه أراد الابواب التي يدخل الناس منها على





٢٦. توكل يعقوب على الله وحده مع الاخذ بالاسباب المنار : ج ١ م ٣٥

العزير في قصره أو الوسائل الموصلة اليه ، فلا يواب تطلق على المداخل الحسية والمعنوية ومنه (فتحننا عليهم أبواب كل شيء) ومنه ابواب جهنم وهي امهات اجناس

الاباطيل والمعاصي التي هي سبب دخولها ، وكذا أبواب العلم والكتب (وادخلوا من

أبواب متفرقة) بحيث لا يراكم من هنالك مجتمعين فيحسدكم الحاسدون ، ويكيد

لكم الظانون ظن السوء ، فاذا وقع بكم مكروه بحسدهم وكيدهم أو بسبب آخر

خشيت أن يصيبكم كلهم فيحاط بكم (وما أغني عنكم) وما أدفع عنكم بوصيتي

هذه (من الله) أي بما قضاء الله وقدره في علمه وسنن خلقه (من شيء) قل

أو كثر ، فما قضاء وحكم به لا بد من وقوعه (إن الحكم إلا لله) أي ما الحكم

في تدبير العالم ونظام الاسباب والمسببات إلا لله وحده (عليه توكلت) دون

غيره ودون علمي ووصيتي ، وحولي وقوتي (وعليه فليتوكل المتوكلون) كلهم

لا على أمثالهم من المخلوقين ولا على أنفسهم ، بل يجب على كل عاقل يؤمن به أن

يتخذ لكل أمر ما يقدر عليه من الاسباب ، وأن يوصي بها بمضهم بعضاً ، وأن

يكون اتسكاهم في الفجاء وقضاء الحاج عليه ، فان من الاسباب ما يخفى عليهم ،

وما لا تصل اليه أيديهم

﴿ ٦٨ ﴾ ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوم ﴿ وهو الابواب المتفرقة ﴾ ما كان

يعني ﴿ بمنع أو يدفع دخولهم أو أمره لهم وامثالهم له ﴾ من الله من شيء ﴿ أي

أدنى شيء من المكروه الذي من شأنه أن يحول دون رجوعهم بينيامين ، وقد أخذ

عليهم الموثق بان يأتوه به إلا اذا أحيط بهم فلم يبق منهم أحد ، وانما يقع هذا

في العادة الغالبة اذا كانوا مجتمعين ﴿ إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها ﴾ هذا

استثناء منقطع بالاتفاق والمعنى أن يعقوب كان يعلم أن الحذر لا يدفع القدر ،

وامكن كانت هنالك حاجة تعتلج في نفسه ، قضت الحكمة الايكاشف بها أحدا من

الناس هي وراء ما يخطر بالبال من أسباب الاحتياط لسلامة بنيامين والعودة



به قضاها بوصيته لأولاده من حيث لا يفتنون لها (وإنه لدو علم) خاص به وبأمثاله الأنبياء (لما علمناه) لأجل ما أعطيناه من علم الوحي وتأويل الرؤيا الصادقة والالهام وذلك عندهم فوق صحة الفكر وسلامة العقل ، فهو يعلم به أن يوسف حي سيكون له شأن ، وأن الانسان يجب عليه في كل أمر يحاوله أن يتخذ به كل ما يصل اليه علمه من أسبابه حتى ما كان منها احتياطيا ثم يتوكل على الله في تسخير ما لم يصل إليه علمه مما لا تتم المقاصد بدونه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) مما نختص به رسالتنا من علمنا اللدني ، فهم يتكلمون على ما يظنون أو يتوهمون من الاسباب ، والواجب الجمع بين الاسباب الصحيحة وبين الاتكال على الله وهو ما فعله يعقوب عليه السلام

هذا ما يدل عليه ظاهر الآيتين من تفسيرهما الظاهر المتبادر من لفظهما ، تلك الحاجة التي كانت في نفس يعقوب تفسير باطن لا يفهمه إلا من عرضها على أول القصة وآخرها ، وهو ما فهم يعقوب من رؤيا يوسف عليهما السلام من أن ربه يجتبيه ويتم نعمته عليه وعلى آل يعقوب به ، وما جزم به من تكذيب إخوته في قولهم أكله الذئب ، فقد كان يعلم أن يوسف حي باق وينتظر تحقيق رؤياه له ولا آل يعقوب ، وقد قلنا إن علم يعقوب بهذا كان علما قطعيا ولكنه يحمل مبهم لا يتناول مكانه بعد أخذ السيارة له ولا ما فعل الله به ، فلما قص عليه أولاده ما كان من ضيافتهم وإكرامهم في قصر ملك مصر ووزيره العزيز المفوض ، ومطالبته إياهم بأن يأتوه بأخ لهم من أبيهم ، وأكد هذا الطلب وألح فيه وأنذرهم الحرمان من الكيل لهم إن لم يأتوه به ، ترجح عنده أن هذا العزيز العطوف الرؤوف المحسن للمضيف لأولاده دون الوفود التي تفد عليه من مصر وغيرها لطلب الرزق هو يوسف بعينه ، ولم يكن له أن يجزم بذلك عقلا ، ولم يخبره الله به وحيا ، لأن كل شيء عنده تعالى بقدر ، ولكل قدر أجل ، فلقن يعقوب أبناءه وصيته رجاء أن تكشف بها الحقيقة أو تزداد قوة إلى أن يكشفها الله تعالى الكشف الأخير بتأويل رؤيا يوسف التام





قال يا بني لا تدخلوا على هذا الملك الكريم أو الوزير العزيز من باب واحد من أبواب الوصول اليه ، بل ادخلوا عليه بمتفرقين من أبواب متعددة ، وأراد بذلك أن يروا بأعينهم ما يكون من تأثير كل طائفة منهم في نفسه وما يظهر على أسارير وجهه وحركة عينيه ولما نهما عند رؤية شقيقه فيمن يدخل معهم ، إذ لا يعلم هذا إذا دخلوا عليه كلهم كوكبة واحدة ، وقد أبهم أمر الوصية عليهم ولم يشر إلى سببها ، وانتظار أن يخبروه بما سيقع لهم بعد وقوعه

ويؤيد هذا قوله تعالى بعدما تقدم ( فلما دخلوا على يوسف ) فلم منه أن المراد من الدخول الأول دخولهم عليه لا على مصر ، ثم يؤكد أنه لم يصدقهم في قولهم إن ابنك سرق ( وقال لهم ) بل سوات لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا ( ثم قوله ( اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ) ثم قوله ( إني لأجد ريح يوسف ) الخ ثم انكشف الأمر كله بما تمت به القصة هذا ما تبادر إلى فهمي أنه الحق الموافق للسياق والجمع بين أول القصة وآخرها وفهمها بنظر العقل المستقل في الحكم ، بعد أن توجهت إلى الله أن يلهمني الصواب في تلك الحاجة في نفس يعقوب ، كما أتوجه إليه وأدعوه دائما في الاسحار وفي غيرها أن يوفقني في تفسير كتابه لما يحبه ويرضاه من الحق ونفع الخلق

والمشهور عند الخواص والعوام من حاجة يعقوب التي كانت في نفسه أنه كان يخاف على أولاده إصابة العين وهو أول ما قرأته في تفسير الجلالين ثم رأيت في الدر المنثور مرويا عن أشهر علماء التفسير المأثور من الصحابة والتابعين كابن عباس ومحمد بن كعب القرظي ومجاهد وقتادة والضحاك . ولكن روي عن إبراهيم النخعي في ذلك أن يعقوب أحب أن يلقى يوسف أخاه في خلوة . وهذا الذي قارب الصواب ولم يقرطس في هدفه فزعم أنه كان يعتقد أن يوسف ملك مصر ، ولو صح هذا لما قال بعده ( يا أسفا على يوسف وايبضت عيناه من الحزن )

فاما الخوف من العين ففيه أنه مخالف للسياق القريب الدال على الحرص على



سلامة بنيامين والاحتياط للآتيان به ، فان الخوف عليهم من العين اذا دخلوا من باب واحد يعنى به الجماعة دون الافراد ، ولا يظهر فيه شيء يخص بنيامين ، وهم قد دخلوا مصر أول مرة من باب واحد فلم تصبهم العين ، ولو صح ما في سفر التكوين من اتهام يوسف إياهم بالتجسس لجاز أن يقال إن رؤيتهم مجتمعين هو الذي أوقع للشبهة عليهم ، وهم إنما اجتمعوا عند يوسف لافي باب من أبواب مصر ، وحوادث لاصابة بالعين عند المصدقين لها قليلة واكثرها وهمية ولم يرو عنهم أنها بلغت أن يقتلها جماعة من الناس اشداء كاخوة يوسف ، وهم فريقان أحدهما يرى أنها تقع من تأثير بعض الانفس الشريرة الحسود فيما تتوجه اليه توجهها قويا ، والآخر يسلمها في خوارق العادات أو الحوادث المجهولة السحرية ، والمؤمن بالله من كل منهما لا يقيم لتأثيرها وزنا ، بل منهم من يقاوم تأثيرها بعد وقوعه بالتوجه الى الله والدعاء والرقية ، فان تأثير الايمان والتوجه الى الله تعالى ودعائه وذكره والرقية بما يمتد تأثيره قد يكون أقوى من تأثير النفس الشريرة ومنها العين كما بيناه في موضعه ، ونظرية التأثير النفسي ومنه التنويم المغناطيسي مبنية على تأثير القوي من الانفس في الضعيف ، ولقد رأيت في استانبول رجلا نوم امرأة تنويما مغناطيسيا فقلت له ان استطعت أن تنومي فلك حكمك في أو ما شئت من الدراهم ، فاعترف بمجزه ، وعلمه بأن نفسي أقوى من نفسه

وقد صحح في وصف الذين يدخلون الجنة بغير حساب في الحديث الصحيح أنهم « الذين لا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون » فالرقية تنافي للتوكل لأنها سبب وهمي ضعيف ، ولكن الاخذ بالاسباب القوية المطردة الثابتة بالتجارب المنتظمة في سنن الله تعالى لا ينافي التوكل ، بل تركها هو الذي ينافي التوكل كما قررناه في موضعه من هذا التفسير وغيره وقد صرح يعقوب عليه السلام في هذا المقام بتوكله على الله وحده ، وهو دليل على أن ما قصده بتوصيته لأولاده لا ينافي التوكل ومنه الخوف من العين ، وفي الصحيحين وغيرهما ان « العين حق » والاذن أو الامر بالاسترقاء من العين ، ومنه تحقيق المسألة في خلاصة تفسير السورة إن شاء الله تعالى





# فتاوى المنار

﴿ حرمان البنات من الارث ﴾

( ص ١ ) لصاحب الامضاء في مصر القاهرة

حضرة صاحب السيادة مولانا الاستاذ الاكبر السيد محمد رشيد رضا  
صاحب المنار الاغر نفعنا الله بعلمه وفضله

عرض بعض فقهاء المسلمين في مصر إلى مسألتين - الاولى احتيال الآباء على  
حرمان بناتهم من أموالهم بطريق النزول عنها إلى أولادهم الذكور ببيع ما يملكونه  
لهم . حتى إذا ماتوا لا نجد البنات مآثرته من أموال آبائهن

فقال بعض الفقهاء بجواز هذا ونشرت قوله في الوطنية ، وقال آخر بالتحريم  
ونشرت قوله كذلك في الوطنية فأصبح المسلمون في حيرة من أمورهم بين هذين  
القولين المتناقضين وقد لجأت إلى فضيلة مفتي الديار المصرية ليكون حكماً بينهما .  
فأحاطني على سيادتكم وأجل فتواه إلى ما بعد اطلاعه على فتواكم

﴿ تعارض القرآن والاجماع ﴾

المسألة الثانية - إذا تعارض القرآن والاجماع في أمر فبأيهما نأخذ ؟ قال  
بعض العلماء نأخذ بالقرآن - وقال أحد كبار الفقهاء نأخذ بالاجماع - واستشهد  
الفقيه المشار إليه على صحة رأيه بقوله : إن القرآن فرض نصيباً من الصدقة للمؤلفة  
قلوبهم - وجاء الاجماع فقرّر الغاء هذا النصيب لان الاسلام اصبح قويا ومنتشرا  
وليس بحاجة الى تأليف القلوب فإذا ترون سيادتكم في هاتين المسألتين فان  
العالم الاسلامي ومفتي الديار المصرية في انتظار فتوى سيادتكم في كتابهما

ايوب صبري

صاحب جريدة الوطنية



## (١) الاحتيال لحرمان البنات من الميراث

الاحتيال لحرمان البنات من الميراث يبيع المورث بعض عقاره أو كله للذكور من الوارثين بيعاً صحيحاً في الظاهر أو هبته لهم في غير مرض الموت أو بغير ذلك من الوسائل - هو كالاختيال لمنع الزكاة أو أكل الربا المحرم قطعاً - حرام لا شك فيه وقد حررنا هذه المسألة في الكلام على الحيلة لاكل الربا، وأشد الفقهاء جهوداً على ظواهر الاحكام يصرحون بحرمه هذا اذا قصد به تمطيل حكمة الشارع، وإنما يكابر من يكابر في حكم ظاهر العمل بصرف النظر عن النية فيه. وقد أمر النبي ﷺ بالعدل والمساواة بين الاولاد في عطايا الدنيا فضلاً عن الميراث المقرر في كتاب الله تعالى ففي حديث الصحيحين وغيرهما أن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال على المنبر : أعطاني أبي عطية فقات عمرة بنت رواح (يعني أمه) لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فأتى رسول الله ﷺ فقال اني أعطيت ابني من عمرة بنت رواح عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال «أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟» قال لا، قال «فاتقوا الله واعدلوا بين اولادكم»، قال فرجع فرد عطيته. وفي رواية لمسلم زيادة «لا تشهدينني على جور» وفي أخرى «فلا تشهدينني فاني لا أشهد على جور» وفي أخرى «اعدلوا بين اولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر» والنحل جمع نحلة بالسكسر وهي العطية التي لا مقابل لها

والظاهر أن هذه التسوية واجبة وإن قال بعض الفقهاء إنها مندوبة. واختلف في صفتها فقيل لا فرق فيها بين الذكر والانثى، وقيل هي كال ميراث، ويتجه التفصيل فيما كان من طعام أوزينة وما يعطى من الدراهم في الاعياد فالظاهر فيه المساواة، لاستواء الحاجة ولأن التفضيل يسوء البنات، وما يقتنى ويدخر أو يستغل لكثرة فالظاهر فيه أنه يراعى فيه نصيب كل في الميراث لانه اقرب اليه. وعلى الاول يحمل حديث ابن عباس (رض) مرفوعاً «سوا بين اولادكم في العطية فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء» رواه سعيد بن منصور والبيهقي من طريقه وإسناده حسن كما قال الحافظ بن حجر .





## ( ٢ ) التعارض بين القرآن والاجماع

اني لأستنكر هذا التعبير وأقول إن القرآن أعظم وأجل من أن يعارضه دليل وكل ما خالفه فهو خطأ مردود . ومن سوء الأدب أن يقال إنه معارض له واسوأ من ذلك أن يقال إنه يرجح عليه

وما ذكر في السؤال من سقوط سهم المؤلفة قلوبهم من مستحقي الزكاة لا يصح بل هو باق ولو صح لما كان حكمه معارضا للقرآن وراجحا عليه ، بل يقال فيه ان حكمه قد تعذر تنفيذه بفقد المستحق له كما يقال في غيره من غير حاجة الى ادعاء الاجماع كما تارمين وابن السبيل اذا فقدوا من بعض البلاد ، ومثل ذلك كفارة العتق في البلاد التي فقد منها الرقيق

قد بينت في تفسير آية الصدقات أن المؤلفة قلوبهم عند الفقهاء قسمان (١) كفار وهم ضربان (٢) مسلمون وهم أربعة : وانه حدث في عصرنا اقسام أخرى اولى بالتأليف « فانما نجد دول الاستعمار الطامعة في استعباد جمع المسلمين وفي ردهم عن دينهم يخصصون من أموال دولهم سبها للمؤلفة قلوبهم من المسلمين فمنهم من يؤلفونه لاجل تكفيره واخر اجه من حظيرة الاسلام ، ومنهم من يؤلفونه لاجل الدخول في حمايتهم ومشاققة الدول الاسلامية أو الوحدة الاسلامية ، ككثير من امراء جزيرة العرب وسلاطينها !! أفليس المسلمون أولى منهم بهذا ؟ (ص ٩٥ ج ١٠ تفسير المنار) وقلت انه روي عن ابي حنيفة انه قد انقطع سهم قسم من الكفار باعزاز الله للاسلام كالذين اعطاهم النبي ﷺ من غنائم هوازن ثم منهم عمر وقلت ان هذا اجتهد من عمر (رض) اي فهو يختلف باختلاف الزمن وقد استمر في زمن عثمان وعلي (رض) » واما من ادعى انه منسوخ بالاجماع لما تقدم من عمل الخلفاء والسكوت عليه من سائر الصحابة فدعواه ممنوعة : لا الاجماع ثابت بما ذكر ، ولا كونه حجة على نسخ الكتاب والسنة صحيحا وان اختلف فيه الاصوليون بما لا محل لذكره هنا » وجملة القول ان سهم المؤلفة قلوبهم ضروري في هذا الزمان بأشد ما كان في اول الاسلام لضعف المسلمين ودولهم وضراوة الاجانب بهدم دينهم وملكهم ، وانه لا إجماع على ما ذكر في السؤال وان الاجماع الاصولي يختلف في امكانه وفي وقوعه وفي العلم بوقوعه ان وقع وفي كونه حجة



## كتاب الوحي المحمدي

تصدير الطبعة الثالثة

# بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد والشكر ، إياه نعبد وإياه نستعين

أما بعد فقد أصدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في موعد كرى مولد النبي (ص) من ربيع الأول سنة ١٣٥٢ تيمناً بظهور نوره المشرق الذي أضاء الكون كله ، وإنما أضاءه بزوغ شمس هذا الوحي الالهي ونزوله عليه ، فما أتى على صدوره بضعة أشهر إلا وكانت نسخه قد نفدت . فأعدت طبعه في تلك السنة منقحاً مزيداً فيه قدر الثلث ونيفاً ، ولولا خوف الملل على القارئ لزدته ضعفاً أو أضعافاً ، ولذلك وعدت بأن أجعل له ثانياً ، وأصدرت الطبعة الثانية في يوم عرفة الذي أنزل الله عليه في حجة الوداع (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) تفاؤلاً بتجديد هذا الكتاب لدعوته (ص) فما جاء يوم عرفة الثاني (سنة ١٣٥٣) إلا وكانت نسخ الطبعة الثانية قد نفدت، وشرعت في الطبعة الثالثة ، وتعمدت تأخير إتمامها كالتى قبلها ، لنشرها في موعد الأولى من هذه السنة (١٣٥٤) وفي غضون السنة الماضية تمت ترجمة الكتاب باللغة الأوردية ونشرت في الهند وهي مترجمة من الطبعة العربية الأولى . وتمت ترجمته باللغة الصينية فيها أيضاً مرتين ويتولى طبع الأولى في قبودان مترجمها الاستاذ صاحب مجلة ضياء الهلال ، وحمل الثانية مترجمة الاستاذ بدر الدين الصينى من الهند إلى مصر وعرضها علي ، وكان يريد إرسالها إلى بلد آخر في الصين لطبعها فأشرت عليه بأن يزيد فيها كل ما زدته في الطبعة الثانية لأنها أجمع وأنفع ، ولعلها لا تطبع إلا وقد نفدت نسخ الترجمة الأولى ، ولعله يعيد تنقيحها بمعارضتها على هذه الطبعة الثالثة فإنها أصح وأكمل . ولم يبلغني أن أحداً غير هؤلاء قد أتم ترجمته بلغة أخرى

زدت في هذه الطبعة قليلاً من الفوائد ، وإيضاحاً لبعض المسائل ، وجعلت





أكثرها في الحواشي كما ترى في الحاشية الثانية من ص ١٥٧ والأولى من ص ٦٥٨ والحاشية (٢) من ص ١٨١ وما جعلته في الصلب أشرت إليه غالباً كشرعية عقوبة الرقيق من غير المؤمنين، وليس فيها شيء من المقاصد الأصلية المقصودة بذاتها علنا إذن أنه أتى على ظهور الكتاب سنتان كاملتان ، فأما انتشاره بالعربية فهو فوق المعتاد في الكتب الدينية ، وقد قررت وزارة المعارف العمومية في هذه السنة: صرفه لطلبة دارالعلوم العليا وهو يدرس في بعض المدارس الإسلامية في دمشق وبيروت. ويرجى نشره في السنة المدرسية الجديدة أيضاً بين طلاب الأزهر والمعاهد الدينية بمصر وقد تولى رياستها شيخ الإسلام وخليفة الاستاذ الامام ( الشيخ محمد مصطفى المراغي ) الذي كان أول من قدر الكتاب قدره ، وقرأ نصفه في جلسة واحدة وأتمه في جلسة أخرى ، ثم كتب في وصفه تلك الكلمة البليغة التي يراها قراؤه في صدر التقارير ، وقد تنبأ أو بشر بأنه سيطلع في كل عام

### ترجمة الكتاب باللغات الافرنجية

ولكن قصر المسلمون فيما يجب عليهم من ترجمته بسائر لغاتهم وبلغات شعوب الحضارة التي دعوناها به إلى الإسلام ، وهي الانكليزية والفرنسية والالمانية ، وهو واجب كفائي صرح بتمنيه كثير من أهل العلم والغيرة ، وصرح بوجوبه بعض مقرضي الكتاب ، فمنهم من تعسف وطالبني بهذه الترجمة أو بالسعي لها ، ومنهم من أنصف وطالب به الأمة الإسلامية أو جمعياتها

أما الأمة فلا تنهض بالأعمال العامة إلا بزعمائها أو جمعياتها ، وأما هذه الجمعيات عندنا فلا تزال في سن الطفولة ، ولا يرجى من أمثالها عمل عظيم كهذا ، فهي أفقر وأضعف همة من جمعيات المرتدين عن الإسلام جملته وتفصيله كالبهاية ، والملاحدة المدعين للنبوّة والمسيحية فيه كالقاديانية ، دع جمعيات النصارى التعليمية والتصيرية التي تملك مئات الملايين من الجنيهات ، وقد بشوا تعاليمهم في جميع أقطار الأرض ، وهم يطمعون في تنصير المسلمين ، على حين تتسلل شعوبهم من النصرانية سراعا بسطان ونظام كالشعب الجرمانى ، أو لو اذا بدون سلطان دولي ولا نظام كسائر الشعوب ، وهي تمهد السبيل لنسخ الإسلام لها ، وحلوله محلها ،



ولقد كان أرجى الجمعيات الاسلامية لهذا العمل في مصر «جمعية الدفاع عن الاسلام» التي هدمت باسم أقوى معول من معاول الاسلام قبل أن يتم بناؤها ، وإنما كان هذا الرجاء فيها منوطاً برئيسها الشيخ محمد مصطفى المراغي، وما كان السعي لهدمها إلا سعيًا لهدم اسمه، وحرمان المسلمين من استعداده، ولكن الله نصره، وخذل من ناهضه، وجعل معول الهدم الذي كان بأيديهم سيفاً لنصر الاسلام بيده ، فاذا بعصى موسى تلقف ما يافك سحرة فرعون (فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ )

فان كان أهلاً للرجاء بأن يسعى لترجمة كتاب الوحي المحمدي ببعض لغات العلم الغربية تمهيداً لتبليغ الدعوة الاسلامية للناطقين بها - وتلك القوة الرسمية تكيد له - فأجدر به أن يكون أقدر على تحقيق ذلك بالفعل ، وتلك القوة الرسمية وما وراها من القوة الحقيقية طوع يده ، ولن تكون ترجمة هذا الكتاب في موضع الثقة بها عند جميع الشعوب كما إذا كانت من قبل شيخ الاسلام وتحت إشرافه ، وكان نشره وبث الدعوة به بارشاده أو إجازته ، مع العلم بأن مؤلفه قلم من أعلامه ، وعلم من أعلامه ، وأحمد الله عز وجل أن جدد لي وللأمة بعودته إلى مشيخة الأزهر ذلك الأمل بالزعامة الاسلامية العاملة التي فقدناها بوفاة الاستاذ الامام منذ ثلاثين سنة إن الأمة لم تفقد بوفاة ذلك الامام شيئاً من علم الاسلام، وإنما فقدت زعيم الإصلاح العارف بحاجة زمانه ، الذي نال الزعامة بسموعقله ، واستقلال رأيه وفهمه ، وعلو همته وشجاعته ، وإنصافه باعطاء كل ذي حق حقه من العلم الصحيح والاخلاص فيه ، وما كان يعوزه للنهوض بالإصلاح العام إلا الاستقلال بالزعامة التي تمكنه من العمل ، ولهذا كنا نسعى "ولكل قدر أجل ، ولكل أجل كتاب

إذن لقد كان من حكمة الله أن «كتاب الوحي المحمدي» لم يترجمه بلغات الأجنبي من ليسوا أهلاً لترجمته حتى لا أضطر إلى تخطئهم ، فيكون ذلك محبطاً لعملهم ، او مضعفاً للثقة بترجماتهم؛ وادخرها للعلم الحكيم لمن هو أحق بها وأهلها





## بلوغ الدعوة لأحرار الأفرنج والمستشرقون منهم

لن يكون بلوغ الدعوة صحيحاً مرجوًّا إلا بوصولها إلى الأحرار مستقلي الفكر من هذه الشعوب بلغاتهم ، وأكثر أفراد المستشرقين الذين تعلموا العربية ليسوا من هؤلاء الأحرار المستقلين المنصفين ، فانهم ما درسوا العربية ولا مارسوا كتب الإسلام ليعرفوا حقيقته ويعرفوا غيرهم بها ، بل ليبحثوا عن عورات يتلمسونها فيها لينفروا أقوامهم عنه بتصويرها لهم بالصور المشوهة التي ينكرونها ، كما نرى فيما اطلعنا عليه من كتبهم وفي معجمهم العلي الذي وسموه بدائرة المعارف الإسلامية ، ومن خيبة الآمال بعلمهم ومصنفاتهم أن وجدت كتاب ( مفتاح كنوز السنة ) على غير ما كنت ظننت وخلاف ما قلت في التعريف به ، فانتى لم أستفد منه أدنى فائدة وأما المستقلون منهم وهم الأقلون فقد غلبتهم الأفكار المادية على عقولهم فقضايها عندهم مسلمات كأنها لا مجال للبحث فيها ، وقد قربنا مسافة الخلف بيننا وبينهم بما أقمناه في هذا الكتاب من البيانات العلمية القطعية ، على أن القرآن لا يمكن أن يكون من كلام محمد (ص) ولا من مدارك عقله الظاهر ولا ما يسمونه العقل الباطن ، فإذا فرضوا أن للإنسان عقلاً باطناً لا تعرف حقيقته يدرك به من علم الغيب والشهاد ما هو خفي وخارق للعادة في السنن المعروفة لكسب العلم من الحواس والفكر ، وعللوا به ما يسمونه قراءة الفكر ومراسلة الأفكار ، وادرك المنوم بالاستهواء المغناطيسي وقد بينا لهم أنه لا يكفي لتعليل الوحي المحمدي - فأي بعد بين هذا العقل الخفي المفروض في باطن الإنسان وبين وجود عقل خفي مثله في خارجه (وهو ما نسميه الملك كما نسمي الأول الروح) يكون الوحي الحقيقي باتصال أحدهما بالآخر كاتصال الكهرباء بالإيجابية الإيجابية بالسلبية وتولد النور من اتصاليهما ، فان ما زعموه من انقذاح وحي القرآن من عقل محمد الباطن وحده محال كما قررنا ، وهذا أقرب التعليلين والفرق بينهما قريب جداً فما ثم الا اختلاف الاسماء

وفوق هذا وذاك قيام البراهين الكثيرة على وجود الله الخالق لكل شيء الذي دون الإيمان به لا يمكن القطع بشيء من مسائل الكون وسننه ، فانهم كلما أثبتوا شيئاً عادوا فنفوه ، وكلما أبرموا أمراً نقضوه

لقد قرب ظهور الحق لأحرار هذه الشعوب وسأراهم بعد ترجمة هذا الكتاب



يدخلون ان شاء الله في دين الله أفواجا ، وقد بطالت ثقتهم بكل ما عداه من الأديان  
لعل كتاب « الوحي المحمدي » قد وصل إلى جميع هؤلاء المستشرقين الذين  
يعرفون العزية فأتى أهديته إلى من عرفت عناوينهم وأرسله غيري إلى أناس منهم ،  
ومن عاداتهم أن يبحثوا عن كل كتاب جديد له شأن ، وقد شكر لي بعضهم هذه  
الهدية بكامة لم يزد عايتها ( كصاحب مفتاح كنوز السنة الدكتور فنسك ) وانثرد  
العلامة الدكتور موريتس الالماني منهم بأبداء رأي فيه فأنشر هنا نص كتاب الشكر  
الذي تفضل به وهو :

برلين ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٣

جناب الشيخ العلامة السيد محمد رشيد رضا المحترم  
بعد التحية والاحترام فتفضلتم بإرسال إلي نسخة كتابكم الجديد « الوحي المحمدي »  
فأرجو قبول جزيل الشكر على هذه الهدية النادرة القيمة وبالخصوص على ما أظهرتم  
بها من عدم نسيان شخصي ، ولا حاجة للتأكيد لكم أنني اطلعت عليه بغاية الاهتمام  
ولا ريب عندي أنه يجد كثره في عالم العلماء

وفي أثناء هذا الاطلاع قد عثرت على جملة مسائل ونقط تستحق ملاحظات  
لكن نظراً لحجم هذا الجواب الذي لا يتسع أن أدخل في جميعها أقصر بواحدة منها  
أي في معنى كلمة نبي الاصيل « ص ٢١ » عند العبرانيين القدماء فكان ( نبياً ) في أوائل  
عصرهم المتكلم بصوت عال ثم الناطق في أمور أمته القضائية والسياسية أي مثل ناصح  
ومستشار لا رشادها ، لكن شيئاً فشيئاً تبعاً لتقدم الدين الاسرائيلي تغير موقعه وصفته  
فصار واعظاً وناصحاً في الامور الدينية لانه كان معتقداً أن هذه الوظيفة صارت له  
بناء على أمر من الله بذلك ، وأنه المتكلم باسم الله ، والدليل على ذلك أنه يستعمل في أول  
كلامه أي نبوته هذه الكلمات : هكذا قال يا هو ( وهو اسم إله بني اسرائيل وغيرهما  
من الأمم الشرقية المنتشرة بين الحجاز وبين سوريا الشمالية ) الخ

وفي الختام أكرر لكم الشكر الواجب مع تمنياتي الصميمة المخلص

دكتور موريتس

يقول هذا العلامة الكبير إن هذه الهدية نادرة القيمة ، وإنه اطلع على الكتاب  
بغاية الاهتمام ، وإنه لا يرتاب في أنه يجد في عالم العلماء ما ينبغي لكتاب مثله ،



فهؤلاء العلماء قد بلغتهم دعوته ، وفهموا ما تحديتهم به من الآية الكبرى على نبوة محمد (ص) وما نزل عليه من وحى القرآن ، ولم يقدر أحد منهم أن ينقضها ، أو يأتي بتعليل لهذه المعجزة الدالة على إتيان محمد (ص) بهذا القرآن في أسلوبه ومعانيه وما فيها من العلوم العالية التي لخصتها في المقاصد العشرة ولتأسيس أقوم دين وأقوى دولة وأمة في عشر سنين قلبا اعظم دول الأرض وأديانه في ثلث قرن

وما ذكره الدكتور من الملاحظة على بعض مدلول لفظ النبي عند اليهود فهو منقول من قاموس الكتاب المقدس للدكتور بوسط ، وقد ذكرت المعنى الذي أشار إليه في كلامي على النبوة من الطبعة الثانية ( ص ٢٥ ) وهو في ( ٤١ ) من هذه الطبعة الثالثة ولا أزال أتمنى لو يتفضل علي بغير هذه الملاحظة وأخض بالذكر ما عساه ينتقده من جوهر الموضوع وإبابه ، واذن أرويه عنه بنصه وأبلغه جوابي عنه

### تعادى الأمم والدول وحاجتها إلى الإسلام

لا تزال دول أوربة وأمريكا وشعوبها على ما وصفتها به في مقدمة هذا الكتاب من الشقاء والشقاق ، والرياء والنفاق ، وقد عقدوا في هاتين السنتين مؤتمرا بعد مؤتمر واتفاقا بعد اتفاق ، ولا يزالون كحمار الرحى يدور ولا يبرح مكانه ، ليس للحق ولا للصدق عندهم قيمة ، فقد ظلوا منذ عقدوا عهد ( فرسايل ) يحرون فيه مع ألمانية على قاعدة البرنس بسمارك « المعاهدات حجة القوي على الضعيف ، حتى إذا اضطروها إلى نقضها سرا كما نقضوها جهازا وتجديدا قوة حرية يرهبونها ، أذعنوا لمساواتها لهم في الحقوق والكرامة الدواية كرها ، وكانوا يمارون فيها ويأبونها طوعا ، بل صاروا يخافونها أن تسطو عليهم ، ويجددون المحالفات الدفاعية التي أفضت إلى الحرب العامة السابقة ، حتى ذلوا لمخالفة الدولة الشيوعية عدوتهم كلهم ، وأتى لهم الفرار من حكم كتاب الله في الأمر بالوفاء بالعهود والنهي عن جعلها دخلا وخداعا لأجل أن تكون أمة هي أقوى من أمة فتكون المعاهدات أنكاثا لا مندوحة عن نقضها كما بينا لك في محله (١)





بغوا واستعلوا على ألمانية وهم يعلمون أنها تعلوهم علما وصناعة ونظاما، وفرائضهم ترتعد فرقا من استعدادها السري للحرب، وقد ذاقوا بطشتها القاهرة التي كادت تفتك بهم كلهم من قبل، ولكنهم اتكلوا على خداع معاهدتهم الخاطئة الكاذبة، وعلى تجديد محالفاتهم التي قصدوا بها أن يكونوا إلبا واحداً عليها، وأن تكون في عزلة لا تجد فيها وليا ولا نصيراً صاحب زعيمها المجدد (هتلر) صيحة بنقض تلك المعاهدة، وتجديد السلاح الجوي والبحري والتعبئة، فراعتهم كزئير الأسد يحفل الغنم، وقالوا إن سلم أوربة وحربها رهن يديه، وعمرانها وخرابها بين شفتيه، وظلوا يصيخون السمع لما سيقوله في خطابه السياسي العام، حتى إذا ما ألقاه كان حجة بالغة له دامغة لخصومه، وصادعة لآخر حصن لدول الاتحاد الثلاث في وجهه (اتفاق ستريزا)، فعادت انكلترا تفاوض ألمانية في قواتها الجوية والبحرية وكانت تستكبر عن هذا، وكشرت عن أنيابها لاطيالية فيما تحشره من جيوش وذخائر للعدوان على دولة الحبشة المعتصمة معهم بعهد عصبة الأمم، الذي هر في نظرها كسائر العهود الأوربية حجة القوي على الضعيف، وقد رأوا كيف رفضته بل رفضته كل من اليابان وألمانية برجلها، ولكن البلية كل البلية في تعارض مطامع الأقوياء، فزعيم إيطالية مغتربقوتها جامع لفتح الحبشة أو نقصها من أطرافها، وانكلترا أعز منها وأقوى، وإن هذا لصدع في اتحاد هؤلاء الاحلاف لا يلتئم، فهذا الزعيم المعتز بسلطانه الشخصي يرى خيبته بعد الشروع في وسائل الزحف قضاء على نفوذه، وأمته في اضطراب لا ينقذها منه إلا فوزه فيه، يوألمانية لا بد لها من استعادة جميع مستعمراتها، وهي اقدر على إخضاع انكلترا في الهواء والماء، وماذا تفعل فرنسة إذا تركته انكلترا؟

وجملة القول أن هذه الدول وشعوبها لا تزال ولن تزال على ما وصفناها به في مقدمة الطبعة الاولى للكتاب من فساد لا علاج له الا هداية الاسلام، دين الاخوة الاسلامية والعدل والرحمة والسلام، فيجب المبادرة الى تبليغ دعوته، وإقامة حجته، وهو قد أعد عقلاء المسلمين لتعميم هذه الدعوة عند ما ينهض زعيم مسلم لكفالتها وتوحيد النظام لها، ويرى قارئه الشواهد على هذا فيما نشرناه من التقارير في آخره، وفي مقدمتها قول شيخ الاسلام المراغي لمؤلفه «إنكم وفقتم لفتح جديد في الدعوة إلى الدين الاسلامي، الخ وسائرهما مؤيد لقوله، يدل على استعداد في الامة لتنفيذه



## استعداد المسلمين لدعاية الاسلام

ذكرت في آراء شيخنا الاستاذ الامام من تاريخه (ص ٩٣٩ ج ١) أن أهم الحضارة في الغرب سيدوقون من فتن مدنياتهم ومفاسدها السياسية ما يضطرهم إلى طلب المخرج منها فلا يجدونه إلا في الاسلام - اسلام القرآن والسنة لا اسلام المتكلمين والفقهاء - وأنه صرح بهذا مراراً في دروسه في الازهر وفي غيره وأقول الآن : لكنه ما سمع لقوله هذا صدى ، ولا وجد على نار المسلمين ، هدى ، فكان يرجح أن هداية القرآن ستظهر في غيرهم من الشعوب الحية ، وأن هؤلاء المسلمين الجغرافيين سيطلبون اسلام القرآن والسنة منهم تقليداً لهم كما يقلدونهم في الزينة والاباحة والاسراف في الشهوات الذي أفسدهم جميعاً وسمعت مثل هذا الرأي من الاستاذ المراغي وغيره من الأفراد ، ولعلي أوسع علماً واختباراً لمسلمي الأقطار من كل هؤلاء وأجدر منهم بسوء الظن فيهم ، ولكن ظهر لي بتقبل عقلائهم لكتاب «الوحي المحمدي» بما تقبلوه به من إيمان وشهادة ورجاء وثناء ودعاء ، أن استعدادهم لهداية القرآن والدعاية له قد دخل في طور جديد ، ألم تر كيف تجاوزت أصوات المقرظين له في مصر وسورية والعراق وغيرها من الأقطار بقول القائلين إنهم كانوا يفكرون ويتمنون ويتساءلون قبله عن كتاب يصلح للدعوة إلى الاسلام فلا يجدون ، حتى إذا رأوه وجدوه بالضالة التي ينشدون ؟ أو لم تر كيف شاركهم فيها أئمة المسلمين وملوكهم المتقون فعلم من هذا أن المسلمين لا يمكن أن تعود إليهم الحياة إلا بمثل ما بدأت به سلفهم من روح القرآن وهدى الرسول (ص) كما قال الامام مالك : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، وما ذلك إلا أن يكونوا على علم بالقرآن يوقنون به أنه مصلح لجميع البشر ، وأن حملته يجب أن يكونوا أئمة البشر وهداتهم ، والمصلحين لما أفسدته المدنية المادية من عقائدهم وأخلاقهم ، فإن لم يملكهم هذا اليقين فلا رجاء في دينهم ولا دنياهم ، ولكن نشر هذا اليقين فيهم يتوقف على نظام ، وزعامة يثق بها الخاص والعام ، وسيرون الدعوة له تبث في هذا العام ، وسرى قدر استعدادهم لتأييدها بأموالهم وانفسهم فيسرنا إن شاء الله ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ )

محمد رشيد رضا  
منشئ مجلة المنار





## خطاب الشيخ الأكبر في الجامع الأزهر

نوهنا في الجزء الماضي بحفاوة الأزهر بعودة الشيخ المراغي إلى رئاسة مشيخة الأزهر والمعاهد الدينية ومشاركة جميع طبقات الأمة لهم فيها ، وقد وعدهم بأن يرد لهم الزيارة في الجامع الأزهر نفسه ويلقي عليهم خطابا عاما ، ووفى بوعده فكان يوما مشهودا ألقى فيه الخطب والقصاصد في تهئة الأزهر وأهله بامامهم المصلح الأكبر ، ثم ألقى عليهم الاستاذ الخطاب الآتي الجامع لمقاصد الإصلاح والتجديد وكانت آلة مضيخة الصوت توصل كلامه إلى أقصى أولئك الألوف المجموعة كأدناهم ، وهذا نص الخطاب ، والعناوين في اثنا عشر من وضع المنار :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

له الحمد على نعمه ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه  
وبعد : فقد رأيت واجبا علي أن أزور الأزهر قبل بدء الدراسة لأحيي علماء الأزهر والمعاهد ، وطلبة العلم في الأزهر والمعاهد في دارهم كحيووني في داري ، والأزهر دار خاصة لكل من ينتسب إلى العلم ، ودار عامة للمسلمين .  
وقصدت أيضا إسداء النصيحة إلى اخواني العلماء وأبنائي الطلبة بنسيان ما قد يكون باقيا في نفوسهم من خفايا وإحسان سببها الحوادث الأخيرة التي تمرقونها لمستقبل الحياة العلمية في صفاء ، ونقبل على العلم بقلوب مخلصه لله ورسوله ، نقية من دنس الغل والحقد ، عامرة بالآيمان :

والأزهر مكان يستحق الاجلال ، فقد كان ولا يزال مصباحا تستضيء به جميع الأمم الإسلامية ، ومنبعاصافيا لعلوم الدين ، ومستودع فنون العربية وأسرارها وبعض العلوم العقلية .

وقد اضطلع بحمل عبء المعارف الإسلامية وغيرها ، وخاصة بعد سقوط بغداد وضياع ذخائرها العلمية ، وصار المثابة الأخيرة ، والسكنية التي يؤمها طلاب العلم من جميع الاقطار . وما من بلد في مصر ، بل وما من بلد في أي قطر من



الافتار الاسلامية إلا وهو مدين للازهر بما يعرفه أهله من الدين الاسلامي ،  
وبما بقي عندهم من علوم العربية

حمل الازهر هذا العبء وأدى الامانة كاملة، وله الفضل على المعاهد العلمية  
القائمة بجواره في مصر ، فهو أستاذها ، وهو شيخ هذه المعاهد جميعها

نعم : قد استقلت عنه بعض المعاهد أخيراً ، ولكنه لا يزال له نصيب عظيم  
من الثقيف في المعارف الاسلامية وفنون العربية في أكثر هذه المعاهد . فلكم  
أن تفخروا بتاريخ طويل كله مجد وعظمة لهذا المعهد الذي تنتسبون اليه : تاريخ  
ظهر فيه من الائمة والعلماء والمؤلفين من خريجي الازهر من لا يحصيهم العدد ،  
وقد كانوا سباقين للخيرات وكأوا أمرهم الى الله جل شأنه ، فحفظهم ورعاهم ،  
وشرح صدورهم ، وأثار عقولهم ، فترسموا آثار الرسول الاكرم صلوات الله عليه  
وتخلقوا بأخلاقه ، واعتصموا بهديه ، وانتفع الناس بعلمهم وتأديبوا ، وحلت آثارهم  
في البلاد جميعها كما يحل ضوء الشمس ونور القمر

أولئك آباؤنا وأجدادنا في سلسلة النسب العلمي ، رضي الله عنهم ونفعنا بهم  
يجب أن نذكر هذا المجد ونفاخريه ، ونحرص على الانتساب اليه كما يحرص  
الاشراف على أنسابهم ، وأن نحافظ على هذا المجد ونضيف اليه مجداً طارفاً ،  
اقتداء بأولئك الآباء والاجداد .

قد يسأل بعض الناس ما فائدة الازهر؟ أو ماهي رسالة الازهر كما يقال اليوم؟  
فأقول لهؤلاء : رسالة الازهر هي حمل رسالة الاسلام ، ومتى عرفت رسالة الاسلام  
عرفت رسالة الازهر

### موضوع الاسلام واتفاقه مع علوم العصر والحاجة إليها

الاسلام دين جاء لتهديب البشر ، ورفع مستوى الانسانية ، والسمو بالنفوس  
الى أرفع درجات العز والكرامة . قد طوح بالوسطاء بين الناس وربهم ، ووصل  
بين العبد وربيه ، ولم يجعل لاحد فضلاً على أحد إلا بالتقوى ، وقدر العلم والعلماء ،  
وقرر في غير ايس ما يليق بذات الخالق من الصفات . وما قرره في ذلك هو



منتهى ما سمت إليه الحكمة ، ووصل إليه العقل ، وأتى بتعاليم كلها ترجع إلى تهذيب النفس ، وتلطيف الوجدان ، وأبان أصول الاخلاق ، وشرع حل التمتع بالطيبات ، ولم يحرم إلا الخبائث ، ووضع حدوداً تحدد من طغيان النفوس ونزوات الشهوات ، ورسم أصول النظم الاجتماعية وأصول القوانين . قواعد كلها لخير البشر وسعادة المجتمع الانساني .

هذه صورة مصغرة جداً للدين الاسلامي . ورسالة الازهر هي بيان الدين الاسلامي ، وشرح قواعده وأسراره ، ومتى أدى هذه الرسالة على وجهها فقد أدى نصيباً عظيماً من السعادة والخير للجمعية الانسانية .

في القرآن الكريم حث شديد على العلم وعلى معرفة الله وعلى تدبر ما في الكون ، وليس هناك علم يخرج موضوعه عن الخالق والخلق ، فالدين الاسلامي يبحث على تعلم جميع المعارف الحقة . وليس في المعارف الحقة الصحيحة المستقرة شيء يمكن أن يناقض أصول الدين ويهدمها .

نعم: قد توجد معارف تناقض بعض ما وضعه العلماء في شرح القرآن والحديث والفقه وغيرها ولكننا لانهتم لهذا ، فليسر العلم في طريقه ، ولنصحح معارف الماضين لكن على شريطة أن يكون ما يخالف معارفنا من العلم البرهاني المستقر ولست أقصد بحديثي هذا أن يكون الازهر مدرسة طب أو هندسة ، أو كلية للكيمياء أو ما يشبه هذا ، ولكنني أعني أن هناك علوماً ومعارف لها صلة بالدين وثيقة تعين على فهمه ، وتبرهن على صحته ، ويدفع بها عنه الشبهات . هذه العلوم يجب أن يتعلمها العالم الديني أو يتعلم منها القدر الضروري لما يوجه إليه

هذا وقد تغيرت في العالم طرق عرض السلع التجارية ، وأصبح الاعلان عنها ضرورياً لنشرها وترغيب الناس فيها ، ولديكم الحوانيت القديمة ومخازن التجارة الحديثة: وازنوا بينها قدر كوا ما في طريقة العرض الحديثة من جمال يجذب النفوس إليها ، وما في طريقة العرض القديمة من قشويته ينفر الناس عنها ، وقد توجد في الحوانيت القديمة سلع أحسن صنفاً ، وأعلى قيمة ، وأمتن مادة ، ومع ذلك هي في كساد .





### تغير طريقة التعليم والتصنيف

وكما تغيرت طريقة عرض السلع تغيرت طريقة عرض العلم ، وأحدث العلماء طرائق تبعث الرغبة الملحة في العلم ، وتنفي الملل والسأم . حدثت هذه الطرق في إلقاء الدروس والمحاضرات ، وحدثت في تأليف الكتب أيضا ، وهذا المثل ينطبق علينا : ففي جميع الكتب التي تدرس في الأزهر وفي جميع العلوم التي تدرس في الأزهر أعلاق نفيسة لا تحتاج إلا إلى تغيير طريقة العرض في الدرس والتأليف ، وفي الفقه الاسلامي نظريات تعد الآن أحدث . النظريات عند رجال القانون ، وفي الفقه الاسلامي آراء يمكن أن يسير عليها الناس الآن من غير جرج ، وتحقيق العدالة في أكل صورها ، ولكن هذه النظريات البالغة منتهى الجمال والحكمة يحجبها عن الناس أسلوب التأليف القديم . على الأزهر أن يسهل فهم علومه على الناس ، وأن ييسر لهم هذه المعارف ، وأن يعرضها عرضا حديثا جذابا مشوقا

### تطهير الاسلام من البدع

ومسألة أخرى يجب أن يعنى الأزهر بها : تلك هي تطهير الدين الاسلامي من البدع وما أضيف إليه بسبب الجهل بامراره ومقاصده . هناك آراء منشورة في كتب المذاهب وفي غير كتب المذاهب يحسن سترها ، ضنا بكرامة الفقه والدين . ومن الواجب أن يعترف بان المذاهب الاسلامية جملة تقني عن الاجتهاد . في المسائل التي عرضت من قبل متى تخير العلماء منها وأذكر قصة طريقة تجديدها في كتاب «الولاية والقضاء» للكندي :

« كان في مصر قاض شافعي المذهب في عصر الامام الطحاوي ، وكان يتخير لأحكامه ما يرى أنه محقق للعدل من آراء الائمة ولا يتقيد بمذهب ، وكان مرضي الأحكام لم يستطع أحد أن يطعن عليه في دينه وخلقه ، سأل ذلك القاضي الامام الطحاوي عن رأيه في واقعة من الواقعات ، فقال الطحاوي : أنساني عن



رأيي أو عن رأي أبي حنيفة ؟ فقال القاضي : ولم هذا السؤال ؟ قال الطحاوي :  
 ظننتك تحسبني مقلداً ، فقال القاضي : ما يقلد إلا عصبى أو غبي ؟  
 فتخير الأحكام نوع من الاجتهاد ، ولكنه الاجتهاد الذي لم يفلق الناس أبوابه  
 إصلاح التعليم في الأزهر واجب اجتماعي لإصلاح الأمم الإسلامية في مختلف  
 أقطارها وأجناسها ، وعلى كل مسلم أن يساهم فيه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً  
 بل أقول إن هذا الإصلاح ضروري للأمم غير الإسلامية أيضاً بما يؤديه من  
 الخدمة للحضارة الإنسانية المصرية بمقاومة خطر الإباحة المادية والاحاد الذين  
 يبشهم في الأمم دعاة البلشفية والتعطيل الجاحدون لوجود الخالق عز وجل ولعقيدة  
 بالبعث والجزاء على الخير والشر ، فهذا الخطر لا علاج له إلا هداية الدين (١)  
 وأنا أرجو الله سبحانه أن يوفق العلماء وطلاب العلم إلى الإخلاص في النهوض  
 بالأزهر ، فإن الإخلاص في ذلك إخلاص لله ولرسوله وللمؤمنين ، وللدين الحق  
 الذي وعد الله أن يظهره على الدين كله ، وجعله هداية عامة لجميع البشر

### احترام حرية الرأي

ونصيحة أقدمها للعلماء وطلاب العلم في الأزهر راجياً تدبرها ، وهي احترام  
 حرية الرأي ، والتخرج من الاتهام بالزندقة والكفر  
 ولا أطالب بشيء يعد بدعة ، ولا أحدث في الدين حدثاً بهذه النصيحة ،  
 فهي موافقة للقواعد التي وضعها سلف الأمة رضي الله عنهم وترونها مبسطة  
 واضحة في كتب الأصول وفي جميع كتب الإمام الغزالي  
 وحاصلها - على ما أذكر - أن المسائل الفقهية يكفر منكراً الضروري منها (٢)  
 كالصلاة والزكاة ، وحرمة الزنا وشرب الخمر ، وقتل النفس والربا

(١) هذه المسألة مما زاده الشيخ الأكبر في خطابه ولم يكن مكتوباً فيه ولكننا  
 سمعناه منه (٢) المراد من الضروري هنا المعلوم من الدين بالضرورة لا الضروري  
 في العمل أي الذي يضطر الناس إلى العمل به ، واشتراطوا في كون هذا المعلوم  
 بالضرورة مكفراً أن يكون مجمعا عليه ، وهو يشمل العقائد والأحكام وأهل الشيخ  
 ألا كبرخص المسائل الفقهية بالذكر لأجل التفصيل الذي ذكره بعد فيها





أما إنكار أن الإجماع حجة ، وخبر الواحد حجة ، والقياس حجة ، فلا يوجب الكفر ، وما عدا ذلك من المسائل الفقهية لا إثم في إنكاره مطلقا ، على شرط أن يكون الإنكار غير مصادم لنص أو إجماع

على هذا أجمع الصحابة رضي الله عنهم ، وأجمع عليه الأئمة ، ولم يعرف أن بعضهم آثم بعضا

واجمال القول أنه مادام المسلم في دائرة القرآن لا يكذب شيئا منه ، ولا يكذب ما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم بطرق قاطعة ، فهو مسلم لا يحل لأحد أن يتهمه بالكفر

عرضت لهذه النصيحة لأنها تسهل على أهل الأزهر معاشرتنا ، والعمل بها يمكن من نشر الدعوة ومن الجدل بطريقة المقبولة ، والعمل على خلافها متفرج يحدث الشقاق ويورث العداوة

أسأل الله أن يهبنا رشداً ، وأن يملأ قلوبنا خشية وهيبة من جلاله ، ويملأها عطفاً وشفقة ورحمة لعباده

وإذا كانت مهمة الأزهر حمل رسالة الإسلام للعالم ، فمن أول واجب على أهله أن يعدوا أنفسهم لتعلم اللغات : لغات الأمم الإسلامية وغير الأمم الإسلامية ، والله لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم

فليحقق الأزهر القدوة ، وليرسل إلى الناس رسلا يفقهونهم في دينهم بلسانهم ، وسأعني بهذه المسألة كما أعني بتشقيف اخواننا الذين أسماهم القانون «أغرابا» فان لهم من الحقوق والحرية في هذا الوطن ما لكل فرد من أهل البلاد . وأرجو أن يفكروا طويلا فيما يفرضه عليهم دينهم من الهداية والارشاد وإسعاد المجتمع

وخليق بنا أن نذكر بالحضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم من منن وأياد بيضاء على المآهد الدينية ، وأن نسأل الله جلّت قدرته أن يسبغ عليه نعمة العافية ويدبم على هذه المآهد خيره وبره ، وأن يحفظ حضرته صاحب السمو الملكي أمير الصعيد ولي عهده المحبوب . والسلام عليكم ورحمة الله .



# الهمزيتة في مدح خير البرية

والدفاع عن الدين ، والرد على المبشرين

( نظمت بمناسبة احتفال الأمة الاسلامية بالمولد الشريف لعام ١٣٥٤ )

بقلم ( الاديب الشاعر ) اليوزباشى محمد توفيق علي

النور المحمدي - الشريعة السمحة - تحريم الخمر - نجاسة الكلب والتحذير -  
حكمة الطلاق - حكمة تعدد الزوجات - تبشير الانجيل والتوراة بنبي الاسلام (ص) -  
المبشرون بعيسى (ص) - نقائص معقدة - مقارنة بين معجزات المسيح ومعجزات  
غيره من الانبياء والرسل - وجوب توحيد الخالق جل وعلا - التجاء الناظم اليه تعالى

النور المحمدي

ذلك النور ساطعاً والضياء	وضفه عنه يقصرُ البلاء
نورٌ من سبج الحمى في يديه	وجرى منهما وقاض الماء
أكمل الخلق صورة يبدع الله	تعالى من نوره ما يشاء
مرسل جاوز السموات سبعا	واليه تناهت العلياء
وارتقى حيث لا ملائكة الله	تعالى ارتقت ولا الانبياء
صاعداً في معارج القرب يحدو	السنا ضافيا ويغشى البهاء
ذو محيا يصبو له البدر عشقا	وله تنتمي ضياء ذكاء
رحمة كله وعلم وحلم	ووقار ونجدة وسخاء
مثل من أنجبت (كريمة وهب)	لم تلد عاقر ولا عذراء

( الشريعة السمحة )

ذو آتى بالنسيم ذكراً حكماً فاذا الارض جنة والسماء  
وحيه للعقول روح وربها ن وفيه من كل داء شفاء



آية منه تعجز الانس والج ن ولو أن كاهن فصحاء  
لم يكذب موسى وعيسى، وبغياً كذبه الشرور والاهواء  
كيف تأتي على الشرائع آيات وضاء وسمحة غراء  
وكتاب مفصل عربي؟ ليس يرضى بذلك البخلاء  
كلما يرتقي الزمان يرى الخير ر أفاضته ملة تسخا  
سكنت صفوة الشرائع في كأ س بها ترتوي العقول الظماء

## (الخمر)

واشهد اليوم ضجة تنكر الخمر وكأسا عنها سلا الندماء  
بؤرة الشر والجرائر والآ تام ، أفنى بذلك الحكماء  
رب بيت أقامت الخمر فيه أجفلت عن رواقه السراء  
فالعقول اشتكت الى الله منها والكلى والكبود والاحشاء  
حرمتها دهرآ حكومة أمريـ كا ونادى برجسها الفضلاء  
ثم عادت تلغي أوامرها بعـ د اعتداء وضلت الآراء  
وضيأتي يوم قريب تزول الـ خمر فيه وتصرع الفحشاء  
ويرى الناس أن شرع أبي القا سم خير ونعمة وهناء

## (الكلاب والخنازير)

أثبت الطب فضل شرعك والمج هر والباحثون والعلماء  
فلعاب الكلاب سم زعاف ولحم الخنزير داء عياء (١)

(١) انشر إنشاء المستشفيات للمعالجة من داء الكلب وأثبت العلم وجود ديدان  
سامة في لحم الخنزير لا تقتلها درجة الغليان







## (الطلاق)

واشترع الطلاق أصبح في الـ دنيا مباحا يقره الفقهاء  
عائقته كرها محاكم أوربا ونادى بنفعه الاذكاء  
كيف عيش الزوجين خانهما الـ محب ولج الاذى وحال الصفاء  
أعدوان يقرنان بحبل ؟ حالة لا يطبقها السجناء

## (تعدد الزوجات)

(جنسهن اللطيف) يزداد عدأ ذلك مايقوله الاحصاء<sup>(١)</sup>  
حقدا اليوم الاجتماع مريضا واعتناق الزوجات فيه الدواء  
ليس في غيرة النساء من المحـ ظور ما تستثيره البأساء  
كيف تقوى فضلى على عنت الله ر وما قد يحجره الاغواء  
خترهن من ثلاث ومثنى ورباع شمارهن الاخاء  
فمن العدل بينهن وفاق والمساواة ألفة وهناء  
وهو فرض على الممدد لا يقدوى على حمل ثقله الضعفاء  
إن في رفق شرع أحد بالأنـ شى لفضلا يحله الشرفاء  
وقديما حتى الضعاف ونجا هن مما يخفنه الاقوياء

(تبشير الانجيل والتوراة بنبي الاسلام ﷺ)

عظمت تلكم الاناجيل والتوراة لولا تقول واجتراء  
أي عهد — لكنهم ضيعوه إنما يحفظ اليهود الوفاء

(١) ومن ذلك الاحصاء ما جاء بالصفحة السابعة بالعمود الخامس من جريدة

الاهرام الغراء الصادرة في ٣-٥-١٩٣٥ تحت عنوان (النساء كثيرات) من أنه يوجد

في ألمانيا وحدها ثمانية ملايين ومائتا ألف امرأة زيادة عما فيها من الرجال



بدلوا الوحي والرسالة إطفاء . لنور ما إن له إطفاء .  
 شهد الصادق المسيح عليهم في الاناجيل أنهم أشقياء  
 في ثياب الحملان منهم ذئاب خاطفات فما هو أنبياء .  
 فاحذروهم وإن أتوا بالاعا جيب فليسوا مني وهم أدعياء .  
 لست أرضى من قال يارب منهم لي ولكن يرضيني الخنفاء .  
 ذلكم ما رواه إنجيل « متى » فليراجع نصوصه القراء .\*

### المبشرون بعيسى (ص)

عجباً للمبشرين بعيسى أمة دينها الهدى والصفاء .  
 بعد ما بشر المسيح بهادياً بها كما بشرت به الانبياء  
 فهو (نور الحق) الذي لفت النا من إليه المسيح وهو (المزاء)  
 وليراجع من شاء إنجيل (يوحنا) ففيه للباحثين الرضاء (١)

(\*) جاء بالأصحاح السابع من إنجيل متى عدد ١٥ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ قول المسيح  
 « احترزوا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان لكنهم من داخل  
 ذئاب خاطفة . ليس من يقول لي يارب يدخل ملاكوت السماء بل الذي يفعل إرادة أبي  
 الذي في السموات . كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب أليس باسمك تنبأنا  
 وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ فحينئذ أصرح لهم أني لم  
 أعرفكم قط ، اذهبوا عني يا فاعلي الاثم

(١) ورد بالأصحاح الخامس عشر من إنجيل يوحنا بالآيتين ٢٦ و ٢٧ قول  
 المسيح عليه السلام - ومتى جاء (المعزي) الذي سأرسله أنا إليكم من الآب (روح  
 الحق) الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أتم أيضاً لأنكم معي  
 من الابتداء - وجاء بالأصحاح السادس عشر منه بالآية ٦ قوله عليه السلام - لكني  
 أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم (المعزي) -  
 وبالآيتين ١٣ و ١٤ وأما متى جاء ذلك (روح الحق) فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه  
 لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به





وهو ذاك النبي يُسأل في الآز  
فلقد بشرت ببعثته التو  
فهو ذو من (جبال فاران) مبعو  
أينع الوحي وازدهى في ذراء  
وتجلى على البسيطة نور  
حكم حين أنزلت ختم الوح  
وطوت معجزات كل رسول  
جبل عنه يحيى فأين الخفاء (١)  
راة لولا جحودهم والمراء  
ث ومن تلکم الجبال [حراء] (٢)  
وتغنى فأطرب الانشاء  
وكسا السكون رونق ورؤاء  
بي وتمت على الوری النعماء  
ولها الخلد وحدها والبقاء

### نقائض معقدة

يا لها من نقائض تخرج الفم  
واعتماد معقد ذنب الضب  
يُصلب الرب في خطيئة عبد  
لم لم يغفر الخطيئة عفرا  
إن يكن ربكم فمن كان يدعو  
إله في وجهه يبصق الأش  
لم لم يقطع اليهود أبوه  
م عليها لبس وفيها التواء  
لديه محجة واستواء  
كيف يرضى بذلك العقلاء  
نأ له فيه عزة وإباء  
ربه وهو خاشع بكاء  
رار هزواً ويزدري ويساء  
كيف تنسى حنوها الآباء

(٢١ و ٢٢) يحيى بن زكريا عليها السلام وهو المعروف في الإنجيل باسم يوحنا المعمدان  
فانه لما جاء قومه كما هو مذكور بالإنجيل يوحنا بالاصحاح الأول بالآيات ١٩ و ٢٠  
و ٢١ و ٢٢ وسألوه أنت النبي أجاب نقياً وهذا نص الآيات سالفة الذكر ١٩ وهذه  
هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت  
٢٠ فاعترف ولم ينكر وأقر أنه لست أنا المسيح ٢١ فسألوه إذاً ماذا . إيليا أنت؟  
فقال لست أنا . النبي أنت فأجاب لا . وإذاً فقد كانوا يترقبون بعثة النبي (ص)  
وذلك لما هو مذكور عندهم بالتوراة من أنه يبعث رسول من جبال فاران وهي جبال  
يمكة منها جبل حراء الذي مازال ينقطع فيه (ص) للعبادة إلى أن أوحى إليه



وبكم باع ذا الجلال يهوذا واشترى منه ربه الاعداء  
(أثلاثون فضة) ثمن الله؟ تخطاه بيعهم والشراء  
بل أحبوك مسرفين وغالوا في ولاء هُذالك منه براء

مقارنة بين معجزات المسيح وغيره من الانبياء (ع.م.)

أم لأن المسيح قد أنجبته	ذات طهر صديقة عذراء
مثله آدم فهل كان ربا	آدم؟ أو إلهة حواء؟
أم لأن المسيح أحيا فتاة	إذ دعا الله فاستجيب الدعاء
حزقيال النبي أنشر جيشا	عاش فيه البلى وجمال الفناء <sup>(١)</sup>
أم مشى فوق لجة يتهادى	فارعوى خاشعاً وقرّ الماء
فالمصا قد علمت انغلاق البحر	ر لموسى بها وحل القضاء <sup>(٢)</sup>
وله البيئات والجبل المنتوق	والن واليد البيضاء
ونخير الورى المكمل صلى الله	والمتقون والاصفياء
معجزات ما ان يلم بها الحف	مر ولا يستطيعها استقصاء
نصرته الرياح والرعب في (الحنة	دق) حتى تشقت الحلفاء <sup>(٣)</sup>
وتراءى جبريل يسطع في (بد	ر) تليه كتيبة شهباء
وله الجذع حن والقمر انش	ق وظهر البراق والامراء
ومشت أيكاة إليه دعاها	تسحب الجذع غضة خضراء
ولكم سمع إذ دعا ربه الغيث	ولانت لوطته صفواء <sup>(٤)</sup>

«١» من أنبياء بني اسرائيل وقصته مبسوطة في سفره من العهد القديم وليس

بنايت عندنا «٢» المنتوق المرفوع «٣» الحلفاء قرش وعظفان ويهود

«٤» الصفواء الصخرة الملساء



ماله إن مشى على الارض ظل ساطع النور ماله أفياء (١)  
وظلاله بل منه ظلمت الشمس لزما غمامة وطفاء (٢)  
كم دعا الله والقضاء قليل قما واستفاض ذاك القضاء

### ﴿وجوب توحيد الخالق جل وعلا﴾

آن الارض أن تقدس ربا واحد الذات ماله أجزاء  
آدم عنده ونوح وموسى والسيح الذي نجل سواء  
وغني عن العباد جميعا ما له زوجة ولا أبناء  
وله الخلق أجمعون عبيد وله المجد كله والبهاء  
ورءوس الطغاة موطنه نعليه (٣) وتلك الجلالة القمساء  
ملا الكائنات حسنا ولكن لا ترى الشمس مقلة عمياء  
فهو نور سطا على كل نور خفيت في ظهوره الاشياء  
تتلاشى الشمس فيه وتخبو وتغيب البروج والاضواء

\*\*\*

أيها المشرك المعدد وَّحد ان قول المعددین هراء  
لومع الله في السموات والارض شريك لقامت الشحنة  
بل هو الله واحد ماله في ال ملك ثان ولا له أكفاء

\*\*\*

أيها الجاحد المعطل صدق لا يكن من هداتك الاغبياء  
وانظر الارض والسماء وفكر هل بلا صانع يقوم البناء؟

(١) الأفياء الظلال (٢) الوطفاء المسترخية الجوانب لكثرة ماؤها

(٣) المنار: هذا كناية عن قهره تعالى لهم وهو تعبير يتوقف على النص ولم يرد

ولكن ورد لفظ (القدم) في قهر جهنم





انما الارض ذرة في رحيب ال ملك فالملك شامع والفضاء  
 فاعبد الله لست شيئاً ولا تسك نمر وتذهب بملك الحيلاء  
 أنت رد على جحودك قاض فصلته العروق والاعضاء  
 التجاء الناظم إليه تعالى

ما الذي تبلغ النوائب مني يا مليك ولي اليك التجاء  
 أنت درعى وأنت سيفى ورحمى ونبالى وعسكري واللواء  
 لا أبالي وذو الجلال نصيرى أن خصمي الملوك والوزراء  
 لست بالاقوياء أحفل لكن إن شكاني لمذلك الضعفاء  
 لك يارب بطشة إن تعاقب عندها الارض والسماء هباء  
 إن تكن غاضباً علىّ تعالى ت فلا ناصر ولا شفعاء  
 عملي سيء وظلمي لنفسى ولاغيرى تضج منه السماء  
 أستحق الصلي في النار لكن لي في عفوك الكريم رجاء  
 ليس مثلي لجنة الخلد أهلاً كيف ترنو المذنب حوراء  
 ذلك الفضل في غنى عن طلوحى انما يستحقه الصالحاء  
 رب نعمى على جحود تولت ما لنعمى على جحود بقاء  
 كيف آسى على سرور تولى ويسار أودت به ضراء  
 إن من كنت كنزه وغناه يستوي الضيق عنده والرخاء  
 ليست الكيمياء منا بعيداً انما حمد ربنا الكيمياء  
 لست أخشى ضلالة ولقلى بسنا وجهك الكريم اهتداء  
 فاهدنا للفلاح والخير والتقى وى فنك الهدى ومنك الحياء  
 واحمنا في بلادنا من أوربا سيلها جارف ونحن الغشاء  
 (انتهى)



## كتاب الوحي المحمدي

لداعية الاصلاح العالم المستقل ، والمناظر المستدل ، الاستاذ الشيخ مصطفى أحمد الرفاعي اللبان بأسبوط وهو مما جاءنا بعد الطبعة الثانية ( قال ) .

نظر أبو الغلاء المعري إلى نفسه فرآها وقد صفت ونجت من مزالق معظم النفوس وأدرك عقله نقيا من الخرافات والالوهام التي أضلت العقول ، وألفى روحه غنية بالفلسفة الصحيحة التي ترى في المادة ستاراً كثيفاً يسدل على الحقائق ، ووجد شاعريته فياضة بأرق المعاني ، في أدق الالفاظ والمباني ، فتهتف من أعماق قلبه مثشداً وإني وإن كنت الاخير زمانه لآت بما لم تستطعه الاوائل

ونحن بدورنا ننظر إلى نفس السيد محمد رشيد رضا صاحب المناظر فتراها وقد تأشربت حب الدين الاسلامي الحنيف والدفاع عنه إشراباً ، ونرى عقله وقد أدرك أسرار الاسلام إدراكاً ، وتلفى روحه صافية نقية قد أنجبت أسمى الآثار إنجاباً ، ونسبح في مؤلفاته فنعمه الطود الأشم والفراس المجلى ، والمحقق النادر المثال ، والكاتب المبعوث الذي لا يشق له غبار ، ثم تقع في سياحتنا على كتابه ( الوحي المحمدي ) فنقف طويلاً ونهتف مثل ما هتف المعري مثشدين مخاطبين السيد الرشيد المرشد :

وأنت وإن كنت الاخير زمانه أتيت بما لم تستطعه الاوائل  
ولقد كنا نؤمن بأن الله تعالى أوحى الى عبده ورسوله ﷺ ما أوحى ،  
مستدلين بنصوص القرآن الكريم وبعض البراهين العقلية التي تخير (؟) الوحي الى  
النفوس الضافية الراقية ، ولكننا كنا قادرين أن نقنع بهذا ذوي العقول العصرية ،  
وأولي البحوث الدقيقة القوية ، فاذا دار النقاش بيننا وبين فريق من هؤلاء لم يعجبهم  
كثيراً ما ندلي به ، وألقوا في سبيلنا عقاباً ، وافتجروا (١) حفرأ وأقاموا متاريس ،  
(١) افتجروا الكلام اختلقه لم يتبع به احداً ولم يتابعه عليه أحد . فلعل الاصل :  
افتجروا شياً ، واحتفروا حفراً



وغرسوا أشواكا، فتنتهي المناظرة ولا اقتناع ولا رضا، وينشر عنا المعجز عن بيان وجه الحق في هذه المسألة مع أهميتها ونفاستها ونفعها العظيم إذا أحسن تبليها، وأتقن توجيهها وعرضها على طالبها، فكان كتاب (الوحي المحمدي) للسيد الشريف والمصلح الكبير، أستاذنا محمد رشيد رضا صاحب المنار وافيًا بالمطلب على أتم وجوهه، كافيًا في الاقتناع لا كبر متشبث متعنّت، حجة صادقة لا تدفع على صحة الوحي الرباني لرسول الله ﷺ سيد العالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يرى القاري الوحي المحمدي مقدمة وجيزة بدعة تجمل الكتاب وتبرز مفزاه في صورة مستملحة جزلة طيبة، يعلم منها ما يحجب الأفرنج عن الإسلام: من الكنائس المعادية، والسياسية الخادعة، وحال المسلمين الواهية، وما يعوق الجانب عن فهم القرآن: من جهل بلاغته، وقصور ترجمات القرآن عن إدراك غايته، وعدم وجود دولة إسلامية تدافع عن هدايته، ويفهم منها القصد من الكتاب على أتم وجه من وجوه الصواب. ويجول القاري بعد ذلك في جنة الكتاب الغناء فيعرف معنى النبوة والوحي والرسالة وحاجة الناس إليها، ويدرك عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومقدار ما جنت عليها كتب السابقين بما يجري على الشرور والمفاسد، ويتيقن وجوب إيمان الناس برسول الله ﷺ فاتباعه هو الدواء الناجع لأدواء الهيئة الاجتماعية. ويتنقل القاري من شجرة النبوة الوارفة الظلال إلى أن نبوة الرسول ﷺ هي الممتازة، فنبوة الأنبياء الأسراريين كانت - على قولهم - أشبه بصناعة تتلقى في مدارس خاصة، ونبوة موسى الكليم عليه السلام قد ينكرها الملاحدة، لأنه تربى في بيت فرعون وهو يبت علم وتشريع، فلا عجب إذا جاء بشريعة كالتوراة. ونبوة المسيح عليه السلام يعقب عليها الملاحدة أيضا فينقصون قدرها وينقصون من قيمتها، ويقولون إنه لم يأت بشيء جديد. وأما نبوة الرسول ﷺ فلا يمكن الطعن عليها بمثل هذا لأن سيدنا محمداً ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولا يتصل بمبيئة علم أو شريعة، فجاء به هذا الدين دليل صدقه وحقيقة رسالته. والحقيقة أن نبوة الرسول ﷺ مثبتة لغيرها من النبوات لا تصح إلا من طريقها ومشكاة نورها





ویمتلیء القاريء بعد هذا علما وتحقیقا حين یقرأ الفصول البلیغة عن الادلة العقلية والكونية علی صدق الوحي المحمدي الالهي فیطمئن قلبه وتستريح نفسه به وينشرح صدره : ویشکر الله توفیق السيد رشید حتی ألف هذا الكتاب الذی أنار طریق الوحي بألاف المصاییح الکهربائية الساطعة القوية . ثم یرتوي القاريء من نهر فیاض عذب صاف یجري منه التحقیق ذهبیاء سجديا ، فیعرف مقاصد القرآن الکریم وهدایته للبشر وإظهار الحق فی الايمان بالله تعالی وفي عقيدة البعث والجزاء ویلمس الاصلاح القرآنی العظیم للنفس والروح والجسد والافراد والجماعات ، والنهضة التي أزجها فی الدولة والسیاسة والاجتماع والاقتصاد والآداب وحياة الاسرة . فاذا انتهى من الكتاب خرج منه بکنز ثمين من العلم الصحیح النقي ، وانتقل الی جو من السعادة فسیح بما وصل إلیه من هدوء فی نفسه واطمئنان فی قلبه ، واقنعاع فی عقله بملك نفسه أن یصیح : حیاک الله أيها السيد الرشید لقد سدت باصلاحک ، ورشدت بمباحثک القيمة الدالة علی اشراق نور الحق فی قلبک ، فهنيئلا لک عملک ، ومشکور لک سمیعک

ولقد استوعبت کتاب الوحي المحمدي وهنئت باغترافه وارتشافه عدة مرات فرأيتہ رحيقا من العلم مختوما ختامه مسک وفي ذلک فلیتنافس المتنافسون . وأنا أشهد صادقا أن السيد أدى بکتابه إلی العالم الاسلامي أجل الخدمات ، وعبد للباحثین من الغربيين والعصريين منهج البحث الهادي ، الرزين ، القوي البين ، وأسقط حجج الذين كانوا یحتجون بأنهم غیر واجدين من یقدم لهم المطالب سائفة ميسورة . وسيكون له ان شاء الله أثر جلیل فی توجيه المباحث الدینية وجهة طيبة فی صالح الاسلام ومستقبله العتید باذن الله . ولقد ظهر اخلاص السيد فی کتابه فطبع مرتین فی أشهر وأقبل علیه الشرق والغرب وترجم الی عدة لغات . أدام الله نفعه ونشر شذاه وعرفه ، وأطال عمر السيد لیتحف العالم الاسلامي بدوره الغالية وتحقیقاته السامية انه أکرم مسئول وعلی کل شيء قدیر .

مصطفى أحمد الرفاعي اللبان

(المؤلف) ذات المقرظ الکلام فی دعوة علماء شعوب الحضارة الی الاسلام

وتفہیمهم بمنجزات القرآن



## ﴿الوحي المحمدي﴾

بقلم الاستاذ العلامة المتكلم الفقيه الكاتب النظار ابراهيم إطفيش الميزابي الجزائري  
 أجل كتاب في علوم القرآن ، وأنخم سفر في جلال القرآن ، ومعجزة من  
 معجزات القرآن . كتاب (الوحي المحمدي) طالع أيها المميز بالقرآن ، ويا طالب  
 منهاج الهداية المحمدية هذا السفر الجليل تر أبدع مؤلف وأسنى ما جاء به القرآن  
 من هداية البشر أجمعين ، إن (الوحي المحمدي) علم وفق الله اليه مؤلفه العلامة الجليل  
 السيد رشيد رضا ، علم مستخرج من كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من  
 بين يديه ولا من خلفه ، لقد كتب في علوم القرآن كتب كثيرة ولكنهم لم تبلغ  
 أن تأتي بما جاء في الوحي المحمدي حتى أصبح هذا الكتاب آية في الابداع ،  
 وغاية في كشف معاني الكتاب المنزل على قلب محمد ﷺ . فيه الحجة على البشر  
 أجمعين ، إن القرآن يدعوهم إلى الانضواء تحت لوائه ، ضامننا لهم كمال السعادة ،  
 والشمول بالنعم الرحمانية وجلال العزة ، إنهم أخذوا بما جاء به من عند الله الرحمن  
 الرحيم ، كشف هذا الكتاب منهاج السعادة للأتم ، وسبل الهداية الشاملة لطبقات  
 البشر وأجناسه ، حتى أصبح علما برأسه ، يجب أن يعتنى بتدريسه بين الفنون العالية  
 لتخريج رجال عالمين في الهداية إلى شريعة الله التي أكملها وأتم بها نعمته على خلقه  
 لقد أخرج المصنف هذا الكتاب للامم ، وهو أحسن ما أخرج للناس من  
 جهود العلماء ، فلا ريب أن العلماء في جميع الامم سيقبلوا بالقبول وسيترجم إلى  
 جميع اللغات ، لانه هو الكتاب الذي تنشده اليوم العقول السليمة في كل الشعوب  
 وسيهتدي بهداه من أراد الله له السعادة من بين أولئك العقلاء الذين يسمعون  
 وراء الحق لانه الحق ، ويدركون أن القرآن كتاب من عند الله هدى وبشرى  
 لأولي الالباب ، لا سعادة للبشر إلا به ، ولا سلام إلا باتباع هديه  
 وعلمي أكون قد أدبت واجبا إذا لاحظت للمؤلف الجليل أن يعيد النظر في مسألة  
 الرقيق فان الاسلام جعلها حكما مستمرا لما فيه من حكمة اجتماعية ، ولم يوجد وضعا  
 لا بطل الرقيق بالتدريج السريع ولكن الرقيق يبطل بطبيعته إذا دخل كافة الشعوب  
 في الهداية الربانية فوحدوه وعبدوه واتبعوا النور الذي أنزل على محمد ﷺ وعلى آله



( أول كتاب من حضرة صاحب السعادة هارون سليم باشا أبو سحلي )  
( مدير المنوفية في ذلك العهد )

سيدي الاستاذ الاجل السيد محمد رشيد رضا  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ( وبعد ) فقد وصلني كتاب الوحي المحمدي  
الطبعة الثانية يوم سفري في رحلة بحرية إلى مرسيليا وكانت فرصة لمطالعة كله  
وقد خرجت منه بأنه خير ما أخرج للناس في موضوعه وقد أعطيت التعليمات  
لجلس المديرية لطلب ٦٦ نسخة ليكون في كل مدرسة أولية وابتدائية نسخة  
ولما كان واجب كل مسلم نشر هذا الكتاب بأوسع ما يمكن أرجو أن ترسلوا  
باسمي ٣٠٠ ثلثائة نسخة على محطة شين الكوم لتوزيعها ، وثمنها ٣٠ جنيه حسب  
البيان الوارد في كتابكم نرسلها عند إتمام التوزيع . وأختم كتابي هذا بتوجيه  
واجب الشكر لكم تلقاء هذا المجهود العظيم المضي ، وأني في انتظار الجزء الثاني ولم  
وافر التحية من المخلص في ٣١ أغسطس سنة ١٩٣٤ هارون سليم

( المؤلف ) ان هارون باشا هذا من خير رجال حكومتنا عناية بالدين علما  
وعملا ، بل لا نعرف له في رجال الادارة مثلاً ، وقد طلب منا بعد ما تقدم مائتي  
نسخة ثم ارسل ثمنها ، ولما كان المجهود من امثاله رجال الادارة أن يوزعوا على  
وجهاء مديرياتهم كثيرا من الكتب غير النافعة محاباة لاصحابها فيقبلها الوجهاء  
ارضاء المدير على كراهة موضوعها وغلاء ثمنها ، وكان يعلم أن مثلي ينكر ذلك  
عليهم - كتب إلي أنه لم يتبع سننهم وإنما بين للوجهاء موضوع الكتاب في إقامة  
حجة الدين وبيان حقيقته وأنه يعتقد أن قراءته واجبة عليهم وعلى أولادهم ولا سيما  
تلاميذ المدارس ويخيرهم ، وأني اذا شئت كتب الي أسماء من اشتروه لأسلمهم ،  
فكتبت اليه لا إنكار على من يدعو الى الله فيما يتخذ من حض الناس على معرفة  
حقيقتهم واصول دينهم ، فانه يصدق على هؤلاء ما صح في حديث من « يقادون  
الى الجنة بالاسلأل » ثم اتفق ان رأيت نقيب الاشراف المنوفية بمصر فأخبرني  
بمسلك المدير في الترغيب في الكتاب وكيف تلقوه بالقبول شاكرين





## ( تقریظ جريدة حضارة السودان )

أهدتنا إدارة مجلة المنار الغراء كتاب ( الوحي المحمدي ) الذي ألفه العلامة المحقق مصباح الاسلام السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار الغراء وقد جاءت مباحث هذا الكتاب كسائر مباحث مؤلفه الثمينة سواء في تفسيره القرآن الكريم أو في مباحث مجلة « المنار » نوراً وهدى للناس في تبيان حقائق الدين الاسلامي فهو بلا ريب فتح جديد في الدعوة الى هذا الدين الحنيف القويم، وقد تمكن مؤلفه وهو ذلك العبقرى الديني الذي سيطر دين الاسلام بلحمه ودمه من أن يوفق بين الدين والعلم بطريقة يعجز غيره عن الاتيان بها، فالرجل عالم قوي الايمان وناهيك ما تنتجه قوة الايمان اذا توافر معها العلم، والكتاب نفدت نسخ طبعته الاولى قبل أن يحول الحول على طبعها لتهافت العوالم الاسلامية على النهل والعلل من مورده العذب، وقد صدر طبعته الثانية بمقدمة استغرقت عشرة مباحث هي وحدها تعد كتاباً، ثم اتى بعدها بفاتحة لها قد اشتملت على اربع مسائل، ثم انتقل الى الفصل الاول وهو يشمل ست مسائل، فالفصل الثاني وفيه عشرة مسائل فالفصل الثالث وقد اشتمل على ١٧ مبحثاً فالرابع وقد اشتمل على ستة مباحث فالفصل الخامس وقد اشتمل على ٧٥ مبحثاً . وما من مبحث من هذه المباحث يمر عليه المطالع الا ويشعر أنه في أشد الحاجة الى تفهمه من الوجهتين الدينية والمدنية . وقد ذيلت طبعته الثانية بنحو ٢٣ تقریظاً في مقدمتها تقریظا العاهلين العربيين ملكي الاسلام، الامام يحيى حميد الدين امام الهمز وصاحب العظمة السلطان عبدالعزیز آل سعود ملك الحجاز ونجد، في كتابين موجّهين من لدنهما الى المؤلف، وتقریظ صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي المصلح الاسلامي الكبير المعروف لدي سكان هذه البلاد، وتقریظ أمير البيان المشهور الامير شكيب أرسلان، وغيرهم من الائمة الاعلام ورجال العلم والدين

وإنا انرى أن هذا السفر واجب على كل مسلم وجوباً عينياً ان يطلع عليه وان يتفهمه ليتذوق منه جلاوة الاسلام ويرى بمرآته بهجة القرآن ونوره ساطعاً يهدي الى سواء السبيل

عن حضارة السودان بتاريخ ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٣٤



( كتاب للفاضل الغيور الشيخ محمد عثمان - في إلهة - غيا )

( بسم الله )

حجة الله على العالمين فضيلة الاستاذ الأتم ، والمصلح الأعظم ، السيد محمد رشيد رضا المجدد لدين الله والناشر لوجيه ، أمد الله له في الحياة منصوراً ، ولا زال لألاء كلمة الله ظهيراً . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ( وبعد ) فأرفع لفضيلتكم بأنه واقاني كتابكم الوحي المحمدي فخرت ساجداً لله شكراً عندما ظهر لي انتصار نوره الساطع ، النذر من لا يؤمن به بعذاب واقع ، ما له من دافع ، وكم كان فرحي عظيماً ، وسروري جسيماً ، لا أستطيع أن أشرحهما ، فتلوته مراراً وكما كررته ازداد شغفي حباً لتلاوة كتاب الله وتدبر معانيه ، وزادني همة ونشاطاً في تبليغه إلى أبناء وطني المهاجرين ، وحضهم على نشر الدين في هذه المستعمرة وأحيائها التي تقلص منها ظل الاسلام السائد سابقاً ، وتهدمت فيها لغة القرآن ، وتقوض منها مجد الاسلام العربي الزاهر ، في العصر القابر ، بسبب تفريط مسلميه في نصرته وركونهم إلى التوسل بأصحاب القبور والتقرب اليهم بالقرايين والنذور ، والآن بفضل الله وإرشاد مناركم الأغر ، شرعت تتلاشى البدع والخرافات ، وتضمحل العقائد الفاسدة في أبناء الناطقين بالضاد

نعم يا صاحب الفضيلة لقد أرمتمونا بنعمكم الروحية ، وتعاليمكم الدينية ، التي أخرجتنا من حيرة بأي لسان تقدم شكراً ، وجوارحنا وإحساساتنا كلها ألسنة شكر ، ياليت شمري كيف أشكر ، ويابح قلبي كيف أثني وأحمد بعد أن أثنت عليكم بنجوم الهدى ، وكواكب الارشاد ، وشمس البلاغة ، وأعلام الاسلام ، وأرباب الاقلام ، وأمراء البيان ، ولا يسمعي والصفاء إلا الدعاء لكم بما يحبه الله ويرضاه ، وأن أهنئكم بأصدق التهاني على نجاحكم الباهر في هذه المساعي الجليلة للاسلام وأهله التي سيشتاقها كل سيد ، ويقصر عن إدراكها المتناول ، لاسيما إبرازكم لهذا الوحي المحمدي



المقدس أمام الأديان والملل تقيا من الخرافات والبدع التي ألصقتها به علماء السوء المبتدعون، وكن عليه حجابا من اعتداء العقلاء ومفكري الأمم الراقية بهديه المبين، ووسائل لمطاعن الملحدين، ومثالب المكذبين، ولما مزقت هذه الحجب الجسام ببیانك، ودمت حججهم ببلاغته السماوية، انقلبوا على أعقابهم خاسئين، بتعدي آياته الكونية وعجائبه العصرية، ومعجزاته السرمدية: فأخست أفواههم عن الجدل، وبهرت أعينهم عن الاحتقار، ودككت عقائدهم عن النضال، حتى آمنت القلوب، ولكن الالسة والأفواه بآيات الله يمجدون الخ

﴿ كلمة الاستاذ العلامة النقادة الشيخ محمد البشير النيفر التونسي ﴾

من علماء جامع الزيتونة الاعلام من كتاب طويل له في رمضان سنة ١٣٥٣ وكنت في أثناء هذه المدة أطالع مناركم المنير، وما يتخاف عني من أعداده أشتريه من إحدى المكتبات، وكان فيما قرأت من مباحث التفسير ما كتبتم عن الوحي المحمدي، فحمدت الله أن كان في علماء المسلمين في هذا العصر مثلكم، وكنت أقول: لو قرأ هذا منكرو الرسالة الحممدية بانصاف وفهموه حق فهمه لآمنوا بسيدنا محمد ﷺ كلهم أجمعون

وقد كنت قرأته في المنار متفرقا، ثم أعدت قراءته متصلا في الجزء الحادي عشر من التفسير، فجزاكم الله أفضل ما جرى به خادما لدينه، وبارك في عمركم نخرجون للناس أمثاله، فتكون كلمة الحق هي العليا، وكلمة الباطل هي السفلى

وما أنكرت فيه إلا كلمات في آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام أذكر أنني

رأيت مثلها في إحدى مقالاتكم في (شبهات النصارى وحجج الاسلام) اهـ

قد اختصرت في هذه الطبعة الثالثة أكثر التقاريف التي نشرت فيما قبلها وحذفت بعضها لطولها وما فيها من التكرار ونقل بعض مسائل الكتاب للتنويه بها أو مشاركة أصحابها لنا فيها، وبهذا وجدنا مكانا لغيرها، ولم نتصرف بشيء من ذلك بزيادة ماء ولا باختصار يغير المعنى





## ﴿ حكمة نشر هذه التقاريط ﴾

( ختمت بها تقاريط الطبعة الثالثة )

الغرض من نشر هذه التقاريط إعلام قراء الكتاب من غير المسلمين (ومن الجامدين على تقليد المتقدمين منهم الذين إذا رأوا كتابا في الدين لمؤلف عصري أعرضوا عنه ولم يقرءوه لظنهم أن الأحياء لا يوثق بعلمهم ) أن ما فيه من أصول الإسلام وحكمته متفق عليه ليس رأيا مني فيه ، وإن كان فيه مالا يوجد في غيره ذلك بأن الأحرار المستقلي الفكر منهم يقيسون دين الإسلام على غيره من الأديان فيظنون أنه أكثر عقائده وأصوله مسلمات غير متفقة مع العقل والعلم الصحيح والمصالح العامة ويظنون أن ما يسمعون من حكماء المسلمين موافقا لذلك هو رأيهم ، كما قال بعضهم في رسالة التوحيد للاستاذ الامام إنها فلسفة الشيخ محمد عبده سماها اسلاما ، وقال لي مستر متشل انس الانكليزي الذي كان وكيلاً للمالية بمصر مرارا عند ما كنت أشرح له بعض أصول الإسلام وحكمته : هذا فلسفة لا دين ، حتى قال لي مرة اذا كان علماء الأزهر يوافقونك ويوافقون الشيخ محمد عبده على ما نقولون فأنا أعلن أنني مسلم

وهذا كتاب فيه من حكم الإسلام في أهم أصوله وفروعه أكثر مما في رسالة التوحيد ومما كان يسمعه مني متشل انس وأمثاله ، وفيه من شواهد القرآن مالا يمكن أن يقال معها إنه من رأيي ، وقد اتفق على الشهادة له العلماء والادباء والكتاب في الاقطار ومن جميع الطبقات وفي مقدمتهم شيخ الأزهر بما هو صريح في تفضيله على جميع الكتب في موضوعه ( إثبات الوحي والنبوة وإعجاز القرآن وأصول الإسلام الدينية والمدنية ) وسيرون من فائدته في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام وفي تثبيت المسلمين في دينهم ما هو فوق ذلك إن شاء الله تعالى ، والله الفضل والمنة ( قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ) وصلوات الله وسلامه على رسوله محمد خاتم النبيين ، وآله وصحبه المهادين المهديين ، وجميع المهتدين بهديه إلى يوم الدين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين



## كتاب حياة محمد (ص)

(الحكم بين المختلفين فيه)

(٢)

( المنكرات التسعة التي خصها الاستاذ الشيخ محمد زهران بالذكر )

أبدأ بكلام وجيز على هذه المنكرات فأبين أنه ليس فيها شيء مما عبر عنه الاستاذ الشيخ محمد زهران بصوادم الحجج القاطعة ، التي لجأ إلي لاستئصال شأفتها بيواهر البراهين الساطعة ، ثم أعود إلى مسألة أحاديث المعجزات وهي أهم وأكبر فأقول

(١) قصة أبرهة والسكبة في الصفحة ٦٤

لم أر في هذه الصفحة شيئاً يصح أن يقال انه من الاحاد ، ولا من صوادم البراهين القاطعة ، ولا مما هو من مخالفة أصول الاسلام ولا فروعه . وخلاصة ما فيها ان أبرهة أجمع أمره على هدم البيت الحرام وان عبد المطلب ومن معه دعوا واستنصروا آلهتهم وانصرفوا وخلت مكة منهم ، وكان وباء الجدري قد تفشى في جيش أبرهة وفنك بهم فتكا ذريعا لم يعهد من قبل قط وأصاب العدى أبرهة ملكهم فأمر قومه بالعودة إلى اليمن وبلغ هو صنعاء وقد تناثر جسمه من المرض حتى لحق بمن مات من جيشه . قال : « وبذلك أرخ أهل مكة بعام الفيل هذا وقدسه القرآن بذكره » وذكر السورة بنصها ولم يقل في تفسيرها شيئاً ، فمهما يقل فيه فهو لا يرد عليه

(٢) أسطورة شق الصدر : هكذا عنوانه ص ٧٢

أخطأ الدكتور محمد حسين هيكل أن نقل خبر هذه المسألة عن مؤلف أصل كتابه بالفرنسية وسيرة ابن هشام واعتمد على نقلها له ، واستشكل وقوع ذلك في بني سعد إذ كان ﷺ في السنة الثالثة وكان المخبر الحليمه الخبير أخوه ابنها الرضيع للنبي ﷺ وهو في سنه



وقد أخرج هذا الحديث عنها ابن اسحاق وغيره من طريق عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب وهو لم يسمع من حليلة وإنما قال الذي أخرجه عنه انه قال حدثت عن حليلة ولم يذكر من حدثه . وقد أخرجه ابن اسحاق من طريق نوح بن أبي مريم وهو ممن ثبت عنهم الكذب ووضع الحديث . وعبد الله بن جعفر ولد في الحبشة في عهد الهجرة اليها .

وأخرج البيهقي وابن عساكر حديثاً آخر عن حليلة فيه هذه المسألة مطولة مخالفة للرواية الاولى في سياقها وفي موضع وقوعها وهي التي يذكرونها في بعض قصص المولد . وهو من طريق محمد بن زكريا الغلابي وقد قال الدارقطني أخرجه عنه : انه كان يضع الحديث وصرح غيره بكذبه أيضاً . فمن اطلع على هذه الروايات في تعارضها فله العذر في الطعن عليها مع استشكل متنها وكونه غير معقول ولكن مسلماً أخرج عن أنس ما يقوي معنى رواية عبد الله بن جعفر من طريق شيبان بن فروخ عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عنه وشيبان كان يهتم اي يخطئ وحماد هذا من أثبت من روى عن ثابت وليكن ثابتاً تركه البخاري وقد تغير بعد كبر سنه وساء حفظه، ويقال إن مسلماً تحرى من رواية حماد عن ثابت ما سمعه منه قبل تغيره . على أن أنساً نفسه كان بعد كبر سنه ينسى بعض ما حدث به وهو لم يرفع حديثه هذا الى النبي ﷺ .

وأخرج أيضاً عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر قال سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسري بالنبي ﷺ من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه — وهو نائم بالمسجد الحرام — وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني وقدم فيه وأخر وزاد ونقص ورواية شريك أخرجه البخاري في كتاب التوحيد برمتها وفيها ان قصة الاسراء والمعراج في جملتها ومنها شق الصدر كانت رؤيا منامية . وقد غلطوا شريكاً فيها من جهات خالف فيها من هو أوثق منه

« المنار : ج ١ » « ٩ » « المجلد الخامس والثلاثون »





وأقوى الروايات في شق الصدر حديث الاسراء والمراجع الطويل الذي أخرجه الشيخان عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة — وليس لمالك غيره — وفيه ان النبي ﷺ حدث عن ليلة أسري به قال «بينما أنا في الحطيم — وربما قال في الحجر — مضطجما إذ أتاني آت فقدت — قال وسمعتة يقول فشق — ما بين هذه وهذه — أي وأشار الى ثغرة نحره وآخر بطنه — فاستخرج قلبي ثم أتيت بعطست من ذهب مملوءة إيمانا وحكمة فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد » الخ وفي رواية شريك بن أبي نمر انه جاءه ثلاثة نفر وهو نائم وهم الذين تعاونوا على عملية شق الصدر وأشرنا اليها آنفا فأني لادكتور هيكل أن يحيط بهذه الروايات وأسانيدها واختلاف متونها الدال على روايتها بالمعنى في موضوع من الخوارق — ويحكم فيها بين ما حكاها عن المستشرقين وغيرهم حكما معقولا؟ ولقد كنت سئلت عنها فاختصت الروايات بأوسع مما هنا واستظهرت من مجموعها أنه تمثيل لتطهير قلب النبي ﷺ وحفظ نفسه من كل ما لا يليق به من وسوسة الشيطان والشهوات والاهواء كما تمثل له كثير من المعاني والحقائق في تلك الليلة وفي رؤاه الصادقة بصور مناسبة لمعانيها، ولعالم المثال في الكشف الروحاني شأن عظيم عند أهله . ومن المعلوم بالضرورة أن الايمان والحكمة اللذين حشيا في قلبه (ص) ليسا من المواد الجسمية التي توضع في الطست ثم تحشى في القلب . ومن شاء التفصيل في المسألة فليراجع الفتوى ١٢ من المجلد ١٩ ص ٥٢٩ - ٥٣٧ ودونهاف ٨ ج ٤ م ٣٣

وجملة القول أن الدكتور محمد حسين هيكل لم يطلع على حديث معتقد صحته .. ويعبر عنه بأنه أسطورة، فان كان مقصرا في هذا الاطلاع فليس بعلم باكثر مما يلام اكثر علماء هذا العصر ومما تلام عليه مجلة الازهر (نور الاسلام) بما تذكره كثيرا من الاحاديث الضعيفة ، وكذا الموضوعات أحيانا . فلا يصح ان يجعل طعنا في دينه



## (٣) مسألة بدء الوحي ص ٩٥

لا أدري ما الذي أنكره الاستاذ زهران من كلام الدكتور هيكل في هذه المسألة وأما أنا فإني أنكرت عليه متابعتة فيها لأميل درمنغام مؤلف الاصل بما يستدل به الماديون على دعوى الوحي النفسي الذي بسطته ورددت عليه في كتاب الوحي المحمدي بالتفصيل كما أشرت إليه في مقدمة المقالة الاولى وسأعود إليه ، فإني رأيت المنكرين على كتاب هيكل والمعجبين به سواء في عدم فهم هذه المسئلة المهمة وهي اساس الدين ، ولهذا أقول إنه يجوز أن يكون مثلهم لم يفتن لكون تلك المسائل العشر شبهات يستدل بها الماديون على أن ذلك الوحي ذكاء نفسي وعمل كسبي استعمله محمد ﷺ بما زعموه من الروايات الباطلة والآراء المخترعة التي فندناها في كتاب الوحي المحمدي تفنيداً

وأنكرت عليهم ما مع العلم بعذرهما الاعتماد على رواية سيرة ابن هشام في مسألة بدء الوحي وما صوروا به جزئياتها من التخيل الشعري الذي تعارض بعضه الروايات ، ولا شك في حسن نية هيكل فيها ومراعاته للادب الواجب ، فان كان الاستاذ زهران ينكر شيئاً كتبه بعينه فعليه أن يكتبه لنا ، لأن يكلفنا قراءة الكتاب كله والرد على كل ما أنكره هو منه لظنه أن رأينا فيه كراهيه ولكننا أقدر على الرد عليه بما « يروق الكفاة » ويخلب ألباب الخاصة والعامة » كما قال ، ورب شيء أنكره أنا من هذه السير لا ينكره الاستاذ زهران ، وقد ينكر إنكاري ان لم يقف على دليلي مفصلاً إنني يا أخي أنكر كل ما رواه ابن اسحق وما تبعه به ابن هشام مخالفاً لرواية الصحيحين في بدء الوحي حتى رواية عبيد بن عمير التي قال شيخنا الاكبر في الحديث ( الحافظ ابن حجر ) انه يمكن الجمع بينها وبين حديث البخاري في أول صحبته ، وما أظن أنك أنت ولا أمثالك من المبالغين في الانكار على كتاب ( حياة محمد ) تنكرون مثلي رواية رؤية النبي ﷺ ملك الوحي في المنام وتلقيه منه أول سورة العلق مكتوبة في صحيفة أقرأه إياها ، وهي رسالة لا ندري لعل الساقط من سندها



أحد زنادقة اليهود ، وأنكر كذلك جميع الروايات التي في كتب السير ودلائل النبوة في أنه ﷺ كان يرى ويسمع من الأبرهه اصصات ما اعتقد به انه سيكون نبي هذه الامة فتناقى به رجاؤه ، وأنا اعهد ان أمثالكم يطعن على من ينكرها أشد الضمن إلا من طريق علمي كجرح الرواة أو معارضة المتن بمخالفه القرآن مطلقاً والضمف فمنها لا يصحاح كإفعات في كتاب الوحي المحمدي مما تناقاه كل قارئه بالقبول

( ٤ ) دانسباء الى السيدة خديجة ص ١٠٠

يعني الاستاذ زهران بهذه المسألة قول الدكتور هيكل ان خديجة قالت للنبي ﷺ عند ما فتر الوحي « ما أرى ربك الا قد قلاك » أي ابفضت . وقد تابع بهذا درمنغام وعمالم يخترعاه اختراءاً وكان من شأن المنكر عابها ان يعلم ان ابن تحرير رواه مرسلاً من طريقين قيل ان روايتها ثقات ، ولكنهما معارضان بما رواه الشيخان عن جندب ، قال اشتكى النبي فلم يقم ليلة أو ليلتين فأنته امر أذفقات له يا محمد ما أرى شيطانك الا قد تركك فأنزل الله ( والضحى ولبا اذ سجدى ما ودعك ربك وما قلى اه

وأقول ان هذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي طرب عدوته ﷺ وما قيل في الجمع بينها من أن خديجة قالت له ذلك توجما وأم جميل قلة شماتة فهو مردود وكان يجب على هيكل ألا يأخذ كلام درمنغام قضية مسلمة ولو بحث وراجع لعرف الصحيح وعلم ان هذه الفترة القصيرة في الوحي ليست هي التي استوحش لها النبي ﷺ وكبر عليه الأمر ، بل تلك الفترة هي التي كانت بين بدء الوحي في حراء وبين الامر بالتبليغ وهي ثلاث سنين كما بينته في كتاب الوحي المحمدي وكان ينبغى للدكتور هيكل ان يتأمله ويعتمد عليه فهو لباب التحقيق

بل هذه الفترة مشهورة في كتب الحديث وكتب السير لا ينبغى لمن بجهلها أن يكتب مصنفاً في حياته ﷺ يدعي أنه يتحرى فيه الحقائق فماذا فعل بالكتب التي طالعتها لأجله





## (٥) ما قاله في الاسراء والمعراج ص ١٥٣

أجل الاستاذ زهران إنكاره على ما كتبه الدكتور في هذه المسألة وكنتي أن أبين ما أنكره منها وأثبت ما أعرفه ، وهو إرهاب يتقاضاني أن أصنف كتاباً أو رسالة طويلة فيها ، وقد سبق لي أن ارتجلت محاضرة فيها استغرقت ساعتين ونيفاً في جمعية مكارم الاخلاق اذ كانت في قاعة دار السادات

الدكتور يثبت الاسراء والمعراج وينقل فيهما ما هو مشهور بين الناس من الاختلاف بين العلماء هل كانت في النوم أو اليقظة ، والروح والجسد أم بالروح فقط ، وينفرد بتعليل القصة بأنها من مشاهد وحدة الوجود الخيالية ، ويصف هذه الوحدة بغير ما يصفها به أهلها من الصوفية الغلاة الذين يعرفون بصوفية الحقائق ، لانه موضوع ليس من علمه ، كما ان التمييز بين صحاح الروايات وضعافها ومنكراتها واختلاف متونها وتعارضها في المعراج ليس من شأنه بالأولى وقد أشرت إلى بعضها آنفاً في الكلام على حديث شق الصدر والجمع بينهما متعذر حتى قيل بتعدد ها وهو لا يعقل وما أخطأ فيه كما نرى ما نقله عن موسى اميل درمنغام في وصف المعراج وقد خلط فيه بين الروايات المضطربة فلم يميز بين صحيحها ومنكرها ، ووصفها وصفا شعرياً خلب الدكتور ببلاغته الفرنسية فخرج هو من أفقه إلى أفق أبعد منه في التخيل الشعري وهو أفق وحدة الوجود التي يعجز صوفية الهند ومقلداتهم من الافرنج أن يبلغوا فيها شأو محبي الدين بن عربي في نثره وعمر بن الفارض في شعره وقد قال الدكتور فيها بما لم يعقله من الجمع بين الازل والابد

مسألة وحدة الوجود عقيدة هندية قديمة لا تتفق هي وعقيدة الاسلام في كون الخالق تعالى فوق جميع خلقه باثنا منهم ، وخلاصتها أن وجوده تعالى وتقدس عين وجودها وهي مظاهر له كظواهر الماء من جامد ومائع وبخار وغاز كما قال عبد الكريم الجيلي : وما الخلق في التمثيل إلا كثلجة وأنت لها الماء الذي هو نابع <sup>من</sup> <sup>هذه</sup> وأقرب مما ذهب اليه الدكتور في تصوير مسألة الاسراء والمعراج أو تقريبها الى الاذهان بما يوافق العلوم المصرية هو ما ثبت عند القائلين باستحضار الارواح من تمثل ارواح الموتى المجردة بصور جسمية من الاثير تتكاثف أحياناً بما تستمد



من مادة الـكون أو من جسم الوسيط حتى يمكن تصويرها بالآلة العاكسة للنور ،  
وقد قرأنا في كتاب ( المذهب الروحاني ) وغيره من الكتب والصحف شواهد  
على ذلك ، وأصل هذا معروف عند أهل الدين بما ثبت من تمثل أرواح الملائكة  
والشياطين بصور البشر وغيرهم وأمثله كثيرة في كتب أهل الكتاب المقدسة وفي  
القرآن العظيم والاحاديث الصحيحة ، ويحكمون في كتب الصوفية أن بعض  
الروحانيين منهم يتجردون من أجسادهم الكثيفة ويتمكنون من تحويرها إلى أجساد  
أثيرية لطيفة أحيانا تقطع المسافات البعيدة في طرفة عين وتنفذ من الأجسام الكثيفة ،  
فالمسألة معروفة مسلمة عند غير الماديين من الملمين وغيرهم من الروحانيين

فعلى هذا يمكن أن يقال إن روح النبي ﷺ أعطيت من القوة في تلك الليلة  
ما كانت به كقوة روح جبريل الذي كان يتمثل له ﷺ بصورة دحية الكلبي  
وغيره ، وتمثل للسيدة مريم عليها السلام بشرا سواها وفي هذه الحالة تتصرف الروح  
بجسدها الاثيري اللطيف فتحمله من مكة الى بيت المقدس ، ومنه الى حيث  
شاء الله من السموات العلى الى سدرة المنتهى ، وقد بينت هذا من قبل في المنار  
وفي محاضرتي الطويلة التي اشترت اليها أنفا وقلت إنه مذهب الصوفية الموافق  
لقول جمهور المحدثين إن الاسراء والمعراج كانا بالروح والجسد

ولعل هذا ما أشار اليه الاستاذ الاكبر المراغي في التعريف بالكتاب بقوله (وعلم  
استحضار الارواح فسر للناس شيئا كثيرا مما كانوا فيه يختلفون ، وأعان على فهم مجرد  
الروح وامكان انفصالها وفهم ما تستطيعه من السرعة في طي الأبعاد وقد انتفع  
الدكتور بشيء من هذا في تقريب قصة الاسراء فأنى بشيء طريف ) اهـ  
اشتبه بعض قراء هذه العبارة المحملة الوجيهة في فهمها فظنوا أن الاستاذ وافق  
المؤلف على القول بأن الاسراء كان بالروح منفصلة من الجسم وعلى مسألة وحدة الوجود  
ولكن قوله ( فأنى بشيء طريف ) لا يدل على فهمهم هذا ولذلك لم يقل «بشيء  
طريف فيه» بل هو يشير الى ما قلته ،

وجملة القول ان الدكتور هيكلا نقل بعض أقوال علماء المسلمين في مسألة  
الاسراء والمعراج وقول درمنغام من غير تمحيص ولا تحقيق كما فعل بعض أهل



السير وغيرهم من المسلمين ، وزاد عليها مسألة وحدة الوجود بعبارة مهمة تدل على أنه لا يعتقد أنها مخالفة لنصوص الكتاب والسنة لخفاها المعروف فلا يباح لمنكرها عليه الطعن في دينه ، ولا يصح للمعجبين به أن يقولوا إنه محقق لروايات السيرة

(٦) ما عقب به معجزة الغار ص ١٧٧

يعني الاستاذ الناقد المنكر بهذه المعجزة ما نقله الدكتور هيكل عن أميل درمنغام عن بعض كتب السير كالسيرة الحلبية من أن النبي ﷺ حين دخل مع صاحبه الغار وجاء المشركون يبحثون عنه وجدوا شجرة تدلت فروعها إلى فوهته وبيتا من العنكبوت يستتر من فيه وحمامتين باضتا عند بابه . وذكر أن وجه المعجزة في هذه الاشياء انها لم تكن موجودة وإما وجدت وقتئذ وأن درمنغام قال : « هذه الامور الثلاثة هي وحدها المعجزة التي بقص التاريخ الاسلامي الجدل ( كذا ) وهي أعاجيب ثلاث لها كل يوم في أرض الله نظائر »

( أقول ) حديث هذه الثلاث أخرجه ابن سعد وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم عن أبي مصعب المكي قال أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة فسمعتهم يتحدثون ان النبي ﷺ ليلة الغار أمر الله بشجرة فنبتت في وجه النبي ﷺ فسترته وأمر الله العنكبوت فانسجت في وجه النبي ﷺ فسترته ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقفتا في فم الغار ، وأقبل فتيان قريش ممن كل بطن رجل بعصيمهم وهراويهم وسيوفهم الخ

قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان - ذكر حديث أبي مصعب هذا : قال العقيلي مجهول ذكره في ترجمة عون بن عمرو . وذكر الحافظ في ترجمة عون هذا انه منكر الحديث مجهول وذكر حديثه هذا عن أبي مصعب وقال إنه لا يعرف

فهذه المعجزات لم يصح بها الخبر بل انفرد بروايته مجهول منكر الحديث عن رجل لم يعرف قط ، فالظاهر انه هو الذي وضعه عليه ، ولو كان له أصل لا يمكن أن يقال من ذا الذي حقق ان هذه الثلاث وجدت عند دخوله ﷺ في الغار وأنهم لم تكن من قبل ، وكيف كان عبد الله بن أبي بكر وراعي غنمه مولاه عامر بن فهيرة يدخلان الغار في كل ليلة ؟ ولم لم يحدثا بها أحدا ولا حدث بها من أكرمه الله بها





وهو النبي ﷺ وكذا صاحبه « رض » حتي حدث بها ابو مصعب المجهول الذي أعيار رجال الجرح والتعديل أن يعرفوه أو يعرفوا عنه شيئاً ، ولم يحدث بها عنه إلا عون ابن عمرو المنكر الحديث ؟ وأي حاجة إليها في حفظ من كفل الله حفظه وعبر عن ذلك بأنه تعالى معه ومع صاحبه ؟ مهنا يظهر الفرق بين شعور الاستاذ زهران والدكتور هيكل وامثالهما : الفريق الأول يرتاح إلى روايات خوارق العادات مطلقاً ويرون أنها أعظم الحجج على إثبات النبوة فلا يعنون بتحقيق رواياتها ، والآخرون ينفرون منها لكثرتها عن جميع الملل ولا يرون فيها حجة قاطعة على النبوة كآيات العلمية والعقلية وأعظمها القرآن ، ولذلك يميلون إلى تكذيب روايات تلك الخوارق وسندين تحقيق الحق في ذلك ( للنقد بقية )

## وفيات الاعيان

( شاعر العرب الشيخ عبد المحسن الكاظمي )

فاجأنا في ضحوة يوم شديد الحر من هذا الشهر المحرم (سنة ١٣٥٤ - مارس سنة ١٩٣٥) نبأ وفاة شاعر العرب المطبوع وعلم الفصاحة المرفوع الشيخ عبد المحسن الكاظمي بعد مقاساة أمراض طال أمدھا عدة سنين صبر عليها صبر الكرام ، ويحزنني أنه لم يتح لي تشييع جنازته ، وقد قت بكل ما استطعت من حقوق مودته ( المادية والادبية ) في أكثر من ثلاث قرن حتى اني عرضت نفسي لمرض طويل كاد يكون مزماً بزيارتي له ليلاً وأنا مصاب بنزلة صدرية شديدة ، وكان يزورني في وسط العهد بيننا في يوم الجمعة من كل أسبوع وقد يزيد عليها لأسباب عارضة وانني أنشر هنا ما كتبته في شأنه بعد تعارفنا بمصر بأيام قليلة وهو ما تراه في ص ٣٢٨ من مجلد المنار الثالث بتاريخ ربيع الاول سنة ١٣١٨ يوليو سنة ١٩٠٠ بعنوان ( القديم في الحديث ، والاول في الآخر ) وهذا نصه :

ذهبت بلاغة الشعر العربي بذهاب دول العرب حتى صار القرن يمضي كله ولا يظهر فيه شاعر عربي الاسلوب بليغ الكلام وحتى صرنا نعد وجود مثل



سعادة محمود سامي باشا (البارودي) من قبيل ما يسميه الحكماء بالرجعة كأن السليقة العربية رجعت اليه بالوراثة لأحد أجداده الأولين من غير عناء في كسب ملكتها ، والظاهر أن بلاد العراق لا تزال أقرب إلى السليقة العربية من أهل هذه البلاد وإن النابغين فيها أكثر منهم في غيرها . ولقد وافى هذه البلاد من أشهر رجل فاضل جدير بألقاب (الاديب) وقل الجدير به في هذا العصر ألا وهو الشيخ أبو المكارم عبد المحسن الكاظمي (نسبة إلى الكاظمية بلدة في ضواحي بغداد) لقيناه فلقيناه الأدب الصحيح والأخلاق الحسنة من الشاعر المفلق، العذب المنطق، الذي ناهز المقدمين ، وخاطر المفرمين ، ومن السجيا الفاضلة الظاهرة فيه الإباء وعزة النفس حتى أنك لا تشعر في أول عهدك به بما عنده من لطف المعاشرة ورقة الطبع ولين العريكة . قال صاحب السعادة اسماعيل باشا صبري وكيل الحقانية وأحد أركان الأدب في مصر : اني عند ما لقيناه أول مرة ظننت أنه لا تطيب معاشرته، فلما خبرته علمت أنه لا تطيب مفارقته ، اه وما أجدده بقول شاعرنا أحمد بن مفلح المشهور بآين منير الطرابلسي

إباء فارس في لين الشام مع الظرف العراقي واللفظ الحجازي  
أما شعره فعلى الطريقة العراقية العذبة القديمة — طريقة الشريف (الرضي) ومهيار (الدلمي) وأما انشاده فهو يناسب شعره في التأثير الذي هو المقصود الأهم من بلاغة القول اه

ونشرت بعد هذا قسما من قصيدته العينية وهي أول ما سمعناه من انشاده شعره ونشرت القسم الآخر منها في جزء آخر ، ولعمري إن انشاده للشعر لا يبلغ من نظمته في إثارة الشعور، بما شاء من شجوة وشجن، وحنين إلى سكن ووطن، وشوق إلى لقاء حبيب ، وحزن على فراق عشيق أو صديق ، وإن أنس فلن تأنسي إنشاده إيانا قول الشاعر :

وارحمتا للغريب في البلد الناء زح ماذا يتنفسه صنعا  
فارق أحبابه فما اتبعوا بالعيش من بعده وما انتفعا



فلئن قال ابن النير في يائته :

وما المدامة بالالباب لعب من فصاحة اليد وفي الفاظ تركي

فإن لنا أن نقول : ما لعب المدامة بالقول ، ولا عزف الفارابي بالفانون ، بما أضحك الثغور وأثار الشجون ، وأجرى الشئون ودان على العيون ، ولا نعي جميل ليثينة أمام دارها ، ولا كلمتها للناعي سافرة نابذة لو قارها ، بأعظم سلطانا على القلوب من إنشاد الكاظمي لمدين البيتين بصوته الرخيم ولهجته العراقية ، وتقطيعه للبيت بغير أوزانه الشعرية ، كوقوفه على كلمة الغريب ، والنازح ، والعيش ، فإنني لا تذكر الآن خفقات قلبي لسماعها ، فأجد الذكرى تعيدها سيرتها الأولى ، ولقد كانت كلمة بثينة أشجى كلمة سمعتها من كلام البشر ، ولا بأس بذكرها هنا لما شعر جميل العذري بدنو أجله في مصر عهد إلى رجل أن ينمأ إلى بثينة في حي أهلها وأعطاء حلتها آية لها ، فوقف فأنشد هناك

صرح النعي وما كنى بجميل وثوى بمصر ثواء غير قول

فخرجت حاسرة وقالت : يا هذا إن كنت كاذبا فقد فضحتني ، وإن كنت صادقا فقد قتلتني !! فأخرج لها حلتها فأنشدت :

وإن سلوي عن جميل لساعة من الدهر لاحات ولا حين حينها

سواء علينا يا جميل بن معمر إذا مت بأساء الحياة ولينها

هكذا كان الكاظمي يخلب ألبابنا بإنشاده العراقي الشيعي وكل أدباء العراق يخلبون الألباب بضرور الانشاد ، وإن كان لأشجى من سمعنا منهم ، ولقد أحببناه لإنشاده ولشعره معا ، ثم اتصل بشيخنا الأستاذ الامام وخصه بمداخحه المؤثرة وكان بالمداخض ضئيلا ، فمشقناه لتوبيه بالاصلاح وإمامه ، وقد ذكرته في تاريخ الأستاذ الامام متوها بما كان من عطف الامام عليه ومواساته له ، وبما لم أذكره أنه كان له منه راتب شهري قدره عشرة جنيهات ما عدا الهدايا ، وكان أنكر ما عدته عليه من كنوده عدم رثائه له ، وكان يعتذر لنا بوجوده وكده ، ثم علمنا أنه إنما كان يخشى غضب الخديوي عليه إذا هورثاه ، إذا سعى له صاحب المؤيد عند سموه براتب من الاوقاف





انني كنت صدقت الكاظمي زعمه أن شدة الحزن والاسى على الامام آخرست  
 لسانه ، وحيرت وجدانه ، وأطاشت جنانه ، فأسمى عاجزا عن رثائه لا يستطيع  
 منه شيئا . وظللت سنين مصداقا له ، وأرى من حق الوفاء لاستاذنا عليّ بره والوفاء له ،  
 على أنه حدثني فيما كان يقصه علي من سيرته الشخصية ان الخطوب ليس لها على نفسه  
 سلطان ، وان الحزن ليس له في شجون قلبه ولا في شئون عينيه مكان ، وانه  
 كاد هجومها عليه يغلبه على جلده مرة أو مرتين فقطن لذلك فكان لارادته الغلب  
 والرجحان ، فكان عصي الدمع شيمته الصبر ، ليس للحزن عليه نهبي ولا أمر  
 ولقد كان يقول لي انه لم يجد بعد الاستاذ الامام من أحلص له الوفاء مثلي ،  
 ويظهر لي انه على رأي ومذهبي فيما أدعوا اليه وأحيا لأجله من الاصلاح الاسلامي  
 والوحدة العربية ، و كان ينشدني بعض قصائده في مدح من يرجو برحمته ويقف لي  
 عند ما تتضمنه من الاشارة إلى ما أحب من المصلحة العامة ، في تضاعيف ما أكره من  
 المداخل الشخصية ، بله ما نظم في المسألة العربية ورجاها ، ومنه ما يخصني بزعمه دون  
 غيري ، ولم أكن لأحفل بالتهريج بشيء يخصني فكيف أحفل بالتلويح والتعريض  
 الذي لا يكاد يفهم المراد منه أحد ؟ ولكن خطر بيالي كثير امام أذكره له ولا أشرت إليه  
 من تقصيره في رثاء شقيقي اللوذعي الاحوزي السيد حسين الشاعر الاديب الخطيب  
 وقد كان عشقه للكاظمي غراما ، ووده له لزاما ، وكان وكيلى في إدارة المنار مدة غيبتي  
 في الاستانة عاما كاملا لم يكديفارق فيه يوما ، ثم عاد الى سورية فقتل بيد مجرم أثيم ، فكان  
 من إكبار خطبه عندي ان قلت في تأييده انه ليعز علي أن أرثيه وكنت أرجو أن  
 يرثني ، وأكبر المصاب فيه أهل الفضل والادب في جميع البلاد العربية ، وعقدوا  
 له في بيروت حفلة رثاء وتأيين تبارى فيها أدباء العوائف الدينية بما كان أقوى  
 مظهر لرابطة الادب الجامعة ، فكانت حفلة نادرة في ذلك الوقت ، ولكن كان  
 صديقي وصديقه أبلغ بالشعر عليه منه بدمعه ، وهو الغني الملي بالشعر ، الفقير  
 بالشجيرة بالدمع ، وانما يجوز بالشعر حيث يرجى به النوال الجزل  
 لقي الملك فيصل في مصر فرأى من لفظه وتواضعه وتكريمه له ما أحدث



له أملاً بأن يحيا بجوده حياة جديدة من الإتراف والسعة أقلها أن يكون له راتب شهري كبير وهو في مصر ، أو ينقل الى منصب كبير ، في بغداد ، فدحه كما مدح أخاه الأمير عبدالله ويبتهم الشريف بقصائد غر ، كان ينشدنيها كلها أو بعضها قبل ارسالها ، ويحاول إرضائي وأنا المنكر لسياستهم البريطانية بما فيها من التنويه بالاصلاح والوحدة العربية ، حتى اذا ما خاب أمله فيهم ، وغلبهم ابن السعود على الحجاز وحدث له من الرجاء في جوده وسخائه ما يئس من مثله منهم ، طفق يمدح هذا وآله ، ويعرض بل يصرح بهجو أوائلك ، ومن ذلك قصيدة في الفرق بين الفيصلين فيصل بن عبدالعزيز وفيصل بن الحسين ، وكان يدعي انه لم يكن له من باعث على هذا وذاك إلا ما يهمنا جميعا من مصلحة العرب والاسلام

كذلك كان يستشيرني في القصائد التي كان ينظمها في القضية العربية التي يقيمها حزب الاتحاد السوري فاللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني ويكل إلي السعي لما يرجوه من الجائزة عليها من الوجيه ميشيل بك لطف الله ، وهي من غرقصائده وكثيراً ما كان يزيد في هذه القصائد التي نظمها ولم يكتبها ، وكثيراً ما كان يرتجل غيرها ، فقد ثبت عندنا أنه أوتي من ملكة الارتجال ما يساهم به فحول العرب من الجاهلين والمخضرمين والمولدين ، وهو يعد من فصحاءهم لا من بلغائهم ، فشعره فحل في لغته وأسلوبه ، دون فلسفته وتأثيره الروحي

وما كان لي أن أطمع بارجاعه عما يبغيه من الكسب بشعره وهو بضاعته الرائجة ، فكنت أحمد من قصائده ما فيها من الآراء العامة ، وأقتصد في الإنكار على المبالغة الشعرية في اللدح فيوافقني على ما أقول ، ولا أدري ما يكتبه بعد ذلك ويرسله ، وما يشبه في ديوانه الذي يدخره لمستقبله وورثته ، فقد كان يحفظ كل ما ينظمه وينشدني وينشد غيري من حفظه ، وقد ينقح ما ينتقده عليه السامع في المجلس ، ويزيد فيه ما شاء وينقص منه ، وكان يرجو أن يندل له أحد الملوك أو الأمراء أو الكبراء ما يكفي لوفاء ما يذكر من دينه وطبع ديوانه ، فان لم يتح له



ما يرجو وكل أمر طبعه من بعده الى أبر الاوفياء له الذي اختار أن يجعله وصيا على كريمته الرباب ، وإياي كان يعني

هذه خلاصة ما يقال في شعره وأدبه ومودته وكسبه ، ولقد علمت انه كان له كسب نسائي خفي من كتابة التماثم للحب والبغض ، وكان أمين سره في هذا العمل صديقه المرحوم توفيق أفندي الرافعي ، وأول من أفشاه لنا امرأته الأولى التي عشق أختها وتزوجها ، حملت الى أهل بيتنا بعض هذه التماثم فأبيت أن أنظر فيها ، وحدثهن عن اسرافه في النفقة ، وما كان يوهمني ( قبل بنته الرباب ) من أن له عيالا ينفق عليهم ، وقد سمعت منه ورأيت ما بعد من عجائب اسرافه ، فلقد كان يشتري ثمر المنجا الجيدة بالعشرات أو مئة بعد مئة وهي اغلا الثمار ثمنا ، وكان دائما يشكو الحاجة أو الضرورة ، ويطلق أبواب الكبراء الواسعة والضيقة ، وقد لجأ أخيراً الى المرحوم سعد باشا زغلول ومدحه بالقصائد الفياضة التي ذكر فيها الاستاذ الامام أول مرة بعد وفاته !! ثم لجأ الى زعيم الوفد من بعده ، وظهر في هذه الاثناء بشعر بنته الرباب ، وقد شبت على استبدال البرنيطة بالحجاب

وجملة القول فيه انه كان شاعر العرب المرتجل المفلق كما كان قال قبل اختيار هذا اللقب لنفسه

لتخل القوافي ميا دينها      فقد عصف الشاعر المفلق  
وكانت حياته الشخصية في داره ومعاصدقائه وزواره مفاهات أدبية أكثرها في شعره وأغراضه منه ، ثم لم يكن يتحدث في السنين الاخيرة الا عن مصائبه وامراضه وخلته ، حتي صار مملولا بالطبع . نذكر هذا للعبرة والموعظة ، ونسأل الله تعالى لنا وله العفو والمغفرة ، والرحمة الواسعة

ويسرنا جد السرور عناية الحكومة العراقية باكمال تربية كريمته ، وعناية أدبائها وأدباء فلسطين وسورية بتأيينه ، وهم بعض اصحابنا باقامة حفلة تأيين له خافلة ، ثم أرجوها الى انتهاء هجير الصيف ، وما كان لمصر أن تهضم حق أدبه وما كان ظهوره واشتهاره الا فيها ،





## ﴿ باب مختارات الصحف ﴾

## تفاقم شر الطلاق في اميركا

لمراسل الاهرام في امريكا

أشرت في احدى رسائلي الماضية الى القاضي بن لندسي في مدينة لوس انجلوس بولاية كاليفورنيا الملقب بقاضي الطلاق لتساهله في تسهيل سبله على الطالبين ولكثرة عدد الذين أعتقهم من رتبة الزواج كما يعتق السجناء حال انتهاء المدة المحكوم عليهم بها ، وقد أعلن هذا القاضي اليوم اعتقاداً جديداً أبداه بشكل نبوءة مفادها امحاق عهد الزواج بهذه البلاد في وقت غير بعيد إذ قال :

« إن الزواج في هذه البلاد صائر الى حالة توجب الاسف وتحمل على الاحتساب فان لم نفتح عيوننا للحقائق ونصرح بها غير متهميين ونعمل على تغيير ما نفهمه من علائق الجنسيتين تصبح الاباحة في الحب والفوضى في الزواج والتطرف في حسابان الطلاق من ضروريات المعيشة الحديثة شيئاً سهلاً وواجباً وإن كان مخالفاً لما قرره الاديان وأوجبته قوانين الهيئة الاجتماعية

» فالزواج عندنا قد أصبح العوبة أو مهزلة بحيث لا يختلف عن شركة تجارية يعقدها شخصان ويقيمان فيها متعاونين مابقيت رابحة وما اتفق ذوقهما ، وينفصلان عند ما يشعران بالخسارة أو بالنفور المتبادل . ولا ريب في أن البواغث الطارئة على تمدتنا في هذا الزمان تعمل على تقويض أركان التوازن الديني وتشويه آداب المجتمع ، وتمهد السبل للطبيعية البشرية الميل الى الشر في طغيانها فتجاذى فيه بلا وازع من الدين ولا رادع من القانون . والقاضي الذي تبدو له هذه المساويء في القضايا المختلفة لا يرى سوى علاج واحد ناجع وهو أن تستعين الهيئة الاجتماعية بالدين والعلم والتهذيب على استئصال ما طرأ في هذا العصر من التطورات الغريبة العاملة على خراب الحياة الزوجية وفساد أخلاق الناشئة

» وقد يحسبني بعضهم من المفكرين المتفوقين في هذا الباب بالنظر الى كثرة عدد الذين أفلتوا من قيود الزواج في محكمتي ، فأنا على الرغم مما يقال من تساهلي



في حل ما عقده الشرع من أشد الناس تمسكا بزي الزواج القديم القائل ببقاء الاثنين جسدا واحدا الى أن يفرقهما الموت ولا يحل هذا المشكل الا العمل بهذه القاعدة، وأعتقد أن أجدادنا كانوا أسعد حالا وأهنأ عيشا من الوجة الزوجية مما نحن عليه الآن « ومهما كان اعتقادنا بنظرياتهم فإن تلك النظريات قد انطوت ومعها الحياة الزوجية القديمة المبنية عليها أو أنها تنطوي الآن بسرعة وحل محلها جنوح (١) لا يعترف بقيود، خال من كل مسؤولية ومن الحب الحقيقي في تعاقد الجنسين بحيث أصبح الناس يعتقدون أن الزواج قضية موقته يحافظون عليها ما وفرت لهم العبطة وضروب الشهوات والمسرات فإذا عدت هذه الميزات ذهبوا إلى المحامي

ويظن هذا القاضي أن الحالة الاقتصادية في الحياة المعاصرة التي تزاخم فيها المرأة الرجل في الاعمال على اختلافها والتي جعلت الزواج صعبا أو مستحيلا على الشبان من سن ٢٠ الى ٣٠ لقله دخلهم هي التي سببت هذا التشويش والفوضى في الطلاق ايضا . لان الزوجة التي تفرك (٢) أو يحاول زوجها التخلص منها قلما تعارض لا لفتح ابواب العمل امامها بخلاف ما كانت الحال عليه في الماضي وتنبا القاضي لندسى من سبع سنوات عن ان عدد المطلقين في السنوات العشر التالية سيضارع عدد الذين يتزوجون وقد مضى من تلك الايام سبعة وبقي ثلاثة ومع ذلك فقد تم ما تخمنه قبل انتهائها حسبما يقول اه

(المنار) إن سوء عاقبة هذا الفساد أكبر مما يحسب هذا القاضي ويقدر، وإن له اسبابا وعلا كثره، وإن علة العلل كلها انحلال العقيدة الدينية وما تعقبه مع الحرية الواسعة من اباحة الشهوات، وقد كان الدين عندهم نظاما اجتماعيا أدبيا تكفله التربية والتعليم وتحميه القوانين فضعفت الكفالة والحماية بحرية التعليم العالي للنساء والرجال معا فصار من المتعذر أن يدين هؤلاء بالنصرانية الميمنة على التسليم بما يقال لهم من غير برهان معقول مقنع، وهذا الدين لا يجدونه الا بالاسلام فهو الملاج الوحيد لجميع مفاسد الحضارة الغربية كما فصلناه في كتاب الوحي المحمدي،

(١) كذا والجنوح الميل ومنه ميل السفينة الى حيث ترتطم بوحل فتقف

(٢) فركت المرأة ابتغيت زوجها فهي فارك وفروك



## باب الرسائل

### العتبة من الحجاز في عهد الدولة العثمانية

حضرة الاستاذ العلامة حجة الاسلام بهذا العصر ، وقائد كتيبة المحققين الذي كتب له النصر ، السيد رشيد رضا أطال الله بقاءه ونفع به قرأت في الجزء المؤرخ في ٣٠ المحرم ١٣٥٤ من المنار فصلا وافياً عن العتبة وفيه كلام نقلتموه عن أمين أفندي سعيد معناه ان العتبة أدخلت سنة ١٩٠٦ ضمن الحدود العثمانية وألحقت بلواء الكرك ( شرقي الاردن اليوم ) وصارت جزءاً من أجزائه

والذي أعرفه أنا أن العتبة لم تالحق في وقت من الاوقات بلواء الكرك ، وهذا هو أصل المترك ، فان الانجليز يريدون أن يجعلوا العتبة من البلاد التي كانت الدولة العثمانية ألحقها بلواء الكرك حتي يقولوا إنهم لم يغيروا شيئاً من الوضع القديم بل أبقوا العتبة تابعة للخطة التي كانت تابعة لها من قبل . والحقيقة أنه لما تشكل لواء الكرك ألحقوا به قصبة معان وتوابعها ماعدا العتبة ، وكان ذلك من الدولة قصداً وعمداً حتي لا تجعل العتبة تخرج من أرض الحجاز نظراً لاستثناء الحجاز من أمور كثيرة كان متفقاً عليها بين الدولة والدول الاجنبية ومن جعلها عدم جواز تملك الاجانب . وقد كنت مرة في دمشق في أيام ولاية ناظم باشا وعلمت من المرحوم محمد فوزي باشا العظم وكان هو عمدة مجلس الادارة ان ولاية سورية راجعت الباب العالي في أن العتبة باتصالها بأرض معان وبكونها ميناء لمعان وبلاد الشراه يجب إلحاقها بمتصرفية الكرك تسهيلاً للاشغال .

فأجاب الباب العالي ولاية سورية قائلاً: ان هذه الملاحظة لا تخفى علينا ولكن هناك ملاحظات سياسية أهم منها وهي أنه اذ ألحقت العتبة بلواء الكرك صارت من ولاية سورية ودخلت تحت المعاهدات التي بين الدولة والدول الاجنبية فصار يجوز للاجانب أن يملكوا فيها بخلاف ما إذا كانت تابعة للحجاز فليس للاجانب





حق أن يتملكوا شتاتني الحجاز وهو أمر متفق عليه بين الدولة والدول. فبقيت العقبة اذن تابعة للحجاز ولم تتبع الكرك كما طلبت ولاية سورية، فقصدت ان اصحح هذه الرواية التي نقلتموها عن أمين أفندي سعيد والتي لو صحت لما كان محل التعجب من سعي الانكليز بالحاق العقبة بشرقي الاردن لانهم يكونون حينئذ بنوا على اساس قديم. والحال أن هذا الاساس لم يوجد، وان العقبة كانت ولم تخرج من الحجاز لا أولا ولا اخيرا ووضعها الحاضر لا يستند على شيء قانوني والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شكيب أرسلان

جنيف

(النار) هذا ما يقال من جهة ما يسمى التشكيلات الادارية في الدولة. وأما من الجهة الشرعية الاسلامية فالعقبة وما حولها من الحجاز وبصفة أوسع نقول من جزيرة العرب التي أوصى النبي ﷺ بأن لا يبقى فيها دينان كما يدها مرارا، فاحتيا لانسكثرة للاستيلاء عليها أفضع اعتداء على دين الاسلام

### ﴿ وزير مسيحي يصف الشريعة الاسلامية ﴾

خطب الاستاذ فارس بك الخوري الوزير السوري السابق ومن كبار مسيحي سوريا في احدى الحفلات التي اقيمت بدمشق لاهياء ذكرى المولد النبوي ومما قاله : « إن محمداً أعظم عظماء العالم ولم يجد الدهر بعد بمثله، والدين الذي جاء به أوفى الاديان وأتمها وأكملها، وإن محمداً أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية، ولم يستطع علماء القانون المنصفون إلا الاعتراف بفضل الذي دعا الناس اليها باسم الله وبأنها متفقة مع العلم مطابقة لارقي النظم والحقائق العلمية » ان محمداً الذي تحتفلون به وتكرمون ذكره أعظم عظماء الارض سابقهم ولاحقهم، فلقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم، وأنشأ منهم أمة موحدة فتحت العالم المعروف يومئذ وجاء لها بأعظم ديانة عينت للناس حقوقهم وواجباتهم وأصول تعاملهم على أسس تعد من أرقى دساتير العالم وأكملها » (المقطع)



## مأساة أميرة شرقية\*

بقلم الاستاذ العلامة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي نزيل البصرة

(٢)

ونحن مع احترامنا للنبي المكرم عيسى نقول : قد أجاد الأستاذ في تنظيره وتمثيله ، ألا يعلم لويس أن شرب الدخان في النارجيلة أو غيرها إنما حدث بعد اكتشاف كولومبوس أميركا ولم ينتشر الا في الازمنة الاخيرة ، بل في هذا الزمان نفسه لو دخلت مجلس أمير من بني تميم أهل الإمامة لم ترفيها نارجيلة فضلاً عن الخمر ، فهل بلغ به هوان نفسه عليه أن يزعم ان مجالس أمراء أبي بكر وعمر كانت محتوية على الخمر؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ، فأني رجل من زنوج أفريقية بل قبائل أسكيمو يلقى نظرة إجمالية على التاريخ ويتوهم وجود الخمر في مجالس أمراء الخلفاء ولم تمض على انتقال النبي الى الرفيق الاعلى الا أيام قلائل ولم يرو لنا التاريخ شرب الخمر في مجالس الامراء الا بعد ذلك بازمان طويلة ؟

وليس مقصودي انت ابرىء خالداً من الوجهة الدينية أو ادعي له العصمة الواجبة للانبياء ، لان الكاتب لم يتصد لهذا الامر الا من الوجهة التاريخية والادبية ولذلك أحصر ردي عليه فيهما فهل يستطيع ان ينقل لنا كلمة واحدة من التواريخ المعتبرة يثبت بها ما افعله ؟ هيئات ذلك .

لقد كنا نظن أن مجلاتنا الادبية لما تصل بعد الى المستوى الاعلى من التحقيق في التاريخ والادب وان كتابنا لا تزال بضائهم مزجاة في ذلك ، ولكننا بمدمارأنا

(\* نشرها ( كرهام لويس ) المستشرق الانكليزي في جريدة المصور الاسبوعي للهند صور فيها الصحابي خالد بن الوليد القائد الحربي الأعظم في قسطنطينية كجاس راجات الهند تدار فيه كؤوس المدام واصطففت براجيل دخان التبغ وصور ليلى بنت جويد متزينة بأحدث أزياء نساء أوروبا وحلي الشرق تدخل عليه تشفع لملك بن الوزير زوجها بزعمه اذ اسرهما معه في حرب الردة فغشقا وأمر بقتله وتزوجها. وقد



هذا المقال اغتبطنا أيما اغتباط بمجلاتنا وكتابنا. وكنا نظن ان كاتباً شهيراً قد تصدى  
 لكتابة سلسلة مقالات في التاريخ والأدب الشرقيين في أشهر المجلات الانكليزية في  
 الهند وعرضها على علماء الشرق والغرب يرباً بنفسه أن يرتكب الخلط والخلط  
 والكذب البحت، ولكن أبي الله الا ان يفضح هذا الاديب الكبير ليعلم مطايا الافرنج  
 ومقلدوهم أن أدباءهم ليسوا معصومين كما يزعمون من الوهم والغلط والجهل والكذب  
 بل ربما فاقوا غيرهم في ذلك، وسرى في الرد على مقاله ما يجلو كل شك ويلاشي كل ريب  
 ومن المعجب أن الاديب كوهام جمل من خالد خالدين، ولرجل واحد صورتين،  
 فالصورة الاولى التي تقدم الكلام عليها تخاف تماماً صورة خالد التي نشرتها  
 ترجمة خالد بن الوليد وأعماله وسيرته في المجلة نفسها، في جزء ٨ اكتوبر ١٩٣٣  
 فخالد الاول مستطيل الوجه مائلاً الى الاستدارة ذو لحية مقصوصة قصاً غير بليغ  
 وأما الثاني فان وجهه صغير مخروطي وملاحه مخالفة أشد المخالفة للملاح الاول، ذو  
 لحية فرنسية مخروطية منهوكة بلا عارضين. فمكذبا يكون التخييل والا فلا

### الرد على مقاله ومناقشته الحساب

(١) زعم الكاتب الكاذب أن ليلى بنت الجودي الفسائية كانت زوجاً لمالك  
 ابن نيرة ثم تزوجها خالد بن الوليد ثم تعشقا وغنى بحبها عبد الرحمن يعني ابن  
 أبي بكر الصديق وما زال ملحقاً في طلابها إلى أن ظفر بها أخيراً فقتل بها حتى أعرض  
 عن نسائه وسرايره وجعلها سيدة البيت، ثم لم يلبث ان هجرها وفارقها فرجعت  
 الى بيت والدها بدمشق وتقت ببقية حياتها فيه - هذا ملخص قصة ليلى بزعمه  
 أقول وهذا كذب محض وجهل فاضح فان ليلى بنت الجودي لم يتزوج بها  
 مالك بن نيرة وكيف يتزوج بها وهو من أهل الجامة في قلب جزيرة العرب  
 وكان وثنياً مشركاً وليلى بنت الجودي نصرانية وأبوها أحد رؤساء النصرانية في  
 دمشق. وامرأة مالك بن نيرة التي تزوجها خالد بعد قتل زوجها اسمها أم تميم بنت  
 النبال. لم يتعشقا عبد الرحمن ولم يتفنن بحبها ولا تزوجها، وقد التبس الامر على هذا  
 الكاتب المسكين لفقره في الأدب الشرقي فزج امرأتين وعجنهما وجعلهما شيئاً واحداً  
 لحول في عين بصيرته، وسيجيء الكلام على ليلى بنت الجودي في آخر الرد ان شاء الله





( ٢ ) زعم أن ليلي زوجة مالك بن نويرة وقعت مع زوجها في أسر خالد وهو كذب أيضا إذ لم يذكر أحد من المؤرخين ( فيما نعلم ) أن خيل خالد اخذت مع مالك زوجته ، والحقيقة كما في الطبرى والكامل وابن خلدون وغيرها أن خالد ابن الوليد نزل بالبطاح وبث سراياه فجاءته الخيل بجماعة من بني يربوع منهم مالك بن نويرة فسأل خالد الذين جاءوا بهم أم مسلمون فيبيهم أم مرتدون فيقتلهم ، فاختلوا فشهد أبو قتادة ونفر أنهم مسلمون وانهم أذنوا وصلوا معهم ، وشهد آخرون أنهم غير مسلمين فامر بهم خالد فقتلوا ، ولم يذكر أحد أنه كانت معهم امرأة مع أن الرواة ذكروا كل شيء حتى أنهم لم يغفلوا عن ذكر أن ذلك كان ليلا وان البرد كان شديداً

( ٣ ) زعم أن امرأة مالك كانت قد وهبت قلبها لزوجها وأزمنت أن تبذل كل مرتخص وغال في قدية زوجها فزينت بحليها وحللها وذهبت الى خالد لتشفع لزوجها ، فلما رآها عشقها واصدر أمره بقتل زوجها ودعوة إمام لعقد النكاح ، وخاف لها عباءة كثيفة وزعم أن النساء يومئذ كن محتجبات وكان كشف وجوههن عاراً ، وهذا كله كذب وجهل ، فإن الحجاب لم يكن له وجود في ذلك الزمان حتى في نساء المسلمين فكيف بنساء المرتدين ؟ وإنما حدث الحجاب بعد ذلك بزمن طويل ، أنظر كتابنا ( الاسفار في مسألة الحجاب والسفور ) ولم يكن عقد النكاح يتوقف على إمام المسجد في بلاد العرب في ذلك الزمان ولا في هذا أيضاً وإنما هي عادة من عادات المسلمين في الهند وفي كثير من البلاد الاسلامية ، وليس ذلك بمشروع في الاسلام ، ويكفي لعقد النكاح أن يشهد شاهدا عدل من المسلمين ولكن أهل البلاد المتحضرة يحضرون القاضي أو نائبه عادة وأما خالد فلم يكن له إمام بل هو القائد والامام كما هي العادة في ذلك الزمان أن يكون الامير هو الامام ، ولم يدخل خالد بامرأته في تلك الليلة بل تركها حتى تنقضي عدتها كما في ابن جرير مجلد ٦٤ ص ١٩٢ ( ٤ ) لو فرضنا أن أم تميم ذهبت الى خالد لتشفع في زوجها لما أمكن أن



من حلي وحلل وتذهب في الليل البهيم فتدخل على رجل أجنبي يملك ناصيتها  
وتخلو به في خيمته ، لا مور

(١) أن التجميل والتعلى إنما يكون وقت الفرح لا وقت الحزن ولا سيما في  
ذلك الوقت المصيب حين أحب الاحباب اليها تحت خطر الموت ينتظر كلمة تخرج  
من بين شفتي القائد تحييه أو تقتله فتزينها في ذلك الوقت مما لا يعقله أحد يعرف  
عادات العرب وأحوالهم لأنها لو فعلت ذلك لقضت على نفسها وعلى خالد ، إذ  
الخلوة بالاجنبية ولا سيما في الليل فسق موجب للعزل والتعزير ، ولا يمكن لامرأة  
عرفت بذلك ان تكون زوجة لسيد من سادات العرب بل ولا من أوساطهم  
ولا لرجل عرف بذلك ان يكون أميراً لابي بكر

(ب) ان (الديمقراطية) عند العرب كانت في عنفوان شبابها ولم يكن  
الجنود يخضعون ولا يطيعون الامير اذا رأوا منه منكراً ، والدليل موجود في نفس  
القصة وهو شيثان (الاول) أن بعض الجنود وهم الانصار اختلفوا مع قائدهم خالد  
في التوجه الى البطاح<sup>(١)</sup> فقال لهم خالد لا كره أحدكم منكم أما انا فذاهب  
فتخلفوا عنه وذهب ، ثم بعد ذلك ندموا ولحقوا به (الثاني) ان أبا قتادة أعلن إنكاره  
على خالد في قتل مالك وأصحابه حتي ذهب مغاضباً له إلى المدينة واشتكي لابي بكر  
الصديق الخليفة مارأي من خالد واستعان بهمر واجتهدا ان يحملا أبا بكر على  
عزل خالد فلم يفعل

(ج) لو ان أبا قتادة ومن وافقه من الناقين على خالد وفيهم عمر بن  
الخطاب الذي كان كالوزير لابي بكر وكان إذ ذاك مجتهداً في حمل ابي بكر على  
عزل خالد وبقيت في قلبه حزازة على خالد حتي إنه حين تولى الخلافة عجل بعزله  
فلو أن أبا قتادة رأي خالد قد خلا بامرأة مالك ليلا قبل عقد النكاح بل في حياة  
زوجها لاخير بذلك عمر وكانت حجته قائمة على فسق خالد ثم لشنع عمر بذلك على  
خالد وألزم أبا بكر عزله فلا يجد منه بدا

(٤) وبما تكون العادة عند الاروبيين - قوم الكنان - ان المرأة اذا أرادت



ان تشتم عند أمير بجملت وزينت وتنجبت وتذلت لنسي قاب ذلك الأمير  
فيقضي حاجتها، وأما العرب فإن العادة عندهم على خلاف ذلك فإن المرأة إذا ذهبت  
إلى رجل أجنبي ولو لم يكن أميراً تذهب إليه حزينة متبذلة بأكية خيبة خاشعة،  
وأما المرأة التي تترين وتبرج وتذهب للأجانب فهي في نظر العرب بقي فاجرة  
لا تمكن من التدخل على الاشراف.

(٥) زعم كراهام لويس ان تلك الليلة كانت ليلة هياط ومياط وأكل وشرب  
وسكر ورقص وخلاعة وبطار اختفالا بالنصر والظفر وقد ذل حماره في الطين في  
هذا أيضاً، ولو أشرف إشرافاً على التاريخ الاسلامي أو ألم الإمامة به ولا سيما في أوله  
لملم أنه كاذب ولخجل من نفسه (كما يقول الانكليز) قبل خجله من الناس ولو  
كانت الجنود المحمدية يامستر كراهام محتمل عند الانتصار بالاكل والزمر والخر  
والعهر ما أكلت جنود أسلافكم وسادتكم الذين استعبدوكم قروناً أغني الروم  
الجبابرة في ربع قرن أو أقل على قلة عددهم وعددهم.

اني أرني لجهلك يامستر كراهام وأعني ان تعلم ولو قليلاً سيرة محمد وأصحابه  
الابرار الاطهار: أفطن أن أصحاب محمد كأصحاب نابليون وكجنودكم في الوقت الحاضر  
كلما انتصروا فزعوا الى اللهو والفواحش كالذباب؛ ان أصحاب محمد كانوا يحبون  
لياليهم في معسكرهم بالصلاة وتلاوة القرآن اقتداءً بنبيهم، اقرأ يا كراهام في سورة  
السجدة من القرآن ( تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً  
ومما رزقناهم ينفقون ) ثم اقرأ في سورة الفتح ( محمد رسول الله والذين معه أشداء  
على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيامهم في  
وجوههم من أثر السجود ) ثم اقرأ في سورة الذاريات ( كانوا قليلاً من الليل  
ما يجمعون وبالألسن يحارمون يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ) وكذلك  
كان هدي نبيهم وإمامهم كما وصفه الشاعر بقوله

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع  
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أنت ما قال واقع  
يبيت بجاني جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع  
( يجمع )





## تقرير المطبوعات (ناخر عدة أشهر)

### كتاب المحلى للإمام أبي محمد علي ابن حزم

من حسنات المطابع في هذا العصر أن سرت لكل مشتغل بفقهِ الحديث أن يقتني كتاب المحلى مطبوعاً أحسن طبع على أجود ورق في أحد عشر جزءاً، بعد أن كان من كنوز أغنى الخزائن، وأندر النخائر، وحسبك من فضله ونفعه شهادة سلطان العلماء الإمام عز الدين بن عبد السلام أنه هو والمغني لابن قدامة أحسن ما كتب المسامون في الفقه، فهي تغني عن وصفه وبيان إمامة مؤلفه وفضله، وثمن النسخة منه ١٥٠ قرش وهو يطلب من طابعه الأستاذ الشيخ محمد منير الدمشقي ومن مكتبة المنار

﴿ كتاب الفتح الرباني - لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني ﴾

( وكتاب بلوغ الأمان، من أسرار الفتح الرباني )

الإمام أحمد رحمه الله تعالى إمام أئمة السنة حفظاً ورواية ودراية وفقهاً، وجرحاً وتمديلاً، ومسنده أوسع الأصول في الحديث وأعمها فائدة، والمسانيد موضوعة لحفاظ الحديث يشق على غيرهم الاستفادة منها، فان كان تلاميذه منهم لم يحتاجوا إلى ترتيب أحاديثه على أبواب كتب السنن كما فعل الحافظ أبو داود السجستاني من اعلامهم، فالفقهاء من أتباعه كانوا أحوج الناس إلى ذلك، ونحن لا ندري هل وجد فيهم من قام بهذه الخدمة أم لا، وإنما ندري أنه ليس في الأيدي شيء من ذلك، وكان الله تعالى ادخرها لأحد إخواننا أصدقاء المنار وهو الأستاذ الفاضل خادم السنة السنية الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي، ولعمري أنه لقد قام من العناء في هذا الترتيب ما لم يكن يظن أن أحدا يطيقه في هذا العصر، وسلكت فيه سبيلاً لم يسبق إلى مثله: جعل الكتاب كله اثني عشر جزءاً، وكل جزء منه أربعين ملزمة (كراسة) من ملازم الطبع بالقطع الكامل. وعد أحاديث كل كتاب بالأرقام واقتصر في السند على اسم الصحابي وطبعها بحرف كبير مضبوط بالشكل الكامل فهذا كتاب الفتح الرباني، وأما كتاب بلوغ الأمان فهو شرح وجيز له في أدنى الصفحات بحرف أصغر من حرف المتن. بيد أنه يذكر السند فتفسير غريب الحديث ثم الضروري من معناه ثم غريبه، فبحث الهدى في السنة على المبادر إلى اقتضائه



سبب تأخر هذا الجزء من المنار وسيكون ما بعده أكبر وأحسن

آخرنا هذا الجزء وهو الأول من هذا العام انتظاراً لاجوبة المشتركين الذين خیرناهم في الجزء الماضي بين أكرم الخصال وأشرف الخلال، ولم أرض لأحد منهم إلا ما يرضاه الله عز وجل للذين أورثهم الكتاب من عباده المصطفين لذينة (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) ويوسفنا أن كثيراً منهم رضى لنفسه ما لا يرضاه الله لأحد من أهل دينه ووارثي كتابه حتى أدنى الطبقات وهم الظالمون لأنفسهم، رضوا بأن يأكلوا حقه بالباطل سحتوا واختاروه على أكله حلالاً عن سماح ورضى، وعفو عما مضى، كما علم كل من قرأ الجزء الماضي، ومنهم من وفى واعتذر قبلنا عذرة، ومنهم من وعد وطلب النظرة إلى الميسرة فانظرناه، ومنهم من طلب العفو والسماح فسامحناه، ولكن أكثر مشتركى هذا القطر لما يردوا لنا جواباً فهو لاء لا نرسل اليهم هذا الجزء وإن جاز أن يكون بعضهم يقرأ خطاب التخيير بعد، وأما أهل الاقطار البعيدة ولا سيما جزائر الهند الشرقية فموعد رجوع الخطاب منهم قد صار قريباً

وعدت بتجديد حياة المنار صورة ومعنى، فاما الورق فكما يرى القراء جودة وحسناً، وأما الحروف فلها يتم كل ما أوصينا عليها منها، واما الصحائف فقد زدنا في هذا الجزء كراسة ونرجو أن نزيد فيما بعده أيضاً حتى يعود مجلده كما كان. اذ كانت سنته اثني عشر شهراً او أكثر. إن وفى لنا المشترك كون في تجديد النظام، وصاروا يؤدون قيمة الاشتراك في اوائل العام، ونفتح لهم فيه الابواب الادبية والعلمية التي عزمنا عليها ونحمد الله ان الذين يغرفون قدر المنار لا يعدلون به غيره من المجلات الدينية التي قلما يجدون فيها شيئاً الا منقولاً من الكتب المطبوعة الرخيصة يمكن ان يستغنوا به عنها، وما يجدونه فيه من حقائق التفسير وحل المشكلات بالفتاوى وغيرها لا يجدونه في غيره البتة، وانما يجدون شيئاً تطمين به القلوب، وتشرح له الصدور، كما تراه في تفسير امر يعقوب عليه السلام أبناءه بالدخول من ابواب متفرقة، والحاجة التي كانت في نفس يعقوب فقضاها بهذه الوصية، فاقراً جميع التفسير من اقدمها الى احدثها ثم ارجع الى تفسير المنار، وكذلك سائر ما تقدم وما تأخر من هذه السورة وغيرها، واسأل عقلك واستفت قلبك في ذلك كله



فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ  
الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ  
أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ أَصْحَابُ  
الْأُفُقِ الْأَعْلَى

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ  
وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ  
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا  
يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ

١٣١٥

حال علیہ الصلوٰۃ والسلام ان لا سلام صری « وشاراً » کنار الطریق

٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٥٤ برج الاسد سنة ١٣١٣ هـ ش ٣٠ يوليو سنة ١٩٣٥

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي في مريضة عصرية لا بد ان يكون لها في جوارحيها ما ياتي

(٦٩) وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا  
 أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧٠) فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ  
 جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ  
 لَسَاءُ رَاقُونَ (٧١) قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (٧٢) قَالُوا تَفْقِدُ  
 صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٣) قَالُوا  
 نَحْنُ لَكَ بِمَقْرُونَيْنِ فَحَتَّ حِشْيَ الْمُؤَذِّنِ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سُرَّاقِينَ





(٧٤) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ١ (٧٥) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ  
وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَّالِكَ تُجْزَى الظَّالِمِينَ (٧٦) فَبَدَأَ  
بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاوِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاوِ أَخِيهِ ، كَذَّالِكَ  
كَذَّبْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ  
تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ

٢٩٩ ولما دخلوا على يوسف في مجلسه الخاص به بعد دخولهم البلد أو

باحة القصر من حيث أمرهم أبوم ﴿وَأَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ أي ضم إليه أخاه الشقيق وهو بنيامين من دونهم ، وهذا ما كان يتوقع يعقوب أو أكثر مما كان يتوقع من حذب عليه يظهر أثره في وجهه أو عناية يختصه بها ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ يوسف الذي فقدتموه في صغره . وقيل إنه لم يصرح له بأنه أخوه الشقيق وإنما قال هذا من باب التجوز والتشبيه ، ويرد هذا تأكيد الجملة الخبرية الاسمية بأن وبنا كيد ضمير المتكلم ، ويدل على الحقيقة قوله ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي فلا يرهقنك بعد الآن بؤس أي مكروه ولا شدة بسبب ما كانوا يفعلون من الجفاء وسوء المعاملة بحسدهم لي ولك . فلا تبتأس افتعال واهتمام بالأسباب التي تجلب البؤس والشقاء . وفي سفر التكوين أن أبام أرسل معهم هدية إلى الرجل فوق الفضة التي يشترون بها القمح والفضة التي كانت ردت اليهم لاحتمال أن تكون ردت سهواً وقال لهم ٤٢ : ١٣ وخذوا أخاكم وقوموا ارجعوا إلى الرجل ١٤ والله القدير يعطيكم رحمته أمام الرجل حتى يطلق لكم أخاكم الآخر (١) وبنيامين وأنا إذا عدت الأولاد عدتهم ١٥ فأخذ الرجال هذه الهدية وأخذوا نصف الفضة في أياديهم (كذا) وبنيامين وقاموا ونزلوا إلى مصر ووقفوا أمام يوسف ١٦ فلما رأى (١) يعني بأخيه الآخر شمعون إذ كان على روايته قد أمسكه عندهم هنا ليأتوا ببنيامين



يوسف بنيامين معهم قال للذي على بيته أَدْخِلِ الرجال إلى البيت واذبح ذبيحة وهي  
 (طعاما) لان الرجال يأكلون معي عند الظهر ففعل الرجل كما قال يوسف « وفيه انهم  
 خافوا لما أَدْخَلُوا إلى بيت يوسف أن يوقع بهم ويأخذ عبيدهم وحبهم فقصوا على الرجل  
 قصتهم ومنها ما وجدوه في رحالهم من الفضة المعادة اليهم فطأ بهم وأخرج اليهم أخاهم  
 شمعون وأكرمهم إلى أن جاء يوسف وقت الظهر لِيَأْكُلَ معهم ، فلما جاء قدموا له  
 الهدية وسجدوا له إلى الارض وسألهم عن سلامتهم وسلامة أبيهم أحي هو ؟ (٢٨)  
 فقالوا عبدك أبونا سالم هو حي بعد وخروا وسجدوا ٢٩ ورفع عينيه ونظر بنيامين  
 أخاه ابن أمه وقال : أهذا أخوكم الصغير الذي قلتم لي عنه ؟ ثم قال الله ينعم عليك  
 يا ابني ٣٠ واستعجل يوسف لأن أحشاه حنت إلى أخيه وطلب مكانا ليبكي ،  
 فدخل الخدع وبكى هناك ٣١ ثم غسل وجهه وخرج وتجلد . وقال قدموا طعاما  
 ٣٢ قدموا له وحده ، ولهم وخدمهم ، وللمصريين الآكلين عنده وخدمهم ، لان  
 المصريين لا يقدرّون أن يأكلوا طعاما مع العبرانيين ، لانه رجس عند المصريين ٣٣  
 فجلسوا قدامه البكر بحسب بكر ريته والصغير بحسب صفه فبعت الرجال بعضهم  
 إلى بعض ودفع حصصا من قدامه اليهم فكانت حصص بنيامين أكثر من حصص  
 جميعهم خمسة أضعاف » وهذه الرواية ذكرها الزمخشري بما هو اللطيف مما في سفر  
 التكوين ولم يذكر المصريين بل ذكر انه اجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين  
 وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه ، فقال يوسف : بقي أخوكم  
 وحيداً ، فأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله ، وقال أنتم عشرة فلينزل كل منكم  
 بيتا (أي حجرة) وهذا لا ثاني له فيكون معي ، فبات يوسف يضمه إليه ويشم رائحته  
 حتى أصبح ، وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتقت أمهاتهم من اسم أخ لي  
 هلك ، فقال أحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك ؟ قال من يجد أخا مثلك ؟  
 ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل ، فبكى يوسف وقام إليه وعانقه وقال له ( إني أنا  
 أخوك ) الخ وهذا قريب من العقل والفطرة ، وفيه من عواطف الرحم وإيثار الأخ  
 الشقيق على غيره ما يستكمل عنه في الخلاصة الاجالية إن شاء الله تعالى



٧٠ ﴿فلما جهزهم بجهازهم﴾ تقدم مثله قريبا ﴿وجعل السقاية في رحل أخيه﴾ السقاية بالكسر : المكان الذي يسقى فيه الناس، وولاية سقيهم حيث تكون حرفة (أو مصلحة كما يقال في عرف هذا المصر) ومنه سقاية الحاج المعروفة قبل الاسلام وبعده إلى أن كثرت الماء بمكة وكثر الحجاج. قالوا : وتطلق على إناء أو وعاء يسقى به وهو الذي عبر عنه في الآية ٧٢ بصواع الملك، وهو كالصاع مكيال معلوم يكال به الحب وغيره، ويلوح لي أنه يسمى سقاية إذا كيل به الشراب الذي يوزع على المستقين كالحجاج إذ كانوا يسقون نبيذ التمر (أي تقيعه) فيكفي عدة منهم، لا أنه ما يكفي الواحد كالكأس والكوب، وقد أطلقه المفسرون على المكيال الذي يسمى المكوك (مذكر) وهو ثلاث كيلجات، والكيلجة بكسر الكاف وفتح اللام : كيل معروف لأهل المراق وهي منا وسبعة أثمان منا، والمنا رطلان اه من المصباح. وفي الإفصاح أن المكوك نصف الوية وهي اثنان وعشرون مدا بعد النبي ﷺ أو ثلاث كيلجات، والمد مكيل وهو رطلان أو رطل وثلاث وهو أيضا ربع الصاع اه فالمكوك على هذا كيلة مصرية، قال السقاية والصواع إذا كيل من ١٢ من الأردب المصري المعروف الآن، والظاهر أن إضافته إلى الملك يراد به أنه المكيال الرسمي الذي صدر به أمره، لا كما يفهم من أكثر التفاسير أنه كان كأسا من الذهب أو الفضة لشربه، فما المناسبة بين كأس الشراب، ومكيل بيع الطعام؟ وفي سفر التكوين أنه طامس ليوسف من الفضة كان يشرب فيه ولولم يسم إلا بالسقاية لصح أن يوافق هذا المعنى. والصاع يصح أن يشرب منه لا به وأما رواية التفسير المأثور فأخرجوا عن ابن عباس في السقاية قال : هو الصواع وكل شيء يشرب منه فهو صواع، وفي رواية أخرى عنه في صواع الملك قال شيء يشبه المكوك من فضة كانوا يشربون فيه، وفي رواية أن نافع بن الأزرق قال له أخبرني عن قوله [صواع الملك] قال الصواع الكأس الذي يشرب فيه. قال وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم أما سمعت الأعشى وهو يقول :

له درمك في رأسه ومشارب وقدر وطباخ وضاع وديسق

وفي رواية عنه : صواع الملك كان من نحاس، وعن عكرمة كان من ذهب على





ما يذكره ، وفي رواية أخرى عنه كان من فضة ، وعن سعيد بن جبير في صواع الملك هو الميكوك الذي يلتقي طرفاه كانت تشرب فيه الاعاجم الخ وفي رواية انه كان فضة مموهة بالذهب . وهذه الروايات لا يمكن أن تكون مأخوذة من اللغة كما علمت وإن ذكرت أقوالهم في بعض كتبها ، ويثبت الاعشى لا يدل على أن الصواع الكأس الذي يشرب الناس به ، وروى عن بعضهم أنهم كانوا يسقون به الحمر وهو أقرب ، ولا من التاريخ إلا ما ذكرنا من عبارة سفر التكوين زادوا عليها ما زادوا بما لا دليل عليه . وليس فيها حديث مرفوع صحيح ولا ضعيف ، فهي إذاً من الأسرانيات التي لا قيمة لها

﴿ ثم أذن مؤذن ﴾ أي نادى مناد وقف يا بنهم ليسمعوا كلهم من التأذين وهو تكرار الاذان وكثرته ، وهو الاعلام بالشيء الذي تدركه الاذن ، يقال آذنه بالشيء ، إيدانا : أي أعلمه به ، وأذن الناس بكذا أي أعلمهم المرة به بعد المرة ومنه المؤذن بالصلاة ﴿ أيتها العير انكم لسارقون ﴾ العير بالسكسر الابل التي عليها الاحمال لانها تعير أي تنجي ، وتذهب ، وقيل هي قافلة الحمر ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير ، كأنها جمع عير بالفتح ( كبيت ) وهو الحمار ، وفي سفر التكوين ان قافلته كانت من الحمر — أي نادى يا أصحاب العير قد ثبت عندنا انكم سارقون فلا ترحلوا حتى ننظر في أمركم ، والظاهر من السياق أن يوسف ( ع.م ) وضع السقاية في رحل أخيه بيده ولم يكله الى أحد من فتيانه كتبهمهم الاول والثاني اثلاً يطلعوها على مكيدته ، وكان من شأنهم أن افتقدوا السقاية لانها الصواع الذي يكيلون به للمتارين فلم يجدوها ، فأذن مؤذنتهم بذلك أي كرر النداء به كدأب الذين يندشدون المفقود في كل زمان ومكان ، ولبس في العبارة ولا في السياق ما يدل على أنه قال هذا بأمر يوسف حتى يقال كيف أمره بالكذب ويحتاج الى تأويله له كما تكلفه بعض المفسرين ومصرق من باب ضرب والمصدر السرق بالتحريك والاسم السرق والسرقة بكسر الراء

﴿ ٧١ قالوا وأقبلوا عليهم ﴾ أي قال اخوة يوسف للجماعة المؤذن وقد تركوا

رحلهم وأقبلوا عليهم ﴿ ماذا تفقدون ﴾ من فقد الشيء الموجود أي غاب عنه



وعلمه فلم يجده حيث يعسده ، وتفقدته تعسده وفقدته عنه حيث يعسده

٧٢ ﴿ قالوا نفقد صواع الملك ﴾ أي نفقد الصاع الرسمي الذي عليه شارة الملك ﴿ ولمن جاء به حمل بهير ﴾ أي وسق حمل من الطعام وهو القمح وهذا يدل على أن عيرهم كانت الابل لا الحمير إلا أن يقال إن الاحمال كانت تقدر بما يحمله البعير وان حملت على غيره ﴿ وأنا به زعيم ﴾ يقول المؤذن وأنا كفيل بحمل البعير أجعله حلوانا للذي يجيء به ، يعني ان كان مفقوداً غير مسروق أو جاء به غير سارقه

٧٣ ﴿ قالوا تالله لقد علمتم ﴾ القسم بالتاء خاص باسم الجلالة وسمع : ترب الكعبة ، أي لقد علمتم بما خبرتموه من أمرنا وسيرتنا في امتيارنا الاول وفي عودتنا وإعادتنا لبضاعتنا التي ردت اليها مع غيرها لما نبغيه من الميرة الثانية اننا ﴿ ما جئنا لنفسد في الارض ﴾ أي في أرض مصر بسرقة ولا غيرها من الاعتداء على الحقوق ﴿ وما كنا سارقين ﴾ أي وما كان من شأننا ولا مما يباح في ديننا وأدبنا أن نسرق ، فهذا من نفي الشأن وهو أبلغ من نفي الفعل كما يبناء مراراً

٧٤ ﴿ قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين ﴾ أي قال فتيان يوسف لهم فما جزاء الصواع على سارقه أو ما جزاء سارقه ان كنتم كاذبين في جحدكم للسرقة وادعائكم البراءة والنزاهة ؟

٧٥ ﴿ قالوا جزاؤه من وجسه في رحله ﴾ أي جزاؤه أخذ من وجد في رحله وظهر أنه هو السارق له وجسه عبداً لصاحبه ﴿ فهو جزاؤه ﴾ تقرير للحكم وتأكيده في شرع يعقوب وآله وهو أن يسترق السارق سنة ﴿ كذلك نجزي الظالمين ﴾ للناس بسرقة أمتعتهم وأموالهم في شرعنا ، فنحن أشد الناس عقاباً لهم وهذا زيادة في تأكيد قولهم لثقتهم ببراءة أنفسهم ، ولا يجوز أن تجعل هذه الجملة من كلام فتيان يوسف كما قيل

٧٦ ﴿ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ﴾ أي فبدأ يوسف بتفتيش أوعيتهم



كأنني تشتمل عليها وحالمهم ابتعاداً عن الشبهة وظن التهمة بالحيلة ثم استخرجها من وعاء أخيه أي ثم انه بعد الفراغ من تفتيش أوعيتهم فقتش وعاء أخيه فأخرج منه السقاية ، وقيل يصح عود الضمير المؤنث الى الصواع لانه يذكر ويؤنث كما قال الزجاج ، ولكن لا يناسب تأنيث ضميره بعد تذكره في قوله ( ولما جاء به حمل بهير )

ومن دقائق القرآن التي يعز استخرجها على غير مهرة الغواصين على الآليء بقوله تعالى ( استخرجها ) بدلا من أخرجها ، فان الاستفعال في أصل اللغة طلب الفعل لا إيجاده ، والطلب يكون بالقول ويكون بالفعل ، ونكتة البلاغة فيه هنا ان يوسف فعل الاسباب التي انتهت الى خروج السقاية من وعاء أخيه سواء فعل ذلك بيده أو بأمره لعلما به وأتباعه ، فهذا ابتغاء وطلب لما يفعل أسبابها ومقدماتها ، هو من أخرج الشيء من الشيء ابتداء بغير تكلف أسباب ولا مقدمات لا يصح أن يقال استخرجه : يقال أخرج يدك من جيبك ولا يصح أن يقال استخرجها ، وقالوا استخرجت الشيء من المعدن بمعنى خلصته من ترابه ، فصفة الاستفعال هنا على أصلها كالتى في الآية ، ومنه المستخرجات عند المحدثين فتأمل

وكذلك كدنا ليوسف مثل هذا الكيد الخفي - وهو التدبير الذي يخفى ظاهره على ناظره والمتعاملين به حتى يؤدي الى باطنه المراد منه - كدنا ليوسف أي ألهمناه بإياه وأوحينا اليه أن يفعله ( ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك ) هذا استئناف لبيان الكيد له معناه أنه ما كان من شأنه ولا مما تبيحه له إمامته لملك مصر أن يخالف دينه أي شرعه الذي يدين الله تعالى به في أخذ أخيه من إخوته ومنعه من الرجوع معهم وهو ملتزم له بتفويضه الحكم في بلاده به ، فأخذه بغير جرم يبيحه له ظلم واستبداد ، وللسرقة عقاب دون أخذ السارق واسترقاقه

بيان هذا الكيد الإلهي انه لما كان استبقاء بنيامين عند يوسف مصلحة اقتضتها بالحكمة الربانية في تربية إخوته وعقابهم بما فرطوا في يوسف وتمحيصهم وتصفيتهم واصطفاء أبيهم أيضا واستحقاقهم إتمام النعمة عليهم يتوقف على أخذه بصفة غير





استعدادية وغير مانتضيه شريعة الملك ، وما هو إلا أن يكون بحكم اختياري من إخوته على أنفسهم بمتبضي شريعتهم ، يذوقون به ألمه ومرارته فيما لا لوم به على أحد غير أنفسهم ، ولا سبيل إلى هذا الحكم منهم إلا وقوع شبهة السرقة على بنيامين من حيث لا يؤذيه ذلك ولا يؤله وقد أعلمه أخوه يوسف به وبغايتته . ولما كانت هذه الوسيلة الوحيدة إلى تلك الغاية الشريفة منكورة الظاهر لأنها تهمة باطلة وكان من شأن يوسف أن يتأثم بها ويتحاماها إلا بوحى من الله تعالى بين تعالى انه فعل ذلك بمشيئته وإذنه فقال ﴿ إلا أن يشاء الله ﴾ فهو نص صريح في أنه فعل ذلك بأذن الله تعالى ووحيه لا أنه هو الذي اخترع هذه المكيدة ، واحتال بها لمخالفة الشريعة ، كما يزعمه علماء السوء أصحاب الحيل التي يخترعونها لا تباغ أحوالهم والخروج عن حكمة ربهم ﴿ ترفع درجات من نشاء ﴾ في العلم والایمان كما رفعنا درجة يوسف ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ وأوسع إحاطة وأرفع درجة منه في العلم المطلق إما علمه وإما غير علمه الذي تفوق فيه كما تدل عليه قصة موسى مع الخضر ، فلا يوجد أحد من علماء الخلق يحيط علما بكل شيء فيكون فوقهم كلهم ولا يكون فوقه أحد ، وإنما الذي أحاط بكل شيء علما وهو فوق كل ذي علم على الإطلاق فهو الله رب العالمين عز وجل الذي أحاط بكل شيء علما

(٧٧) قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ، فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ، قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٨) قَالُوا يَأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٩) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا ظَالِمُونَ



ماذا قال اخوة يوسف العشرة عندما رأوا السقاية قد استخرجت من وعاء بنيامين؟

٧٧ ﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِق ﴾ هذا من دوننا وما كانت السرقة من شأننا ودأبنا

﴿ فقد سرق أخ له من قبل ﴾ يعنون يوسف عليه السلام وإن العلة فيه وفي أخيه واحدة وهي أمهما ، كأنهما ورثا هذه الجريمة منها : إذ لا ينفردان دونهم إلا بهما ، وهذه التهمة دليل على أن حسدهم لهما لا يزال كامنا في قلوبهم وإن علمته الأولى اختلاف الامهات ، وزيادة عطف الاب عليهما كما قلنا في تفسير أول السورة . ويجوز أن تكون هذه التهمة كاذبة كقولهم (أكله الذئب) وأن يكون لها شبهة كشبهة سرق بنيامين .  
 اختلف المفسرون في هذا وذاك ورووا فيه روايات لا يعرف لها أصل إلا ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعا قال «سرق يوسف (ع.م) صنما لجده أبي أمه من ذهب وفضة فكسره وألقاه في الطريق فميره بذلك اخوته» وعن سعيد ابن جبير وقتادة مثله غير مرفوع ولم يخرج المرفوع أحد من رواة التفسير المأثور غير ابن مردويه ولم يعتمدوه منهم أحد بل عبر بعضهم عنه بقيل . وقيل كان الصنم لحاله يعبد فأمرت أمه يسرقته وكانت مسلمة ، وقيل سرقه من كنيسة وقيل سرق مكحلة لحالته ، وقيل بيضة وقيل دجاجة ، وقيل أخذ شيئا من الطعام عن المائدة فتصدق به .  
 وكل هذه روايات إسرائيلية سخيفة كان زنادقة اليهود يضحكون بها على المسلمين وألبقها وألبقها بالمقام ما أخرجه ابن اسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد وهو : قال كان أول ما دخل على يوسف (ع.م) من البلاء فيما بلغني أن عمته وكانت أكبر ولد اسحاق عليه السلام وكانت اليها منطقة اسحاق فكانوا يتوارثونها بالكبر وكان يعقوب حين ولد له يوسف عليه السلام قد حضنته عمته فكان معها واليها فلم يحب أحد شيئا من الاشياء كحبها إياه حتى اذا ترعرع ووقعت نفس يعقوب عليه السلام عليه فأتاها فقال يا أخية (١) سلمني إلي يوسف فوافقه ما أقدر على أن يغيب عني ساعة ، قالت فوالله ما أنا بتاركته فدعه عندي أياما أنظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ، فلما خرج يعقوب من عندها عمدت الى منطقة اسحاق عليه السلام فحزمتها على يوسف عليه السلام من تحت ثيابه ، ثم قالت فقدت منطقة اسحاق فانظروا من أخذها ومن



فأصابها فالتفت ثم قالت اكشفوا أهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع يوسف عليه السلام فقالت والله انه لسلم لي أصنع فيه ماشئت، فأتاها يعقوب عليه السلام فأخبرته الخبر فقال لها: أنت وذلك إن كان فعل ذلك فهو سلم لك ما أستطيع غير ذلك، فأمسكته فخا قدر عليه حتى ماتت عليها السلام، فهو الذي يقول اخوة يوسف عليهم السلام حين صنع بأخيه ما صنع (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) والروايات لا يوثق بها ولا يدل شيء منها على سرقة حقيقية

﴿ فأسرها يوسف في نفسه ﴾ أي فكتم هذه القولة أو الكلمة التي سمعها يوسف منهم في نفسه ﴿ ولم يبدها لهم ﴾ أي لم يؤاخذهم بها قولاً ولا عملاً لانه بلغ منهم كل ما أراد من حيث لم يتعرف اليهم وإمكانه ﴿ قال أنتم شر مكاناً ﴾ أنتم شر في مكانتكم ومنزلاتكم مما تعرضون به أو تقرونه، يعني انكم سرقتم من أبيكم أحب أولاده اليه وعرضتموه للهلاك والرق، وقلتم لا بيبكم قد أكله الذئب الخ ﴿ والله أعلم بما تصفون ﴾ وهو أنكم كاذبون فهو يجازيكم عليه في الدنيا الآن. والظاهر انه قال هذا في نفسه فهو استئناف بياني، ورجح بعضهم أن هذه الجملة تفسير للضمير في (أسرها) على أنه مما يسميه المنحاة الاضمار على شريطة التفسير الذي يجوزون به عود الضمير المتقدم على المتأخر عنه لفظاً ورتبة وله شواهد ونازع فيه بعض أئمتهم بما لا محل له في تفسيرنا

٧٨ ﴿ قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا ﴾ بالغاً غاية الكبر في الشيخوخة أو كبير القدر جديراً بالرعاية كما علمت مما قصصناه عليك من خبره وتعلقه به ﴿ فخذ أحدنا مكانه ﴾ بدله إذ استحققت أخذه فهو محل محله عندك فيما تشاء من الخدمة التي تراد من الرقيق، من حيث ترحم هذا الشيخ الكبير فيما لا يضيرك ﴿ إنا نراك من المحسنين ﴾ الذين لا يأبون إحساناً يقدرون عليه أو من المحسنين إلينا في ميرتنا وضيافتنا ونجميزنا، وهذا الذي نرجوه منك الآن، هو غاية الاحسان

٧٩ ﴿ قال معاذ الله أن نأخذ ﴾ أي نعوذ بالله معاذاً من أن نأخذ ﴿ إلا من





وجدنا متاعنا ﴿ وهو الصواع ﴾ عندنا ﴿ وهو بنيامين ﴾ ، ولم يقل الا من سرق متاعنا  
 اتقاء للكذب فانه يعلم انه ليس بسارق ، وقول المنادي « انكم لسارقون » مبني على  
 الظاهر له من فقد الصواع فقد قال ما اعتقد ولم يكن يعلم الملكية كما تقدم على أنه  
 ليس كيوسف في تحري الحق ﴿ إنا اذا ﴾ أي اذا أخذنا غيره ﴿ لظالمون ﴾  
 بمخالفة حكم شرعكم ونص فتواكم من إحدى الناحيتين ولشريعة الملك من الثانية

(٨٠) فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ  
 تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوَثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا  
 خَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنَ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ  
 اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨١) ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا  
 يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ  
 حَافِظِينَ (٨٢) وَسُئِلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا  
 فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٣) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا  
 فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ  
 (٨٤) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْءَسَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبِغَضْتُ عَنْنَاهُ مِنْ  
 الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ

٨٠ ﴿ فلما استيأسوا منه ﴾ أي استحسبوا اليأس في أنفسهم من قبول العزيز لشفاعتهم  
 واستعطافهم لإقامته بالحجة عليهم بشرعهم وفتواهم وكون فعله حينئذ يكون ظالما  
 يحكم الشريعتين : شريعتهما وشريعة ملك مصر ، أو استيأسوا من بنيامين ان  
 يعود معهم الى ابيهم ، فالاستيأس هنا اخص من اليأس الذي يقع ابتداء من غير



طلب لاسباب الرجاء التي تحول دونه فهو على اصل معنى الصيغة كما قلنا آتفا في كلمة (استخرجها) وعبروا عنه بالمبالغة في اليأس ﴿خلصوا نجيا﴾ انفصلوا من كل شيء كانوا فيه وانجمعوا دون يوسف واخيه وفتيانه لا يخالطهم أحد ولا شيء خالصين للمناجاة والمسارة في امرهم كأنهم نجبي واحد أو كأنهم نفس المناجاة، فالنجبي يطلق بمعنى المناجي كالمشير والسمير بمعنى العاشر والمسامر ومنه قوله تعالى (وقربناه نجيا) وبمعنى المصدر أو اسمه أي التناجي والنجوى فيستوى فيه المفرد والمثنى والجمع فيقال هم نجبي ونجوى ومنه قوله تعالى (وإذ هم نجوى)

وهذه الجملة في منتهى البلاغة وإعجاز الإيجاز، يتمثل للعربي عند سماعها أولئك الاخوة العشرة وقد أعرض كبيرهم عن استعطاف العزيز، وغادر كل واحد رحله وما كان فيه، وانكشف بعضهم إلى بعض وأدنى رأسه من رأسه وأرهموا آذانهم

لـلنجوى ﴿قال كبيرهم﴾ في السن والرأي ﴿ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله﴾ أي عهداً مؤكداً بالقسم بالله لتأنته بنيامين إلا أن يحاط بكم فلا يبقى منكم

أحد وما الوقت يبعد فينسى ﴿ومن قبل ما فرطتم في يوسف﴾ التفريط في الشيء المبالغة في التقصير والاهمال له، وضده الإفراط وهو المبالغة فوق الحاجة — أي ومن قبل هذا ما قصرتم في حفظ يوسف بعد وعدمكم المؤكد بحفظه، أو تفريطكم فيه، وما

قاساه أبوكم من الحزن عليه ﴿فلن أبرح الأرض﴾ أي فلن أفارق هذه الأرض أو أرض مصر ﴿حتى يأذن لي أبي﴾ بتركها وبنيامين فيها والرجوع اليه ﴿أو يحكم

الله لي﴾ بأمر من عنده مما هو غيب في علمه كأن يترك العزيز لي أخي بإلهام منه تعالى أو بسبب آخر، فالحكم هنا تكويني لا تكليفي وهو المعبر عنه بالقضاء والقدر ﴿وهو خير الحاكمين﴾ لانه لا يحكم إلا بالحق وهو المقدر للأقدار، والمسخر للأسباب

٨١ ﴿ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق﴾ صواع الملك فاسترقه

وزير العزيز القائم بالامر في مصر عملاً بشريةتنا إذ اضطردنا إلى إنبائه بها بعد أن استنبأنا، والاكتفاء بكلمة «ميرق» من إيجاز القرآن في السكوت عن المعروف



بالقرينة أو غيرها من الدلائل كقوله تعالى ( وجد عليه أمة من الناس يسقون )  
 ﴿ وما شهدنا ﴾ عليه بالسرقه بسامع أو إشاعة أو تهمة : ماشهدنا ﴿ إلا بما علمنا ﴾  
 إذ رأينا الصواع قد استخرج من متاعه ، أو ماشهدنا للعز ز بأن السارق يسترق  
 إلا بما علمنا من شرعنا علما قطعا جرى به العمل ﴿ وما كنا للغيب حافظين ﴾ فنعلم  
 أنه يسرق — أو فنعلم كيف وقع له هذا : هل هو حق أو كيد كيد له ؟ ولو كنا نعلم  
 بالغيب لما آتيناك الموثق علينا

٨٢ ﴿ واسأل القرية التي كنا فيها ﴾ أي وأضف إلى شهادتنا هذه سؤال أهل  
 القرية التي كنا نمتار فيها ، وهي مصر ، قال الراغب القرية اسم للموضع الذي يجتمع  
 فيه الناس وللناس جميعا ويستعمل في كل واحد منها ، ومنه قرية النمل ، ويقال قربت  
 الماء في الحوض وقريت الضيف قرى وقرى ( بالفتح وبالكسر ) وقرى الماء مجتمعه  
 ﴿ والعير التي أقبلنا فيها ﴾ أي أصحابها ممن كانوا يمتارون معنا ﴿ وإنا لصادقون ﴾  
 في شهادتنا سواء أسألت غيرنا أم لا . انتهى ما لقنهم إياه كبيرهم

٨٣ ﴿ قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً ﴾ أي فرجع الأخوة التسعة إلى  
 أبيهم فقالوا له ما لقنهم كبيرهم فلم يصدقهم على تأ كيدهم للخبر وإنما قال لهم ما معناه  
 إن الأمر ليس كما تقولون بل سولت لكم أنفسكم أمراً كيدا آخر أي هيئته وزينته  
 لكم فنفتنوه ، فإن لم تكونوا تريدون بأخيكم سوءاً فلم لقنتم هذا الرجل حكم  
 شريعتنا وأفتينموه به ؟ ﴿ فصبر جميل ﴾ فالذى عليّ والمصيبة قد وقعت صبر جميل  
 أنجمل به بين الناس وأشكو أمري إلى الله دونهم وأنوط الرجاء به وحده

﴿ عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً ﴾ يعني أولاده الثلاث : يوسف وبنيامين وكبيرهم  
 الذي بقي مرابطاً في مصر ﴿ إنه هو العليم الحكيم ﴾ الذي يحيط علماً بحالي وحالهم  
 وله فينا حكمة بالغة هي ولا بد بالغة أجلها ، وهذا يلاقي قوله ليوسف إذ قص عليه  
 رؤياه ( وكذلك يجيبك ربك ) إلى قوله ( إن ربك عليم حكيم ) فتأمل وتدبر ،  
 وتذكر واعتبر





٨٤ ﴿ وتولى عنهم ﴾ أي أعرض عن اولاده قطعا للكلام معهم كراهة له  
 ﴿ وقال يا أسفا على يوسف ﴾ أي يا حزني ويا حسرتي عليه، اقبلي فقد حقت كلمتك علي،  
 قال الزمخشري الاسف أشد الحزن والحسرة، وقال الراغب : الاسف الحزن  
 والغضب مما وقد يقل لكل منهما على الانفراد، وذكر أن ابن عباس (رض)  
 مثل عنهما فقال: مخرجهما واحد واللفظ مختلف، فمن نازع من يقوى عليه أظهره  
 غيظا وغضبا، ومن نازع من لا يقوى عليه أظهره حزنا وجزعا اه مختصرا ومن  
 استعماله في الغضب قوله تعالى ( فلما آسفونا انتقمنا منهم ) وقال الزجاج: الاصل  
 ( يا أسفي ) فأبدل من الياء ألfa لحقة الفتحة . والاسف شدة الجزع وقيل شدة الحزن .  
 ومناداة الاسف تعبير عن الشعور بأن الوقت وقته فهو قد وقع بحق فان الطبيعة  
 مقتضية له فلا مناص منه لما تجدد من سبب احتياجه اذ كان ينتظر ان ياتوه من مصر  
 ببشرى لقاء يوسف كما علم مما قلناه في تفسير الحاجة التي كانت مطوية في سويداء  
 قلبه اذ نصح لهم بالدخول من ابواب متفرقة ، فخاب امله وحل محله ذهاب ابنة  
 المسلي عنه ، ولم يشركه معه بالاسف عليه لان مكان حب يوسف والرجاء فيه، قد  
 ملا سويداء القلب ومحانيه، وانما محل غيره وراء شفافه وجداره الخارجي

﴿ وابيضت عيناه من الحزن ﴾ اي عميتا أو اصابتهما غشاوة بيضاء ذهبت

ببصرهما مؤقتا مع بقاء عصبهما المدرك للبصرات صحيحا ﴿ فهو كظيم ﴾ أي  
 مملوء غيظا على اولاده قد كتمه في نفسه وفسروه بالمغموم وبالميكروب وبالكمد  
 والمكمود، وقال قتاده : كظم على الحزن فلم يقل الاخيرا، وفي لفظ يرد حزنه  
 في جوفه ولم يتكلم بسوء . وهو من كظم السقاء إذا شده بعد ملئه، وكظم البعير  
 إذا ترك الاجترار، والكظم مخرج النفس ويقال لمن يكتم ما في نفسه ككتم نفسه  
 كظيم ومكظوم، والحزن عرض من أعراض النفس الطبيعية لا يذم شرعا إلا  
 اذا بلغ بصاحبه الجزع أن يقول أو يفعل ما لا يرضي الله تعالى كما قال سيد الصابرين  
 ﷺ عند موت ولده ابراهيم وقد جعلت عيناه تذرفان فقال له بن عوف :  
 وأنت يا رسول الله ! فقال « يا ابن عوف انها رحمة » ثم أتبعها باخرى « فقال ان



المين تدمع والقاب يخشم ولا تقول الا ما يرضي ربنا ، وانا بفراقك يا ابراهيم محزونون » رواه الشيخان وغيرهما

ولكن الأنفس العالمة لا يبلغ منها الحزن غاية إلا اذا كان المحرك له أمر إلهي يليق بها كما يعلم من الآية الآتية في جواب يعقوب لأولاده على عذلم له وفي التفسير المأثور عن النبي ﷺ قال « إن داود عليه السلام قال يارب ان بني امرا ئيل يسألونك بابراهيم وإسحاق ويعقوب وتجعل لي لهم رابعاً . فأوحى الله اليه أن يادأود إن ابراهيم ألقى في النار بسببي فصبر وتلك بلية لم تنلك ، وان إسحاق بذل مهجة دمه بسببي فصبر وتلك بلية لم تنلك ، وان يعقوب أخذت منه حبيبه فابيضت عيناه من الحزن وتلك بلية لم تنلك » وهذا حديث مرسل أخرجه ابن أبي حاتم من طريق علي بن زيد عن الحسن عن الأحنف بن قيس ، وعلي بن زيد بن جدعان هذا ضعيف له مناكير ضعفه الامام أحمد كماروى ذلك عنه أولاده : حنبل وعبد الله وصالح وغيرهم وقل الجوزجاني : واهي الحديث ضعيف وفيه ميل عن القصد . قالوا وكان رافضيا وقد اختلط في آخر عمره . وقالوا انه كان يقلب الاحاديث ورفعا أي يرفع إلى النبي ﷺ ما ليس بمرفوع . وقال الحافظ ابن كثير في هذا الحديث : وهذا مرسل وفيه نكارة فإن الصحيح أن امما عيل هو الذبيح ولكن علي بن زيد ابن جدعان له مناكير وغرائب كثيرة والله أعلم . وأقرب ما في هذا ان الأحنف ابن قيس رحمه الله حكاه عن بعض بني امرا ئيل ككعب الاحبار ووهب ونحوهما والله أعلم فان بني امرا ئيل ينقلون ان يعقوب كتب إلى يوسف لما احتبس أخاه بسبب السرقة يتلطف له في رد ابنه : إنا أهل بيت مصابون بالبلاء فابراهيم ابتلي بالنار واسحاق بالذبح ويعقوب بفراق يوسف في حديث طويل لا يصح والله أعلم اهـ

(٨٥) قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَوْ تَذَكُّرُ يٰٓيُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ

تَكُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ (٨٦) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَىٰ

اللّٰهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٧) يٰٓيَبْنَـٰى أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا



مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْشَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْشَسُ  
مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ

٨٥ ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْ تَذَكَّرَ يُوسُفَ ﴾ أي لا تفتأ ولا تزال تذكر يوسف  
وتلمح به لا تفتأ ولا تنسى هم ﴿ حتى تكون حرضا ﴾ أي مشفيا على التلف  
ومشرفا على الهلاك من شدة الحزن والجزع ﴿ أو تكون من الهالكين ﴾ بالفعل  
ختمت كذا

الاصل في فعل فتيء أن يستعمل منقيا كخواته : « مازال وما يرح وما انك »  
فيقال ما فتيء ولا تفتأ فحذف ( لا ) مع القسم لانه لا يلتبس بالاثبات لان القسم  
إذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي . ومن الشواهد عليه قول امرء القيس  
فقلت بيمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي إليك وأوصالي  
والحرص مصدر حرص ( كتمب ) إذا أشرف على الهلاك من مرض أو  
حزن أو خوف فهو حرص بالتحريك يستوي فيه المفرد والمثنى والجمع مذكرا ومؤنثا  
لأنه مصدر وقال الراغب : الحرص مالا يعتد به ولا خير فيه ولذلك يقال لما  
أشرف على الهلاك وفي الأساس : نهك فلان مرضا ، حتى أصبح حرصا ، وهو  
المشي على الهلاك ولا تأكل كذا فانه بمرضك وبحرصك اهـ

٨٦ ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ أصل البث تفريق المجتمع وإثارة  
الكامن ، وبث النفس إظهار ما انطوت عليه من الغم أو السر ، أي لم تلوموني وأنا  
لم أشك اليكم ولا الى أحد من الخلق كدي الذي ضاق صدري عن حبسه فبثته ،  
وحزني الذي أمضني كتمانته فأفشيت به هذه الكلمة ( يا أسفي على يوسف ) ؟ إنما أشكو  
ذلك إلى الله وحده ﴿ وأعلم من الله ﴾ في ابتلائي بفراق يوسف وخفاء حاله علي  
﴿ ما لا تعلمون ﴾ أعلم منه انه حي يرزق وان الله يجتبيه ويتم نعمته عليه وعلى آل  
يعقوب وذريته به في الدنيا والآخرة ، وأرى البلاء يتناوشكم من كل جانب





يذنبوكم وبتفريطكم بيوسف من قبل ، وبأخيه الذي كان يسليني عنه من بعد ، وأنتم  
تظنون أن يوسف قد هلك ، وأن بنيامين قد سرق فاسترق ، وتحسبون أني  
يحزني ساخط على قضاء الله في شيء أمضاء فلا مرد له ، وأنا أعلم أن له أجلا فيه  
هو بالغه ، كلا ، هذا ما يدل عليه حال يعقوب ( ع . م ) ثم راجعت الدر المنثور فرأيت في  
تفسير الآية روايات وعظيمة لا يصح منها شيء ولا يليق بذي الله مبنية على عدم التفرقة  
بين الشكوى من الله والشكوى إلى الله التي هي مناجاة واسترحام ، ومن أكلبها  
مأزاه وهب بن منبه إلى التوراة وإنما الفهم الصحيح منها ما رواه ابن جرير وابن  
أبي حاتم عن ابن عباس ( رض ) في تفسير ( واعلم من الله ما لا تعلمون ) يقول  
اعلم أن رؤيا يوسف حق وأنني سأسجد له

٨٧ ﴿ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ﴾ أي اذهبوا إلى مصر  
فتكلفوا أن تدركوا بحواسكم من سمع وبصر شيئا من حال يوسف وأخيه حتى  
تكونوا على يقين من أمرهما ﴿ ولا تياسوا من روح الله ﴾ أي فرجه وتنفيه عن  
النفس لهذا الكرب ، وترويحها بما ترتاح له الروح ويطمئن به القلب ﴿ إنه لا يأس  
من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ بقدرته وسعة رحمته الذين لا يتجاوز  
علمهم بشئون أنفسهم وأحداث زمانهم دائرة ظنونهم واختبارهم الناقص إلى  
ما لله عز وجل في عبادته من حكم بالغة ولطف خفي ، فإذا تقطعت بهم الأسباب  
دون ما يبعثونه من كشف ضر أو جلب خير ينجموا أنفسهم أسفا ، وانتحروا بأيديهم  
هما وحزنا ، فأنفع ما يمتاز به المؤمن على الكافر أن المصائب والشدائد لا تقنطه  
من رحمة ربه وتفرجه لكربه ، وإن عظم عليه المصائب وتقطعت به الأسباب

ثم أعلم أن الروح ( بالفتح ) ما ترتاح له الروح ( بالضم ) وهما من مادة الريح ،  
كما إن مرادفها وهو النفس ( بالفتح ) من مادة النفس ( بالتحريك ) وهو نسيم  
« المنار : ج ٢ » « ١٤ » « المجلد الخامس والثلاثون »



الهواء الذي يتنفسه الانسان فيطهر دمه ويحفظ حياة نفسه الحيوانية، وما سميت  
اللطيفة الربانية المدركة الناقلة نفسا وروحاً وهي من عالم الغيب. إلا لان نسيم الهواء  
أقرب ما في عالم الشهادة اليها في لطافتها وما في معناها من معنى الحياة. قال الشاعر :-  
\* وحل من نفسي محل النفس \*

فروح الله لطفه الذي هو واسطة بين الحياتين الروحية والحيوانية بما فيه.  
من تنفيس كرب النفس ، ويسمى الفرج بعد الضيق نفسا ( بالتحريك ) ومنه ..  
حديث « إني لأجد نفس الرحمن من هنا » وأشار إلى اليمن وله تلمذة رواه  
الطبراني عن سلمة بن نفيل، وحديث « لا تسبوا الريح فانها من روح الله تعالى » الخ  
رواه أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة والنسائي والحاكم عن أبي

(٨٨) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضُّرُّ  
وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّجَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ  
اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٩) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَٰيُوسُفَ  
وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٩٠) قَالُوا أَوَإِنَّا لَا نَسِفُ يُونُسَ؟ قَالَ أَنَا  
يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا، إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ  
لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩١) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا  
وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ (٩٢) قَالَ لَا تَحْزِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ، يَقْبِضُ اللَّهُ  
لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٣) اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَإِنَّهُ لَمَقُومٌ  
عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بِصِيرٍ وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَتَجَمِّعِينَ



## ﴿ الفصل الرابع في الفرع القريب، وعطف الحبيب على الحبيب ﴾

٨٨ ﴿ فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الفرس ﴾ أي أصابنا ضرر الجماعة من هزال وضعف ، شكوا هذه المرة ما لم يشكوا من قبل ليروا تأثير الشكوى فيه ، وغرضهم الأول التحسس لا الامتياز ، شعروا أن أباهم يرجح أنه هو يوسف فأرادوا أن يروا تأثير هذا الاستعطاف فيه ﴿ وجئنا ببضاعة مزجاة ﴾ رديئة من شأنها أن يدفعها التجار ويردوها احتقاراً لها ، إذ لم يبق عندنا غيرها ، من أزجى الشيء وزجاء إذا دفعه برفق ، ومنه ( ألم تر أن الله يزجي سحابا ) وفي المصباح : وبضاعة مزجاة تدفع بها الأيام لقلتها ، وأزجيت الأمر آخرته ، وذكر بعض دواة المأثور نوع هذه البضاعة ولا مستند له ، وهذه العودة بين مصر وفلسطين لم تذكر في سفر التكوين ﴿ فأوف لنا الكيل ﴾ كما دلت الحميدة ومقتضى إحسانك ﴿ وتصدق علينا ﴾ بما تزيد على حقنا ببضاعتنا بعد اغماضك عن رداءها ﴿ إن الله يجزي المتصدقين ﴾ بخلاف ما ينفقونه والمضاعفة لم بما هو خير منه ، بالغوا في التذلل والاستحاح وإظهار الذل والحاجة لما ذكرنا آنفاً من تحسس تأثير ذلك في معارف وجهه ، وجرس صوته ، ومغالبة دمه ، واستشكل المفسرون طلب الصدقة وهي لا تحمل للأنبياء قياساً على خاتمهم عليه وعليهم السلام ، والقياس مع الفارق ، والجماعة لم يكونوا أنبياء ، وما فعلوه معه كاف في الدلالة على بعدهم عن النبوة واختصاصه بها دونهم كما تقدم ، ولقد كان تحسسهم في موضعه ، فماذا قال يوسف ؟

٨٩ ﴿ قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه ﴾ أي هل علمتم الآن ما أن لكم أن تعلموه بالتجارب في هذه السن من عاقبة ما فعلتم بيوسف من قبل وأخيه بنيامين من بعد ، وقد قرب العهد ﴿ إذ أنتم جاهلون ﴾ قبح فعلكم ، في نظر ربكم ، وحكم شرعكم ، وحقوق بر الوالد ، ورحمة الرحم ، أي في الحال التي كان يغلب عليكم الجهل بهذه الحقوق ، وبماقية النبي والفق ، ويجوز أن يكون مراده بالجهل ما يقابل العقل والحلم ، لا ما يضاد العلم ، وهو الطيش والنزق واتباع الهوى





وطاعة الحسد والاثرة ، والمختار عندي الجمع بين المعنيين فكلاهما كان واقعا  
قال يوسف هذا تمهيداً لتعريفهم بنفسه إذ آن أن يصارحهم بها ، وقد بلغت  
الاقدار من تربيتها له ولهم غايتها ، ولم يبق بعد هذا التمهيد إلا التصريح ، وتأويل  
رؤياه التي كانت السبب الاول لكل هاتيك الافات ، وقد كان هذا التمهيد  
عجبا في بلاغته ، وما يدل عليه من شعور يوسف الصديق النبي ( ع.م ) وخلقه  
ودينه وأدبه ، إذ فصل بهذا السؤال الوجيز الساذج في قضية يحار في الفصل فيها  
أوسع القضاة عدلا ورحمة ، ويعيا بالتعبير المرضي عنها أبلغ الادباء علما وحكمة ،  
وهي مقابلة طرفين تتمد أحدهما اقتراف جنابة على الآخر طال عليها المدى عشرات  
السنين ، وكانت غايتها أن يقف الجاني بين يدي المجني عليه وهو بجهله موقف  
البائس الفقير ، المستجدي الحقير ، على ما نشأ عليه من عزة النفس ، وشرف  
الحسب والنسب ، واقتضت الحال أن يتعارفا وهما اخوان ، وأن يتناسيا  
ما كان ، فكيف يتقابلان ؟

المقام مقام خجل من الجاني وخسوف وكسوف ، واسوداد وجوه ، وتنكيس  
أبصار ، واعتذار واستغفار ، يذيب القواد ويخرس اللسان ، يقابله حلم وعفو وكرم  
من المجني عليه ، ربما كان الاعتزاز بها على الجاني لأول وهلة أقتل لمزة نفسه وإبائه  
من العتاب ومما هو أشد منه وهو التأنيب والتثريب ، فكيف كان المخرج ليوسف  
عليه السلام ، من هذا المأزق الذي تحار فيه الافهام ، ويضطرب فيه الوجدان ،  
بما يكون خير أسوة لصلة الارحام ، ومحو الاساءة بالاحسان ؟

ذكر اخوته بذنوبهم قبل أن يتعرف اليهم ، تذكيرا مجملا مقرونا بذكر العذر  
الطبيعي دون الشرعي ، وهو الجهل بقبح الذنب في نفسه وبسوء عاقبته ، وبالجهالة  
التي تزينه لفاعله ، وتمكن لتزغ الشيطان من نفسه الامارة بالسوء ، بل بهما جميعا .  
ذكرهم هذا بسؤالهم سؤال العارف باستفهام التقرير ، لا التقرير والتوبيخ كما قيل ،  
فانه يرده ما يأتي من نفي التثريب ، واستغفار العفو والصفح ، وأما سهم أخيه من  
فعلتهم فهي ما اقتضاه إشراكهم إياه في حسدهم له من أول نشأته الدال عليه  
قولهم أولا ( ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ) وقول أبيهم آخرا ( هل آمنكم



عليه إلا كما أمتكم على أخيه من قبل؟) واتهامه إياهم بأنهم ما أفتوا عزيز مصر باسترقاقه بالسرقة إلا بما أضمره له من حقد، وما سولته لهم أنفسهم من أمر، ولا يخفى على ذكي ولا بليد، كيف يعيش الفرد المحسود الضعيف، مع جماعة تحسده وتكيد له هذا ما أقدمه من عرض القضية على ما نهلم من طباع البشر وسنة الله في الاجتماع ويقرب منه من إحدى النواحي ويبعد عنه من سائرهما ما قاله الزمخشري وقد افترضه لترجيح قول جماعته (المعتزلة) على خصوصهم (الاشعرية) في مسألة التقييح والتحسين، وإنا نورده لبلاغة عبارته واتباع غيره له فيه ثم نشير إلى ما فيه وهو: (قال هل علمتم) أنتم من جهة الدين و كان حلما موقفا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب أن يراعيه الثائب فقال هل علمتم قبح (ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون؟) لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه، يعني هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه؟ لأن علم القبح يدعو إلى الاستقباح والاستقباح يجر إلى التوبة، فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لامعاتية وتثرياء، إيثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب، وينفث المصدور، ويتشفى المغيظ المحنق، ويدرك ثأره الموتور، والله أخلاق الأنبياء ما أوطأها وأسجحها، والله حصا عقولهم ما أرزنها وأرجحها، وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لأنهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه إلا جاهل مجاهل جاهل، وقيل معناه إذ أنتم صبيان في حد السفه والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة، روي أنهم لما قالوا (مسنا وأهلنا الضر) وتضرعوا إليه أرفضت عيناه ثم قل هذا القول. وقيل أدوا إليه كتاب يعقوب:

«من يعقوب إسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر. أما بعد قانا أهل بيت موكل بنا بالبلاء، أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما، وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله، وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلي فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عينا من بكائي عليه، ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أنسلي به



فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك، وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا، فان رددته علي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابـع من ولدك والسلام» فلما قرأ يوسف الكتاب لم يمالك وعـيل صبره فقال لهم ذلك. وروي أنه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب : اصبر كما صبروا ، تقفر كما ظفروا اه قول الزمخشري وأقره ابن المنير وغيره عليه ، بل اتبعوه فيه

أقول : أما ما قاله في تفسير سؤالهم عن العلم بأنه نفى علمهم بقبـحه وعـلاه بأنهم لو علموه لما فعلوه فهو تكلف مخالف لطباع البشر فانهم يفعلون القبيح وهم يعلمون قبـحه طاعة للحسد والاثرة ، وترجيحا للهوى على الهدى الخ ، وأما الرواية التي ذكرها في كتاب يعقوب (ع.م) الى عزيز مصر فهي من الاسرائيليات الباطلة، وأسلوبه اسلامي مصنوع ، ومن أغراض كـتب الاحبار ووهـب بن منبه فيه المروي عنه اقناع المسلمين بأن الذبيح إسحاق لا اسماعيل كما تقدم في تفسير الآية ٨٦ خلافا للمتواتر عند العرب الذي أقره الاسلام وجعلت الاضاحي وهي سنته في فداء ولده اسماعيل من مناسك الحج حيث فداء الله في منى من ضواحي مكة وطـن اسماعيل فبث زنادقة اليهود في التفسير المأثور أن الذبيح اسمـحاق، وقد صار هذا مذهبا يؤخذ بالتقليد ويحرف لاجله تفسير القرآن ، فان القصة في سورة الصافات صريحة في أن الذبيح هو ولد ابراهيم الاول (اسماعيل) وأن الله قد بشره على احسانه فيها بولده الثاني (اسحاق) إذ قال في آخرها، ٣٧: ١٠٦ إن هذا هو البلاء المبين ١٠٧ وقد ينـاه بذبح عظيم - الى قوله - ١١٢ وبشرناه باسمحاق نبيا من الصالحين

٩٠ ﴿وقالوا أأنـت يوسف﴾ قرأه ابن كثير (إنك) بهمزة واحدة والجمهور بهمزتين ، كان سؤاله اياهم عما فعلوا بيوسف وأخيه سؤال عارف بأمرهم معهم ما من أوله البعيد جداً الى آخره القريب جداً ، مصداقا لما أوحاه الله اليه حين ألقوه في غيابة الجب (وأوحينا اليه لتبائنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) ودليلا راجحا على أنه هو يوسف إذ يبعد أن يعرف غيره هذا، فأرادوا أن يتثبتوا منه بالعلم اليقين الذي يذهب بكل احتمال لما يعترضه من الشبهة بوجوده في هذا المنصب





السامي فوجهوا اليه الاستفهام بجملة اسمية مؤكدة بأن في اسمها وبالإلام في خبرها وبضمير الفصل بينهما ، يعنون أمن المؤكد القطعي الذي لا ريب فيه أنك أنت يوسف ؟ ولولا هذا لكان يكفيهم أن يقولوا : أنت يوسف ؟

ومن العجيب أن يتكلف المفسرون سببا لهذا السؤال ينتحلونه أو ينقلونه عن يتقولون مثله من رواة الاسرائيليات كقول بعضهم إنه تبسم فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم ، وما كان هذا المقام معهم بمقام تبسم ، وكان أولى منه بالتبسم يوم ضيافتهم ، ومجلس مؤاكلتهم ، وقول آخر إنه رفع التاج عن رأسه فنظروا الى علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء !! ونقول : من ذا الذي رأى هذا القرن فرواه بإسناده المتصل في هذه القرون الطويلة ؟ ولم يسلم من التكلف أو السخافة من تحارب الصواب منهم فقال إنهم عرفوه بخطاب الذي لا يصدر إلا عن حنيف مسلم من سنخ ابراهيم ، نعم إنهم عرفوه بخطابه معرفة فنية راجحة كما قلنا ، ولكنه خطاب لا يدل على الاسلام ولا على نسب ابراهيم عليه السلام بل خطاب عارف بما وقع ، وكونه مسلما من سنخ ابراهيم ليس من مداول خطابه بنص ولا فحوى وإن كان هو الواقع بالفعل ، فله العجب من افتتان جماهير الناس بهذه الروايات وتقليد بعض المفسرين فيها لبعض ، من غير تأمل ولا بحث ، كأنها من كلام الله الذي يجب تلقيه بالقبول والتسليم

﴿ قال أنا يوسف ﴾ صرح باسمه العلم لأنه نص قطعي الدلالة مطابق للسؤال

﴿ وهذا أخي ﴾ الذي فرقتم بيني وبينه ﴿ قد من الله علينا ﴾ فجمع بيننا على أحسن حال في ديننا ودنيانا ﴿ إنه من يتق ويصبر ﴾ أي ان الامر الواقع والحق الثابت باستقراء التجارب هو ما تنطق به هذه القضية : من يتق الله فيما أمر به ونهى عنه ، وفيما جرت به سنته في الاجتماع البشري ، ويصبر على ما أصابه من المصائب والمحن وفتن الشهوات والاهواء حتى يبلغ الكتاب أجله فيها فلا يستعجل الاقدار

نبيي منها قبل أوانه ﴿ فان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ بل يوفيهم أجورهم في الدنيا ثم في الآخرة ، علق الجزاء على الاحسان في الاعمال فوضع الظاهر موضع



الضمير ، فلم يقل لا يضيع أجرهم لأنه تعليق على الوصف الجامع الذي هو علته ،  
وبيان للقاعدة العامة في السنة الإلهية فيه ، وتواضع في وضع التعريض بنفسه في  
موضع التصريح بأنه كان عليه السلام كذلك في تقوى الله العامة ، وفي الصبر على  
الشدائد المرهقة ، وعن الشهوات الفاتنة ، ولا غرو فقد شهد له ربه بأنه من المحسنين ،  
وفي الآية تذكير بأن من لم يكن من المتقين الصابرين ، بأن كان من المطيعين  
لنفس الامارة بالسوء ، والمتبعين لتزغات الشيطان ، فإن عاقبتهم الذل والخزي في  
الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى ، وأشد وأبقى ، إلا من تاب وعمل صالحاً ثم اهتدى .

٩١ ﴿ قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا ﴾ أي اختارك وفضلك علينا في كل  
شيء من خلق وخلق وعلم وعمل وجزاء وإحسان يدل على هذا العموم السكوت  
عن متعلق الايثار والعلم بأنه الحق الواقع بالفضل ﴿ وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ أي والحال  
أن شأننا معك هو أننا كنا مذنبين متعمدين للخطيئة لا عذر لنا فيها عند الله ولا عند  
الناس . أصل الايثار التفضيل بالآثار ، وهي ما يؤثر ويروى من الفضل أو ما يظهر  
أثره أو يبقى ، والخاطي . فاعل الخطاء ( بالكسر ) وهو الذنب . قال في المصباح :  
والخطأ مهموز بفتححتين ويقصر ويمد وهو اسم من أخطأ فهو خاطيء ، قال أبو عبيد  
خاطيء خطأ من باب علم وأخطأ بمعنى واحد لمن يذنب على غير عمد ، وقال غيره  
خاطيء في الدين وأخطأ في كل شيء عامداً كان أو غير عامد ، وقيل خاطيء إذا  
تعمد ما نهى الله عنه فهو خاطيء ، وأخطأ إذا أراد الصواب فصار إلى غيره ، فإن  
أراد غير الصواب وفعله ، قيل قصده أو تعمد ، والخطاء الذنب تسمية بالمصدر ،  
وخطأته بالتثنية قلت له أخطأت أو جعلته مخطئاً ، وأخطأه الحق إذا بعد عنه ،  
وأخطأه السهم تجاوزه ولم يصبه ، وتخفيف الرباعي جائز اهـ

٩٢ ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ أي لا محل لأي شيء من اللوم والتعنيف  
عليكم في هذا اليوم الذي هو مظنته فأنني أعده يوم عفو وسماح وعيد ، ودخول في عصر  
جديد ، قال في المصباح : ثرب عليه من باب ضرب عتب ولام ، وثر ب ( بالتشديد ) مبالغة  
وتكثير . ونقل بعض المفسرين عن ثعلب : ثرب فلان على فلان إذا عدد عليه ذنوبه .



قال ابن الأنباري قد انقطع عنكم توبيخي عند اعترافكم بالذنب ، وقال تبع :  
فمغفوت عنهم عفو غير مثرب وتركتم لعقاب يوم سرمد

ولكن يوسف عليه السلام عفا عنهم عفو غير مثرب وتركهم لمغفرة الله تعالى  
وعفوه ورحمته فقال بمد نقي جنس التريب ﴿ يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾  
دعا لهم بأن يغفر الله لهم خطاياهم معه إذ غفر هو لهم والله أولى وأحق بالمغفرة وهو  
أرحم الراحمين من الأقربين وغيرهم ، والأصل في الدعاء أن يكون بفعل المستقبل وإنما  
يذكر بالفعل الماضي للتفاؤل ، ويحتمل أن يتعلق الظرف (اليوم) بالدعاء على سبيل  
البشارة ، وقد تمثل النبي (ص) بالآية يوم الفتح فروي عنه أنه طاف بالبيت وصلى  
ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بمضادتي الباب فقال « ماذا تقولون أو ماذا تظنون ؟ »  
قلوا نقول خيرا ونظن خيرا : ابن أخ وابن عم كريم ، وفي رواية حلیم رحيم ، فقال  
« أقول كما قال أخي يوسف (لا تريب عليكم) الآية ، فخرجوا كأنما نشر وامن القبور .  
أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة وأبو الشيخ  
عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وقد كانت أخلاقه عليه السلام أكرم وأحلم  
وأسمح وأسمح فإن قومة أخرجه (نفوه) وقتلوه لأجل دينه وعذبوا ضعفاء  
أتباعه وقتلوا منهم خلقا كثيرا وكان له بحسب نظام الحرب المتبع عندهم وعند غيرهم  
أن يقتلهم تقتيلا أو يتخذهم عبيدا

٩٣ ﴿ اذهبوا بقميصي هذا ﴾ وأشار إلى قميص كان على بدنه أو بيده  
﴿ فالتفوه على وجه أبي ﴾ عند وصولكم إليه بلا تأخير ﴿ بات بصيرا ﴾ أي بصير  
بصيرا في الحال أو يعود ويرتد بصيرا . هذا ما يدل عليه عطف هذه الجملة الشرطية  
بالفاء وسأتكلم على ما قيل في القميص وسبب تأثيره ﴿ واثبوني بأهلكم أجمعين ﴾  
من الرجال والنساء والذراري لأجل الإقامة عندي في جوارى آمنين

(٩٤) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ  
لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ (٩٥) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ الْقَدِيمِ (٩٦) فَلَمَّا





أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ الْقَمِيءُ عَلَى وَجْهِهِ فَأَرْتَدَّ بِعَصِيرٍ، قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ  
لَئِنْ أَعْلَمْتُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٧) قَالُوا يَا بَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا  
خُذُونَا إِنَّا كُنَّا خُطَايِينَ (٩٨) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ  
هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

٩٤ ﴿ولما فصلت العير﴾ أي انفصلت عير بني يعقوب من عريش مصر  
أو حدودها قافلة إلى أرض الشام ، يقال فصل من البلد وانفصل منه ﴿وقل أبوهم﴾  
لمن حضره وكان عنده من أحفاده وغيرهم ﴿إني لأجد ربح يوسف﴾ في نفحة  
طيبة هبت على من روجه أو أشم رائحة ذاته كما عرفتها في صفه ﴿لولا أن تفندون﴾  
أي لولا تفنيديكم إياي أي نسبتي إلى الفند وهو بالتحريك فساد الرأي ، وضعف  
العقل والخرف من سوء الكبر ، اصدقتهموني في أنني أجد رائحته حقيقة غير متوهم  
وأنه حي قد قرب موعد لقائه والتمتع بقربه ورؤيته ، عن ابن عباس قال : لما خرجت  
العير هاجت ربح فجاءت يعقوب ربح فيص يوسف قول إني لأجد ربح يوسف  
لولا أن تفندون : تسفهنون ، فوجد ربحه من مسيرة ثمانية أيام ، وفي رواية من  
عشرة أيام وفي رواية ثمانين فرسخا ، والمراد من مسافة بعيدة جداً اختلفت الأقوال  
بغيرها لتعذر العلم بتحديداتها ، وصاحب الوجدان لا يبالي ما يقال فيه إلا مراعاة لحرمان  
العاذل من الشعور بمثله ، وعلمه بانه لو شعر لعذر وما عذل ، قال جرير بن عطية :  
يا عاذلي دعا الملام وأقصرا طال الهوى واطلما التقنيدا

٩٥ ﴿قالوا تالله إنك أنفي ضلالك القديم﴾ أي قال حاضرنا مجلسه تالله إنك  
لني خطئك الذي طال أمدك في اعتقادك أن يوسف حي يرجي لقاءه وقد قرب ،  
أو في الإفراط في حبه والاصرار على الأبهج به ، وتوهمك وجدان رائحته ، فالضلال  
يطلق على الخطأ في الطريق الحسي والمعنوي ومنه الخطأ في الرأي والاعتقاد والحب



يوالبعض والعمل ولا غرو فللخلي أن يقول في عدل الشجي ما يشاء ، فاذنه عن المنزل ضياء  
لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا العصابة إلا من يعانيها  
سلوتي عنكم احتمال بعيد واقتضاحي بكم ضلال قديم  
كل من يدعي المحبة فيكم ثم يخشى اللام فهو ملهم

٩٦ ﴿ فلما أن جاء البشير ﴾ وهو ابنه الذي يحمل القميص من يوسف ،  
وعن ابن عباس والضحاك أنه البريد ، ويتجه أن يكون قد سبق الميراليه بريداً  
وبشيرا ومن العقول ما قيل من أنه هو الذي حمل اليه قميصه الماطخ بالدم  
الكذب تحرى ذلك ليحجو السيئة بالحسنة ، قالوا وهو بهوذا ، وهذا الرأي  
يحتاج الى رواية مثله في حسنه تؤيده ، فن أين جاء به مجاهد والسدي ؟

﴿ ألقاه على وجهه فارتد بصيرا ﴾ أي ألقى القميص على وجه يعقوب فعاد من  
خوره بصيرا كما كان ، وزاد بعضهم انه عادت اليه سائر قواه ، ولا غرو فالشفاء  
من الامراض وتجدد قوى الارواح والابدان بتأثير السرور العظيم غير منكر  
عند الاطباء ولا في تجارب الناس ، فما القول بتجارب الانبياء والاصفياء ، وبمايزاد  
لهم بعناية الله من خوارق الماديات ، والآيات البينات ، ورووا انه سأل البشير  
عن دين يوسف فيما هو فيه من زينة الملك وعظمته ؟ فقال الاسلام . قال الآن  
تمت النعمة !! وأقول إن مخترع هذا السؤال اقليل العلم وضعيف الذوق ، فلو كان يعقوب  
يخاف على دين يوسف فيشك فيه لما كان وجده به ما علمنا ، وحزنه عليه ما قرأنا  
وصممنا ، بل كان مؤمنا منذ قص عليه رؤياه بأن الله يجتبيه وينم نعمته عليه وعلى  
آل يعقوب به كما آتمها على أبويه من قبل ابراهيم واسحاق ، فكيف يسأل عن دينه  
سؤال الشاك المرقاب ، تأملوا كيف أجاب العاذين بما كان عليه من العلم لاهي القطعي ؟!

﴿ قال إني أعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ قد كرم الآن إذ عاد بصيرا بما قاله  
لهم حين ابيضت عيناه من الحزن وهو انه يعلم من أمر يوسف ما لا يعلمون ، وان  
علمه هذا وحي من الله عز وجل لا من خطرات الاوهام ، ولا من أخيلة الحب  
والغرام ، واننا في هذا المقام نبسط القول في وجدان يعقوب ربح ولده مع التصريح



بأنه يكفي احدا الايمان بظاهرة من غير بحث عن حقيقة وصفة وقوعه، وما دام مصدقا للقرآن، فهو في حظيرة أهل الايمان

( بحث في وجدان يعقوب رائحة يوسف والوجوه فيها )

قد ثبت عند علماء الغرب في هذا العصر ان الرياح تحمل الغبار وما فيه من المواد المختلفة من أفريقية الى أوربة مثلا في مسافات أبعد مما بين مصر وأرض كنعان من بلاد الشام العليا ( فلسطين ) وهي تحمل رائحة ماله رائحة منها بالطبع، ولكن الغرابة في شم البشر لها من مسافة بعيدة كذه، وبعض الحيوان من الوحوش والحشرات أقوى وأبعد شيا من الناس؛ والروائح منها القوي والضعيف، ومن أضعفها رائحة جسم الانسان وعرقه وما يصيب ثوبه منها، ومن الناس من يميز بين روائح الاسرة الواحدة بل الاخوة منهم، ولكن ما نحن فيه من خوارق العادات، وخواص عالم الغيب لاستن المواد والاجسام، فقد قيل ان قيص يوسف هذا كان لجده ابراهيم عليه السلام وان جبريل جاء به من الجنة حين ألقى في النار فكانت عليه رداً وسلاماً، وان الرائحة التي وجدها يعقوب هي رائحة الجنة، والمعجزات لا تنكر على أهل هذا البيت المرحوم المبارك عليهم السلام، ولكن أفرادها لا تثبت عند الناس إلا بدليل حسي أو بوحى إلهي، والوحي يقول حكاية عن يعقوب إنه وجد ريح يوسف لا ريح الجنة من قميصه وانما ريح قميصه بالطبع ريح بدنه

وقد ثبت عند الروحانيين أن للارواح رائحة بل روائح مختلفة متفاوتة، فللمصاة الفاسقين روائح خبيثة تنتشر في الهواء فتدنسه على الذين يشمونها من طاهري الارواح، كما تنتشر فيه ميكروبات أنفاس المرضى فتفسده، يعرف هذا أطباء الانجسام، ويعرف ذاك أطباء الارواح، قال بعضهم لمريده: قم يا بني نستنشق نسيم الصباح قبل أن تدنسه أنفاس المصاة، وقد جهل هذا أبو العتاهية إذ قال:

أحسن الله بنا أن المعاصي لا تفوح

فهي تفوح ولكن لا يدرك رائحتها إلا بعض الافراد في بعض الاوقات، وكذلك الروائح الذكية، للارواح الزكية، انما تدرك في بعض الاحوال التي تغلب





بيها الروحانية، أو توجه الارادة، وقد يشمها غيرهم بتوجههم كما تواتر عن الشيخ على  
امري من معاصرينا وحكى الشيخ محي الدين في الفتوحات أن الشيخ عبد القادر الجيلي  
كان يعرف الرجال - أي درجاتهم في المعرفة - بالشم، فجاءه محمد بن قائدو كان يظن ان له  
درجة عالية في المعرفة، فشمه عبد القادر فأنكره وقل له لا أعرفك! فملت همه ابن قائد  
حتى التحق بالافراد ، وكان لشيخنا الاستاذ الامام أخت روحانية فكانت  
تصعد الى سطح دارهم في محله نصر وتستنشق ربيع أخيها وهو في الازهر وتعرف  
في بعض الاحيان من رائحته أنه خرج من مضر قاصداً بلدهم فتخبر به فتصدق.  
أخبرني شيخنا بهذا وقلمنا كان يتحدث بمثله الى أحد من أصحابه لأن رأيه أنه  
لا ينبغي التحدث بذلك إلا لاهله أو من لا يفتن به ، فان من الناس من يكذب  
هذا وكل ما هو غير طبيعي معتاد من أمور الناس ، ومنهم من يصدق كل ما يسمعه  
منه وأكثره دعاوي باطلة وخرافات تستغل وتستشر ، إذ يظن مصدقوها ان  
أصحابها أولياء قديسون، وانهم يضرون وينفعون، فتفسد عقائدهم بجعلهم شركاء  
الله في التصرف في العالم بما هو مخالف للسنة العامة في الاسباب والمسببات

فأنا أكتب هذا لتعليل آية الله لهدى النبيين عليهما السلام بشيء هو من  
سنة الله في بعض الروحانيين ، مع اتقاء الكذب عليهم وعلى الله بدعوى خاصة  
بعالم الغيب لم يثبت بها العقل الصحيح ، اعني قولهم ان القميص من الجنة الخ  
( فان قيل ) عهدناك مفسرا تجمع بين نصوص الوحي وفضايا العقل وتجارب  
العلم ، فهل تقول إذن إن الآية تثبت أن للارواح رائحة قد تشم من المسافات  
البعيدة كبعد أرض مصر من أرض كنعان في فلسطين وأنه يجب علينا ديناً أن  
نؤمن بهذا ؟ أم ماذا يجب علينا اعتماداً في الآية

( قلت ) إن نص الآية أن يعقوب عليه السلام أخبر عن نفسه أنه وجد  
رائحة ولده يوسف لما فصلت العير من أرض مصر ، وهذا أمر وجداني نفسي  
لا يجب على كل مؤمن أن يعرف كنهه أو سببه ، وإنما علينا أن نصدق لانه معصوم  
عن الكذب وقد تبين صدقه بالفعل ، وفي العبارة وجوه ونظريات تختلف باختلاف  
الافكار والتربية والتعليم وهي أربع :



(١) إذا صور ذلك أحد المفكرين الذين تغلب عليهم الافكار المادية بأنه لشدة تفكيره في أمر ولده وتذكره لرائحته حين كان يضمه ويشمه شعر بتلك الرائحة قد عادت له سيرتها الاولى ، كان مصدقاه في أمر لا يمارضه العقل ولا ينقضه العلم ، وإن كان هذا الشعور من النوع الذي يسمونه بالوهم ، ولكنه يكون ميلا عن التفويض الى التأويل لحالة بشرية لا اصفة من صفات الله تعالى فتأويله لا خطر فيه

(٢) إذا قال المؤمن بالظواهر من غير تحليل لها ولا تصوير لكيفيتها انني أصدق ولا يكلفني ديني أن أعرف كيف وجد تلك الرائحة لان هذه المدارك الوجدانية كثيرة يظهر منها في كل زمن ما يمجز العلماء الباحثون عن معرفة سببه فضلا عن كنهه — لم يكن هذا القائل بعيدا في إيمانه هذا عن العقل ولا عن العلم ، فلا خلاف بين العلماء بأن ما يجهله الباحثون أضعاف ما يعرفونه ، وهو أقرب الى الصواب ممن قبله لانه مفوض لا متأول أو مؤول ، على أن التأويل اصفات الله تعالى هو المخالف لمدي السلف ويليه أخبار عالم الغيب ، لا التأويل لوجدان فيما يحتمل أن يكون من شئون البشر

(٣) إذا ذهب اللغوي البياني الى أن هذه الجملة استعارة أو كناية عبر بها نبي الله عن وجدانه وشعوره بقرب لقاء ابنه المحبوب حتى كأنه حاضر يشم رائحته لم يكن بعيداً — فان بلغاء العرب يعبرون عن الشيء بلازمه ويشبهون المعاني النفسية بالمدركات الحسية وعكسه، ومنه: اننا نشم من هذا الكلام رائحة الاعتزال، وهذا كلام ليس فيه رائحة الاخلاص ، ومن أبلغ ما سمع في هذا الباب قول امرأة كعب بن الاشرف له: انني اسمع صوتا يقطر منه الدم ، أي يدل على قصد الاغتيال .. وليس هذا من تأويل المتكلمين الذي هو خروج عن الظاهر لما منع يمنع منه

(٤) إذا جنح الصوفي لقول الروحانيين إن وجدان هذه الريح كان من مدارك الروح الخاصة ، — لم يكن جانحا الى محال في نظر العقل ، ولا ناكبا عن أصل قطعي من أصول العلم ، فان الذين يثبتون ذلك من كبار العلماء والصوفية أجدر بالثقة في النقل من الذين يثبتون في هذا العصر غرائب التنويم المغناطيسي واستحضار الارواح وقراءة الافكار ومراسلتها ، فهذا وسط بين المصدق المفوض



في الخبر من غير تعليل ، وبين الذي يذهب فيه إلى ما تقدم من تأويل ، وأما من وقع له مثله من خصائص الارواح فهو عنده من عين اليقين ودونه علم اليقين واستدنه خاص صاحبه ، اذ لا يدركه الا مثله ولولا ذلك لعد من الحسيات المادية ( فان قيل ) علمنا من هذا التفصيل أن المؤمن بالقرآن يجب عليه في هذه المسألة أن يعتقد أن يعقوب عليه السلام كان صادقا فيما أخبر به عن وجدانه ولا يفره ترجيح وجه من الوجوه الاربعة في فهمها ، ويظهر انك ترجح الاخير منها فما وجه هذا الترجيح ؟

( قلت ) المتبادر من الآية أن فيها خصوصية تنظم هذا الوجدان في سلك خوارق العادات ، والاصل في مثل ذلك أن يفوض كنهه أو كيفيته الى من وقع له من الانبياء ما دام ممكنا ، إلا من اتفق له ادراك جنس هذه الكيفية وعلم أنها من السنن الروحية كابراء المسيح للآكمة والابرص باذن الله لا كمعجزة العصا واليد لموسى عليها السلام . وإني خبرت هذا الوجدان نفسه بنفسه ، وأدركت رائحة الارواح الطيبة كأنني أشمها بأنفي ، ولولا انها حالة خاصة لما قلت كآني ، وكنت فيه دقيق البحث لثلا أكون واحدا أو مخدوعا ، وطالما ظننت فيما كان منه مشتركا بين جماعة أن الذي يعقد رابطة التوجه بينهم وبين الروح الذي يذكر اسم صاحبه — وهو كاستحضار الروح عند الافرنج — أنه يلقي رائحة عطرية غريبة الذكاء بينهم ، حتى صرت أجد ذلك خاليا و كان يكون متقطعا ، وكنت أتردد قبل ذلك في أخبار من لا أتهمهم بالكذب فيها ، ولا أرى بسط ذلك في التفسير وقد ذكرت شيئا منه في غيره ( ككتاب المنار والازهر ) ولولا أن هذه المسائل الروحية قد كثر البحث عنها في هذا العهد عند علماء الغرب لما تعرضت لها فرارا من فتون أكثر أهل بلادنا بل الشرق كله بكل ما هو مخاف للسنن العامة

( فان قيل ) ان الذين يعنون باستحضار الارواح لم ينقل عنهم أنهم يشمون لها رائحة

( قلت ) لم يثبت عن هؤلاء احضار روح عالية قدسية وإن الراجح عندي فيما يصح عندهم أنه من تمثيل الجن لهم لا من أرواح البشر ، وأن الصوفية من





المسلمين واليهود يتمثل لهم الجنسان ، ولا يميز بينهما إلا الانبياء وعلماء القرآن والسنة من الصالحين ، وأن ما وجدته يعقوب كان من توجه روح يوسف له عند ما أذن له أن يتعرف إليه بالروح قبل الجسد ، وكان في وجدانه ريحه على علم من الله تعالى لا من خيال الوهم ولا من ضلال الشيطان ،

(فان قيل) أليس من ثبت عنه انه يرى الارواح العالية ويشم ريحها ويسمع كلامها يكون وليا صاحب كرامات يرجي نفعه ويخشى ضرره بما هو وراء الاسباب والسنة العامة ؟ أو يؤخذ كلامه في العلم والدين بالقبول والتسليم ؟

(قلت) لا لا ، إن من يقع له إدراك شيء مما ذكر إنما يقع له بسبب من الرياضة الخاصة ، وقد يقع له الخطأ فيه والوهم ، وقد يكون ما يجده من جنسه أكثر مما يعلمه ، دع ما ليس من جنسه كالعلوم التي لا تعرف إلا بالتلفين ، ثم انه لا يمكن أن يكون قادرا على نفع الناس أو ضررهم من غير طريق الاسباب العامة ، ولا يوثق بعلمه في الدين إلا إذا كان مستمداً من الكتاب والسنة ، وقد فصلنا هذا مراراً ، فمثل الذي يقف على حقيقة روحية بتأثير الرياضة الخاصة في نفسه كمثل الذي يقف على بعض الحقائق من طريق البحث الحسي والعقلي فهم فيهما سواء ، والولاية الشرعية إنما تكون بمعرفة كتاب الله وسنة رسوله والتزامهما بالعمل والخلق ، مع الصدق والاخلاص ، فتأمل هذه المسائل فانها تحمل لك كثيراً من المشاكل ، وانت حر في قبولها وردها

٩٧ ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ أي قال أولاده وكانوا قد وصلوا في إثر البشير أو معه وإنما تقدمهم استعجالاً لنعمة البشارة وما تبعها من ارتداد البصر وغيره من السرور والنشاط والعاقة : يا أبانا اسأل الله أن يغفر لنا ذنوبنا الكثيرة التي اقترفناها من عقوقك واينداء أخينا أو أخويننا ﴿ إنا كنا خاطئين ﴾ متعمدين لهذه الخطيئة عاصين لله بها ظانين أن نكون بعدها قوماً صالحين ، اعترفوا له بذنوبهم كما اعترفوا ليوسف ، ولكن يوسف بادر إلى الاستغفار لهم وهم لم يطلبوه منه ، واسمع ما كان جواب أبيهم

٩٨ ﴿ قُلْ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾ وعدم باستغفار ربه لهم في المستقبل



للمبهم وعلاه بقوله ﴿إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فكرر اسم الرب مضافا اليه ووصفه بالمغفرة والرحمة الواسعة التي لا ينقطع منها رجاء المؤمن وان أساء وظلم، فالفرق بين جوابه وجواب يوسف من وجوه اقتضتها الحكمة

( الاول ) ان حال يوسف معهم حال الحاكم القادر بل الملك القاهر مع المسيء اليه الضعيف لديه، الذي كبرت اساءته فاستحيا من طلب غفرانها بشفاعته ودعائه ، فتبرع لهم به تأميناً لهم من خوف الانتقام وكان قادراً عليه ، وتعجلاً لهم بسرور الحياة الجديدة التي جعل الله أزمة نعمها بيديه ، وليروا ويرى الناس فضل العفو عند القدرة ، والمثل الأعلى في حسن الاسوة ، وما يجب ان يكون عليه الاخوة ، وهو الجزاء بالاحسان على الاساءة ، فهذه أفضل تربية وأكمل عبرة من الاخ الكامل لآخيه الناقص ، ولو أخر هذا لكان تأخير ضرباً من الانتقام منهم ، اذ يكونون في وجل مما سيحل بهم

( الثاني ) ان حال أبيهم معهم حال المربي المرشد للذنب الذي لا يخشى منه انتقاماً ، وليس من حسن التربية ان يريهم أن ذنبهم هين لديه ، وانه ليس بينهم وبين شفاعته لهم عند الله بغفرانه الا كلمة يقولونها بألسنتهم

( الثالث ) أن ذنبهم لم يكن موجها اليه بالذات وانما كان موجها إلى يوسف وأخيه بالذات وأصابه هو بالعرض أو بالتبع واللزم ، ومن العدل أن يكون استغفاره لهم بعد العلم بمحالمهم ومعفوهم عنهم ، ولم يكن يعقوب قد علم بعفو يوسف عنهم واستغفاره لهم

( الرابع ) ان هذا الذنب الكبير من الآثام التي طال عليها العهد ونشأ منها ما نشأ من الضرر لا تغفر بحسب شرع الله وسنته في تأثير الاعمال في النفس الا بتوبة نصوح تطهر النفس من خبثها ، فلا يحسن من المرشد الحكيم أن يسارع الى الاستغفار لمقتربها عقب طلبه متصلاً به كأنها من اللعم ، الذي يغفر ببادرة من الندم ، فكان من حكمة هذا الاب الحكيم الرحيم أن يتمكن في الاستغفار لهم إلى أجل مجهول ليعلم هو ذلك كله ، وأن يعلمهم بانه سوف يتوجه به إلى ربه الذي



رباه بفضل ورحمته ، وأعاد لفظ الرب مضافا اليه لاشعارهم أن هذه الاضافة هي محل الرجاء في الاستجابة له ان يغفر خطاياهم ، وإنما مغفرتها سترها ومحو ظلمتها من قلوبهم ، بعد جمل توبتهم التي يشبه ان تكون اضطرارية توبة نصوحا ولا ينافي هذه المعاني والحكم التي من الله علينا بفهمها وبيانها ما روي عن ابن مسعود موقوفا وابن عباس موقوفا ومرفوعا من انه اخرهم إلى السحر لان دعاء السحر مستجاب، وفي رواية عن الثاني انه اخرهم حتى تأتي ليلة الجمعة ، بل يؤيده لانه لم يتحر وقت الرجاء في الاستجابة وان تأخر على اقتضاء رحمته الوالدية التعجيل الا لأن الامر جال يتعارض فيه الخوف والرجاء . وقد ذكر العباد ابن كثير في تفسيره وتاريخه عن ابن جرير حديث ليلة الجمعة بسنده وقال : وهذا غريب من هذا الوجه وفي رفعه ، والاشبه أن يكون موقوفا على ابن عباس (رض) . ولا يصح شيء مما روي في دعاء يعقوب لهم وحده ولا مع يوسف وفيما أوحى اليه من استجابته تعالى له فيهم وجعلهم في ديوان الانبياء

خاتمة قصة يوسف عليه السلام في تأويل رؤياه

وما فهمه أبوه منها

(٩٩) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِينَ ( ١٠٠ ) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّيَ حَقًّا ، وَقَدْ أَحْسَنَ بَنِيَ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَزَّغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي، إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ





هنا كلام يدل عليه السياق بالاجمال حذف إيجازاً على منهج القرآن في الاختصار على ما فيه العبرة المرادة من الكلام، والمعنى أن إخوة يوسف بلغوا أباهم وسائر أهلهم مكانة يوسف في مصر وأنه هو الحاكم المفوض المستقل في أمرها (ديكتاتور) من قبل ملكها، وأنه محبوب مجمع على إجلاله فيها، وأنه يدعوهم كلهم للإقامة معه فيها والتمتع بحضارتها، فرحلوا بقضيتهم وقضيتهم، وإنعامهم ودوابهم، حتى بلغوها واستقبلوا فيها بما يليق بمقامه

٩٩ ﴿فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه﴾ ظاهر العبارة أن أمه كانت لا تزال حية، وقال الذين أخذوا بقول اليهود إنها كانت قد ماتت: إن المراد بأبويه والده وخالته وقد كان أبوه تزوجها بعد أمه، وهذا جائز في اللغة إن صح الخبر ونحن لا ثقة لنا بصحته فنأخذ بظاهر الآية دون غيره كما قال ابن جرير الطبري (رح) ومعنى إيوائها إليه ضمهم ما إلى نفسه، وجعله إياهم معه في قصره وهو مأواه الخاص به ﴿وقال ادخلوا مصر﴾ أي وقال لسائر أهله ومن معهم ادخلوا مصر قال ابن عباس معناه أقيموا فيها، إذ كانوا قد دخلوها فكان الأمر بدخولها عبارة عن الاذن باستيطانها، وقيل إن يوسف استقبلهم في الطريق احتفاء بهم فقال لهم ذلك في مكان الاستقبال أو عند الوصول إلى العاصمة ﴿إن شاء الله آمين﴾ على أنفسكم ومواشيكم من المنع المعتاد للغرباء، أو من الجوع والهلاك فإن سفي القحط لم تكن انتهت بعد، والتعليق بمشيئته تعالى هو شأن المؤمنين ولا سيما الأنبياء والصديقين، فيوسف في إسداء هذه النعمة إلى أهله يتبرأ من مشيئته وحواله وقوته إلى مشيئة الله الذي سخره لهم وسخر ملك مصر وأهلها له ثم لهم

وفي سفر التكوين أن يوسف (ع. م) عرف نفسه إلى إخوته عقب مجيئهم بنيامين شقيقه، وأرسلهم لاستحضار أبيهم وأهلهم فجاءوا فأقطعهم أرض جاسان (وهي المعروفة الآن بالشرقية الممتدة من جوار أبو زعبل إلى البحر الأحمر) وأرسل إليهم العربات لتحميلهم، وأحمال الغذاء والثياب على الخمر، فلما وصلوا إليها (٢٩: ٤٦) شد يوسف على مركبته وصعد ليلقي أمرا ئيل أباه في جاسان فلما ظهر



له ألقى بنفسه على عنقه وبكى على عنقه طويلاً ثم استأذنهم ليذهب إلى فرعون ويخبره بمجيئهم ومكانهم ليقدمهم عليه لأنهم رعاة وأرض جاسان خصبة ، ففعل ثم أخذ وفدًا منهم لمقابلة فرعون وأدخل أباه عليه فبارك فرعون ، فيظهر أن هذا اللقاء كان هو الأول لهم ، ثم إنه بعد لقاء فرعون قال لهم ( ادخلوا مصر ) الخ ، ثم عاد بهم إلى قصره الخاص

١٠٠ ﴿ ورفع أبويه على العرش ﴾ أي أصفد أبويه إلى السرير الذي كان يجلس عليه لتدبير أمر الملك ، فالعرش كرسي تدبير الملك ، لا كل كرسي يجلس عليه الملك ﴿ وخروا له سجداً ﴾ أي وأهوى أبواه وإخوته إلى الأرض وخروا له سجداً ، وكان السجود تحية الملوك والعظماء في عصرهم حتى إن يعقوب سجد لأخيه عيسو حين تلاقيا بعد تفرق وكان يخاف عاقبة ذلك التلاقي كما تراه في سفر التكوين . والسجود ليس عبادة بذاته وإنما جعله الدين عبادة فهو يكون عبادة بالنية والتزام الصفة الشرعية فيه ﴿ وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل ﴾ أي إن هذا السجود منكما ومن إخوتي الأحد عشر هو المآل الذي آلت إليه رؤياي التي رأيتها من قبل في صفري إذ ( رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ) ﴿ قد جعلها ربي حقا ﴾ واقعا ولم تكن حديث نفس من أضغاث الأحلام ، فالكواكب الأحد عشر مثال إخوتي الأحد عشر ، وأنت وأمي مثال الشمس والقمر ، ولا غرو فهذه الأسرة هي التي أراد الله بها حفظ ذرية اسحاق بن إبراهيم لنشر دين التوحيد في العالمين فكانت خير أسر البشر ﴿ وقد أحسن بي ﴾ ربي : يقال أحسن به وأحسن إليه ﴿ إذ أخرجني من السجن ﴾ إلى عرش الملك ، ذكر آخر المحن والفتن ( البلاء والاختبار ) المتصل بغاية النعم ، ومن العجيب أن يستشكل المفسرون عدم ذكر الإخراج من الجب هنا ويبحثوا له عن علة ، وكان أول البلاء وقد خرج منه إلى الرق وبيعه بثمن بخس ، وما اتصل به من تلك السلسلة الطويلة في الفتنة



﴿ وجاء بكم من البدو ﴾ حيث كنتم تعيشون في شظف البادية وخشونتها ووحشيتها الى الحضرة حيث تعيشون في نعم الاجتماع ونشر الدين الحق والتعاون على العلوم والصناعات ، فالبدو خلاف الحضرة ومعناه الاشتقاق كل مكان يبدو كل ما يعرض فيه الانظار : من بدا يبدو إذا ظهر ظهوراً يندأ ، يقال بدي الى البادية بدواة ( بالفتح والكسر ) أي خرج فهو باد . ومنه ( يودون لو أنهم بادون في الاعراب ) وفيه تفضيل الحضارة على البدواة ﴿ من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين اخوتي ﴾ أي أفسد ما بيننا من عاطفة الاخوة وقطع ما بيننا من صلة الرحم وشيجة القربى باغراء الحسد وتهيج الشر : هذا ما يدل عليه نزع الشيطان فان أصل النزغ نخس الرأض الفرس ونحوه بالمهاز لازعاجه للجري ، يقال نزغه ونخسه ونسغه ، والعامية تقول نغزه : بقلب نزغه بمعنى طعنه بما يهيجه ويزدجه . قال في الاساس : ومن المجاز نزغه الشيطان كأنه ينخسه ليحثه على المعاصي ، ونزع بين الناس أفسد بينهم بالحث على الشر اه ولا يوجد في اللغة على سعتها تعبير أطف وأدب وأدل على كمال التواضع من هذه العبارة الوجيزة : جعل ذلك النزغ المزعج إلى أجراً الشر والافساد كأنه كان مشتركاً بينه وبينهم تقع تبعته على كل منهما ، وما كان الا من جانب واحد ، ثم قال ﴿ إن ربي لطيف لما يشاء ﴾ أي بالغ أقصى اللطف بعباده في التدبير والرفق في التسخير لتنفيذ ما يشاء في خلقه من الحكمة البالغة والوصول الى المقاصد الحسنة والغايات النبيلة ، بحيث لا يشعر من لطف به عند وقوع الاسباب والوسائل بغايتها الا عند وصوله اليها ، فمن ذا الذي كان يخطر بباله أن اللقاء في الجب وما أعقبه من الرق ، وما تلا الرق من فتنة العشق ، يفضي الى السجن ، وان السجن ينتهي بالسيادة والملك ؟ ﴿ انه هو العليم ﴾ بما لكل قدر من عمل ، وما لكل عمل من أجل ، ﴿ الحكيم ﴾ في بلوغ مشيئته في ذلك كله كمال المصلحة في جزاء الذين احسنوا بالحسن وجعل العاقبة للمتقين ، فحمد يوسف لربه على لطفه في مشيئته ، وعلمه وحكمته ، من أجل الحمد والثناء ، وناهيك بجعله مقدمة لما تلاه من الدعاء ، وهو





## ﴿ دعاء يوسف عليه السلام بحسن الخاتمة ﴾

( ١٠١ ) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ  
الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيّ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ

تحول عليه السلام عن خطاب والده في بيان هذه العاقبة المثلى ، في مقام الشكر  
لربه وحمده بما يناسب المقام من صفاته ، الى مناجاة ربه في الاعتراف بها والشكر  
عليها ، وسؤاله حسن الخاتمة في الدنيا الرافعة الى منتهى السعادة في الآخرة ،  
لشعوره بأن ما خلقه له من الخير والنعمة قد تم كما فهمه أبوه ، وكل شيء بلغ حده  
في هذه الحياة انتهى فقال :

﴿ ١٠١ رب قد آتيتني من الملك ﴾ اقصى ما ينبغي لمثلي ويصلح له في غير قومه  
وطنه ، فجعلني متصرفا في ملك مصر العظيم بالفعل ، وإن كان لغيري بالاسم  
والرسم ، فكان تصرفي مرضيا له ولقومه ، لم يثر علي حسد حاسد ولا بغى باغ مما ذقت  
مرارته بمجرد تصور وقوعه على تقدير صدق الرؤيا الدالة عليه ﴿ وعلمتني من تأويل  
الاحاديث ﴾ ما أعبر به عن مآل الحوادث ومصادق الرؤى الصحيحة فتقع كما قلت  
﴿ أنت ولي ﴾ الذى توليت ولا تزال تتولى أموري كلها ﴿ في الدنيا والآخرة ﴾  
لا حول لي في شيء منها ولا قوة ﴿ توفني مسلما ﴾ لك اذ تتوفاني بما تتم لي وصية آبائي  
وأجدادى ، وهي المشار اليها بقوله تعالى ( ١٣١ : ٢ ) ووصى بها ابراهيم بنبيه ويعقوب : يا بني  
إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا و أنتم مسلمون ﴿ وألحقني بالصالحين ﴾  
منهم واحشرني معهم ، فهذا الدعاء العظيم ، بمعنى قوله تعالى في فاتحة القرآن ( اهدنا  
الصراط المستقيم \* صراط الذين أنعمت عليهم ) أي من النبيين والصديقين  
والشهداء والصالحين ، فنسأله تعالى أن يجعل لنا خير حظ منه بالموت على الاسلام



## فتاوى المنار

﴿ سؤالان عن الربا في دار الحرب وعن كون الاسلام دين سياسة أم لا ﴾

(س ٣ و ٤) من صاحب الامضاء في بنجر تقارا (جاوه)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاستاذ القدير السيد محمد رشيد رضا المحترم — أطال الله عمره  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فان لمناركم الاغر مكانة في قلب كل مؤمن  
يؤمن بالله واليوم الآخر ، وبما كان للاسلام من مجد لمبت به الالهواء ، لا زال  
مناركم يرسل أشعته إلى أقصى بلاد الشرق والغرب ، ليستضيء بنوره من أضله  
الله وأعماه عن الحق

وبعد فأقدم لفضيلتكم سؤالين أيها البحر الزاخر علما مسترحم الجواب عليهما  
على صفحات مجلتكم الغراء لتعم الفائدة والله ولي التوفيق  
( ١ ) إن الربا انتشر في أرض جاوا في هذه الايام انتشاراً لا عهد لنا به حتى  
إن بعض الاساتذة الذين كانوا في مقدمة الآمرين بالمعروف والنهي عن المنكر  
والمقاومين للربا خرجوا من المدارس وأصبحوا اليوم في مقدمة المراءيين . فاذا  
سألناهم عن الدافع إلى هذا أجابونا بلسان واحد بأن صاحب المنار أفتى بجواز  
الربا على الافرنج ، وإذا رأينا أحدا يراي على الوطنيين أجابنا بأن موظفي الحكومة  
لادنيين ، وأننا في دار حرب . وقد أفتى صاحب المنار بجواز الربا في دار الحرب ،  
فهل لما أشيع عن مناركم من صحة ؟ إذا قلتم نعم ، فستقبل الحوانيت ويقف دولا ب  
تجارة العرب بجاوا ويتوجهون إلى الربا اعتماداً على فتواكم فما رأي فضيلتكم ؟ أرجو  
الجواب في أول عدد من مناركم ليحق الحق ويترق الباطل (إن الباطل كان زهوقاً)  
(٢) هل الدين الاسلامي دين سياسة أم لا ؟



لان في أرض جاوا حزبين كبيرين متشاجرين أحدهما حزب المحمديين والآخر شركة إسلام اندونيسيا وهذان الحزبان مع اتفاقهما في المبادئ السلفية مازالا مختلفين في هذا الامر

فالمحمديون يقولون بأن الدين الاسلامي ليس دين سياسة ولا يمنعنا عن الاشتراك مع الحكومة والتوظيف بدوائرها السياسية وغيرها وحجتهم قوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) الى آخر الآية ومدارسهم مرتبطة بوزارة المعارف . أما حزب شركة اسلام فانهم يقولون إن الدين الاسلامي دين سياسة ولا يسمح لنا بالتوظيف في دائرة الحكومة والارتباط بدوائرها السياسية وغيرها وحجتهم قوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الایمان وأیدهم بروح منه) الى آخر الآية ويحتجون على حجج المحمديين بأن الله نهانا عن الذين قاتلونا في الدين والقتال يكون بالسيف أو بالضغط والارهاق والاضطهاد ومنع نشر الاسلام وفضائله، لهذا أرجو أن تشرحوا لنا الحق في هذا الامر لعل الله يهدي الفريقين والذي مال عن الطريق السوي فيتفق الفريقان على نشر الاسلام ومبادئه

السلف الصالح بدلا عن النزاع الذي لا نتيجة من وراءه إلا الاضمحلال

أرجو نشر الجواب في أول عدد من مناركم والسلام عليكم

من تلميذكم المخلص

أبو بكر بن سعيد باسلامة

### ﴿ جواب المنار ﴾

#### (١) أخذ الربا من الافرنج في دار الحرب

إن ماتعنونه من إفتائي محل أخذ الربا من الافرنج في دار الحرب ليس كما ذكرتم أو نقلتم، وإنما هو جواب عن سؤال ورد على المنار من مدير جريدة الوفاق (بييتنرغ) (جاوه) ونشر في (ج ٨ مجلد ٢٧) الذي صدر في ربيع الآخر سنة



١٣٤٦ « في فتوى بعض العلماء بحل أموال أهل الحرب فيما عدا السرقة والخيانة ونحوها مما كان برضاهم وعقودهم فهو حل لنا مهما يكن أصله حتى الربا الصريح » هذا موضوع الاستفتاء، والاستفتي فيه منكر له أشد الانكار كما هو مبين بنص كلامه في السؤال إذ جعل هذه الفتوى خطراً على التوحيد ومقتضية لتحليل جميع المحرمات . وقد بينا في جوابه أصل الشريعة في إباحة أموال الحرب باجماع المسلمين وما قيد العلماء به عموماً . ولم يخالفنا أحد في ذلك فراجعوا فتوانا في (ص ٥٧٥ من مجلد المنار ٢٧) فإن بقي في أنفسكم شبهة فيه فينبوه لنا . وقد كتبنا في آخره « إن تلك الفتوى لا خطر فيها على التوحيد ولا تقتضي تحريم شيء من المحرمات . ومن لا يطمئن قلبه للعمل بها فلا يعمل بها » اهـ

وجملة القول إنني ما أفقيت في شيء انفردت به في هذا الموضوع ، وإن الذين ذكروا أنهم يستحلون أخذ الربا من المسلمين بدعوى أنهم « لادينيين » أي كفار تعطيل وإباحة، لا يمكنهم أن يدعوا أن صاحب المنار أفتى بتكفيرهم ولا بأخذ الربا منهم، ولا بجعله حرفة المسلمين، وإنما يتبعون أهواءهم، على أننا سنصدر إن شاء الله تعالى في هذا العام كتابنا في مباحث الربا والمعاملات المالية العصرية التي نشرناها في مجلدات المنار بعد تلك الفتوى فانتظروا فالمسألة ليست من البداهة بحيث يحرقها المرابون والتجار ، وخطر الاستدانة من الأفرنج بالربا أضاع ما تتصورون من عكسه ، بل هو الذي جعل المسلمين أفقر الشعوب ،

## (٢) الدين الاسلامي دين سياسة أم لا ؟

ان قول حزب المحمديين ان الاسلام ليس دين سياسة خطأ ، وإن استنباطهم من هذا القول ان الاسلام لا يمنعهم من الاشتراك مع الحكومة في وظائفها وأعمالها غريب فهو مبني على أصل فاسد، ولو لم يكن الاسلام دين سياسة لكان منعه من الاشتراك مع غير المسلمين في أعمال حكومة غير اسلامية أشد وأقوى وأما احتجاجهم بآيات سورة الممتحنة ( لا ينهاكم الله .. ) الخ فهو في غير محله فإن موضوعها ان الاسلام لا ينهى أهله في داره عن البر والعدل في معاملة





الكفار غير المحاربين لهم في دينهم ووطنهم، وإنما ينههم عن تولي المحاربين المنازعين لهم في دينهم ووطنهم، والمراد بتوليهم مساعدتهم على أعمالهم الحربية وكل ما فيه جعل السلطان والقوة لهم على المسلمين . فإذا كان جعل مدارسهم تابعة لمدارس الحكومة غير الاسلامية يضر الذين يتعاملون فيها بانفساد عقائدهم وأخلاقهم ودينهم أو يؤيد سلطانهم عليهم - تكون تابعة لها مما نهى الله عنه من توليهم سواء سمي الاسلام سياسياً أم لا، فإن الحكم منوط بنص القرآن لا بتسمية الدين سياسياً أو عدمه، وإذا كان ذلك نافعا للمسلمين بحفظ حقوقهم وبمنع أو يخفف الأذى الذي يقع عليهم فإنه لا يكون محرماً، وقد يكون بمقتضى السياسة الاسلامية مستحباً أو واجباً، فهؤلاء أحوج الى اثبات كون الاسلام ديناً سياسياً فيما يعملونه ويطلبونه وأما قول « حزب شركة اسلام » أن دين الاسلام دين سياسي فهو لا يبيح لهم التوظيف في مصالح حكومة بلادهم غير الاسلامية فأصله هو الصحيح، وما بني عليه من الحكم ففيه نظر ظاهر فإن سياسة الملة والامة ليست منصوبة في الكتاب والسنة بعبارات جلية يفهمها كل أحد أو يقدر كل أحد على استنباطها من النص — وإنما أساسها المصلحة العامة وهي تختلف باختلاف الزمان والمكان والاحوال، وأقوم وسائلها التشاور بين أهل الحل والعقد من علماء الامة بمصالحها لا علماء الاصطلاحات الفقهية وحدها، ألم تر كيف كان سياسي الخلفاء الراشدين بل إمام سياسة الاسلام . لا عظم عمر بن الخطاب بمختار أمراءه من دهاء الأذكياء، لا من عباد الفقهاء

وأظهر قواعد أئمة الفقه فيها قاعدة الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى المأخوذة من سياسة السنة وسيرة الخلفاء الراشدين وهي أن احكام العبادات تبنى على العمل بظواهر نصوص الكتاب والسنة . واحكام السياسة والمعاملات الدنيوية تبنى على جلب المصالح ودرء المفاسد دون ظواهر النصوص فإن تعارضها يؤول بالنص لمراعاة المصلحة

وعندنا من تجربات الشعوب الاسلامية في ذلك ما وقع لمسلمي الهند مع الدولة الانكليزية فقد كان المسلمون هم حكام الهند فسلبت هذه الدولة منهم



الحكم بجهلهم ، فظنوا ان دينهم يوجب عليهم عداوتها عداوة سلمية بأن يجتنبوا مشاركتها في شيء من اعمال الحكومة الادارية والقضائية وان يجتنبوا تعلم اغتها وعلومها فكانت عاقبة ذلك أن أضاعوا ثروتهم وقوتهم فصاروا أفقر من الوثنيين والبرس ( أي الفرس ) وأضعف ، فهل هذا مقتضى السياسة الاسلامية التي تحفظ بها مصالح الاسلام والمسلمين ؟؟ كلا إن المسألة أكبر مما فهمه هؤلاء وأولئك فيجب درسها وتمحيصها على الجامعين بين معرفة نصوص الشرع وحكمه ومعرفة شئون العصر على الاساس الذي وضعناه لهم

### ﴿ الربا والزكاة والضرائب ودار الحرب ﴾

( س ٥ - ٧ ) من صاحب الامضاء في بيروت

لصاحب الفضيلة الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة ( المنار ) المعظم . السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . وبعد أرجوكم أن تتفضلوا بنشر أسئلتى المحورة أدناه مع الاجابة عليها في ( المنار ) وتمكروا بقبول خالص الشكر ومزيد الاحترام .

( ١ ) هل يجوز شرعا وضع مال في احد المصارف الاجنبية واخذ ربا عنه ودفعه ( اي الربا ) الى الحكومة عن الضرائب المتنوعة التي تفرضها وتجبر الناس على دفعها ؟

( ٢ ) هل يجوز دفع الضرائب — كاعشار الزروع وغيرها — الى الحكومة من اموال الزكاة ؟

( ٣ ) متى يدعى الاجنبي وامته ( امة محاربة ) بعرف الشرع ؟ وما هي ( بلاد الحرب ) ؟

احد قراء المنار

عزت المرادي

( المنار ) هذه المسائل من متمات المسألة الأولى من مسائل استفتاء جاوه

الذي قبله ، ونجيب عنها بالايجاز



### (٥) أخذ الربح من المصارف الاجنبية

ان الربا المحرم قطعاً لا يحل إلا لضرورة يضطر صاحبها اليه اضطراراً كالاضطرار إلى أكل الميتة ولحم الخنزير ، فهل الربح المستول عنه كله من الربا القطعي ؟ وهل دفع الضرائب الاجبارية من الضرورات الاضطرارية التي تبيحها ؟ المشهور أن الربح الذي تعطيه المصارف لأصحاب الاموال هو حصص من الربح العام الذي تستغله منها . وهو أنواع أقلها ما هو من الربا الذي عرفه الامام أحمد وغيره من أئمة السلف — وقد سئل عن الربا الذي لا شك فيه فقال — هو أنه كان يكون للرجل على الرجل دين مؤجل فاذا جاء الاجل ولم يكن عنده ما يقضي به زاده في المال وزاده صاحب المال في الاجل ، وهذا بعض ربح المصارف المالية وليس منه ما تأخذه ولا ما تعطيه لأصحاب سهامها ولا للمودعين لاموالهم فيها ، وأما كونه بعض ما لها المحرم في الاسلام فمثله كثير من أموال الناس ، والعبرة في مثله بصفة أخذه لا بأصله ولا سيما في هذا العصر الذي قلما يوجد فيه كسب يلتزم فيه الشرع في بلاد الاسلام فما القول في بلاد الافرنج ومستعمراتهم ؟ فمن اعتقد مع هذا كله أنه من الربا المحرم لا يجوز له أخذه لاجل أن يدفعه في الضرائب المحرمة — من باب دفع الفاسد بالفاسد — لانه ليس تمت ضرورة تبيح له ذلك . ومن اعتقد أنه غير ربا شرعي قطعي لم يحرم عليه ، فان التحريم هو حكم الله المقتضي للترك اقتضاء جازماً ، واشترط الحنفية وجمهور السلف أن يكون بنص قطعي ، بل قال أبو يوسف انه لا يقال في شيء انه حرام إلا إذا كان بينا في كتاب الله بغير تفسير — ومن كان عنده شبهة فيه دون التحريم كان دفعه في ضرائب الظلم الاجبارية أولى من دفع الاموال التي لا شبهة فيها . وقد بينا حكم الشبهات من قبل في مباحث الربا والمعاملات المالية التي تصدر في كتاب مستقل

### (٦) دفع الضرائب من أموال الزكاة

أموال الزكاة المستحقة على صاحبها لا يجوز دفعها إلا للأصناف التي بينها الله تعالى في آيتها المعروفة (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) الخ وزكاة الزرع كالأعشار





إذا أخذتها الحكومة تسقط عن صاحب الزرع المستحقة عليه ولكن لا يسقط عنه زكاة النقدين بدفعها الى الحكومة أداء لضرائب الظلم . وفي هذا الباب مشكلات تختلف باختلاف الحكومات اسلامية وغير اسلامية

### (٧) الامة المحاربة التي تسمى بلادها دار الحرب

دار الحرب مقابلة لدار الاسلام التي تكون فيها الحكومة الاسلامية التي تقيم أحكام الاسلام، فكل أمة أجنبية لا تعقد حكومتها مع الحكومة الاسلامية معاهدة على السلام والامان وعدم الاعتداء تكون أمة محاربة وتكون دارها دار حرب لان الحرب فيها عرضة للوقوع في كل وقت إذ لا عهد يمنعها ، والفقهاء تعريف لها ليوحظ فيها جريان الاحكام من الجانبين

عقد العلامة ابن مفلح الفقيه الحنبلي فصلاً وجيزاً لهذه المسألة في كتابه (الآداب الشرعية) قال فيه ما نصه (ج ١ ص ٢١٣): فكل دار غلب عليها أحكام المسلمين فدار الاسلام ، وان غلب عليها أحكام الكفار فدار الكفر ولا دار لغيرهما . وقال الشيخ تقي الدين وسئل عن ما ردين هل هي دار حرب أو دار اسلام؟ قال هي مركبة فيها المعنيان ليست بمنزلة دار الاسلام التي يجري عليها أحكام الاسلام لكون جندها مسلمين ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار ، بل هي قسم ثالث يعامل المسلم فيها بما يستحقه ويعامل الخارج عن شريعة الاسلام بما يستحقه ، والاول هو الذي ذكره القاضي والاصحاب والله أعلم . اهـ

وقال في كشف اصطلاحات الفنون « ودار الاسلام عندهم ما يجري فيه حكم إمام المسلمين من البلاد . ودار الحرب عندهم ما يجري فيه أمر رئيس الكفار ( كلمة الكفار تشمل في الاصطلاح الشرعي غير المسلمين من كتابين ووثنيين ومعتلة ) من البلاد كما في الكافي ، وفي الزاهدي ان دار الاسلام ما غلب فيه المسلمون وكانوا فيه آمنين ، ودار الحرب ما خافوا فيه من الكافرين . ولا خلاف في أنه يصير دار الحرب دار اسلام باجراء بعض أحكام الاسلام فيها . وأما صيرورتها دار الحرب — نعوذ بالله — فعنده بشروط (أحدها) إجراء أحكام الكفر اشتهاراً بأن يحكم



الحاكم ولا يرجعون إلى قضاء المسلمين ، ولا يحكم بحكم من أحكام الاسلام - كما يأتيه في الحرة - (وثانيها) الاتصال بدار الحرب بحيث لا تكون بينهما بلدة من بلاد الاسلام يلحقهم المدد منها (وثالثها) زوال الامان الاول أي لم يبق مسلم ولا ذمي آمن إلا بأمان الكفار (أي غير المسلمين) ولم يبق الامان الذي كان للمسلم باسلامه وللذمي بعقد الذمة قبل استيلاء الكفرة . وعندها لا يشترط إلا الشرط الاول اه ويعني بقوله فعنده الامام أبا حنيفة وبقوله وعندها أبا يوسف ومحمد بن الحسن رحمهم الله ولفقهاء المذاهب أقوال أخرى في دار الاسلام ودار الحرب وأحكامهما ، والاصل فيها ان دار الاسلام ما كان أهلها من المسلمين وغيرهم آمنين بسلطان الاسلام وحكمه المدل وجارية فيهم أحكامه ، ودار الحرب ما كان أمانها وأحكامها بسلطان غير المسلمين وغير أحكام الاسلام سواء كانت بينهم حرب أم لا ، فيدخل في دار الحرب ما كان حكمها من المعاهدين المسلمين ، وهذه المسألة فروع ومشكلة . في هذا فان بعض البلاد التي تسمى حكوماتها إسلامية لا تجري فيها الأحكام الإسلامية من حيث هي إسلامية بل لها تشريع وضعي يخالف للشرع الاسلامي يسمى باسم البلد أو القطر ويسمى رئيس حكومتها شارعا وتنفذ الأحكام باسمه بمعنى أنه هو الشارع والمنفذ لها بسلطانه واسمه ، لا بحكم الله واسمه ، ولا نخوض في بسط هذه المسائل

(س ٨-١٠) من صاحب الامضاء بدمشق « الشام »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال الله تعالى ( فاستلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون )

حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فان الامر قد أشكل علينا في بعض المسائل ولم نعتز على شيء منها ونريد منكم أن تبيينوا أحكامها بالتفصيل التام ولم نر أحداً نعتمد بعد الله تعالى إلا جنابكم وهامي الاستئلة



١ — ما حكم استعمال الذهب في الكتب الاسلامية وغيرها ( أي تذهيب الكتاب في الكتب )

٢ — ما حكم طبع الكتب للاديان الباطلة وتجليدها

٣ — هل يجوز حفر الصليب على النحاس أو على الزنك وطبعها بالذهب على ظهر الكتاب . أفقونا وانشروها في صفحات مناركم الغراء ولكم الاجر والثواب على الله تعالى ودمتم للمسلمين ذخراً

الداعي  
محمد منصور نجاني

#### (٨) تذهيب جلد الكتب

تزيين الكتب المجلدة بطبع أمماؤها وأرقام عددها وغير ذلك من الزينة بالمادة الذهبية المعروفة عند المجالدين مباح لا يدخل فيما نهى عنه النبي ﷺ من الأكل والشرب في أواني الذهب والفضة ولا مما زيد على ذلك خاصاً بالذهب كما بيناه من قبل مراراً في باب الفتاوى فلا نعيده

#### (٩) طبع كتب الاديان الباطلة وتجليدها

نشر الاديان الباطلة والمساعدة عليه إقرارها ومساعدة على الدعوة اليها أو معرفتها والاطمئنان بها فهو حرام على الأقل في حال إنكارها والبراءة منها، وأما الرضى بها واستحلال نشرها والمساعدة عليه فهو كفر

#### (١٠) حفر الصليب على النحاس أو الزنك وطبعه

الصليب شعار لدين غير الاسلام فلا ينبغي لمسلم أن يساعد أهله على إظهاره ولا أن يعارضهم فيه في دار الاسلام ولكن أهله قد يتخذونه علامة لبعض مصنوعاتهم وتجاراتهم فلا يكون فيه إقرار لشيء من عقائد أهله ولا من عباداتهم فني هذه الحالة لا يعد من يحفره في المعدن لاعلان تجاري مثلاً موافقاً لشيء من دين أهله ولا جانياً على دينه هو



## حفلة الازهر بشيخه الاستاذ الاكبر

(الشيخ محمد مصطفى المراغي)

عزم جماعة من طبقات الامة العالمية والوسطى إقامة حفلة تكريم عامة لشيخ الاسلام الراغي ابتهاجا بعودته إلى مشيخة الازهر ورياسة المعهد الدينية بعد فترة خمس سنين كادت تقضي على ما كان فيه من دين قويم وخلق كريم وعلم نافع، وتجمعه بيئة دسائس ورياء وفتن وأهواء وخرافات ونزغات مادية، فكانت كسني يوسف السبع الشداد، وكان هذا العام بعودة المراغي كذلك العام الذي أغاث الله به الناس، ذلك العام كان غوثا من القحط والجذب الذي كاد يقضي على الحياة البدنية، وجاء هذا العام غوثا من الجهل وفساد الاخلاق الذي كاد يقضي على الحياة الدينية العلمية ولقد سعى الاستاذ لصرف الناس عن إقامة هذه الحفلة، زهداً منه في هذا الظهور والشهرة. بيد أن الازهر علماءه وطلابه لم يتسن لاستاذهم ورئيسهم صرفهم عن الانفراد بإقامة حفلة باسمهم خاصة بهم ورياسته عليهم إسلامية من أقوى دعائهم اتباع الاجماع وكانوا على التكريم مجمعين، والعالم باجماعهم كان نطقياً لا سكوتياً لأنهم محصورون، فجمعوا النفقة المقدرة للاحتفال من أنفسهم بنظام اختياري عادل، واختاروا للاحتفال أفسح مكان في مصر وهو معرض الجمعية الزراعية الذي تعرض فيه نتائج زراعة القطر وصناعاته، فراعوا النظر بعرض نتائج العقول والفنون فيه ودعوا إلى حضوره ألوفا من رجال الطبقات العليا والوسطى وفي مقدمتهم أمراء البيت المالك والوزراء العاملون والقاعدون وكبار رجال القصر والدواوين، وممثلوا الدول الإسلامية السياسيين، ووضعوا من موائد الشاي وما يتبعه عادة من أنواع الحلوى والفطائر ما يسمع المثين أو الالوف: منها ما وضع للمتعارفين من جمع القلة، ومنها ما وضع للمتجانسين من جمع الكثرة، ووضع للمحتفل به ولأعضاء لجنة الاحتفال مائدة في صدر المكان مزينة بالرياحين والازهار بجانب منبر الخطابة. وبجانبه الآخر موائد الأمراء والوزراء، وأمام موقف الخطابة آلة المذياع الكهربائي (الراديو) ووضع





في جو المكان أصوار أو أبواق متفرقة من مضخات الصوت لتسمع كل من فيه ما يلقي على المنبر كأنه بجانبه .

وكان وراء هذا المجلس الفسيح الخاص بالمدعوين مجلس آخر للالوف المؤلفة من مجاوري الازهر وهم مع علمائهم أصحاب الدعوة، وقد جلسوا بترتيب ونظام تام كنظام الجيش الألماني .

ولما كمل الجمع أقبل الشيخ الاكبر فانتصب القاعدون وقفا إجلالا له وتكريما، وهتفت جيوش المجاورين دعاء وترحيبا ، ثم أديرت كئوس الشاي على جميع الموائد في وقت واحد ، وتلاها الطواف بأكواب شراب الليمون والبرتقال المثلوج ، بنظام دقيق سريع ، ولما فرغ الجوع مما لذ لهم وطاب أكل وشربا افتتحت الحفلة بتلاوة أشهر القراء لآيات من الذكر الحكيم ، ثم نهض رئيس لجنة الاحتفال صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد اللبان فألقى خطبة الافتتاح ، وتلاه الخطباء والشعراء من علماء الازهر ونابغي طلابه ، وكان أولهم أشهر علماء الازهر في الخطابة الارتجالية والكتابة العصرية : صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ علي سرور الزنكلوني ، فبدأ خطبته بما يعهد به من مراعاة مقتضى الحال ، بصوته الجمهوري المعتاد ، وما لبث أن حاجته ذكرى ما ساءته المشيخة الساقطة من هضم ، وما أرهقته من عسر وظلم ، وما انقلب اليه بانقلابها من عزة وكرامة في وقفته هذه على أعين عظماء الامة ، ومرأى ومسمع من رجال الدولة ، فاذا به وقد غلبه على رأيه ورويته غاشية من مراقبة الله عز وجل شغلته عن المضي في خطبته بمداواة خشوعه ، وكفكفة دموعه ، فمكث هنيهة يستنجد قلبه ، ويستلهم ربه ، فألهمه حسن التخلص بتوجيه التهنئة على هذه النعمة الى الامة لان ظفر الازهر ظفر لها ، وأن بكل أمر تكريم المراغي الى الله الذي رفع ذكره ، وأعلى قدره ، ووضعه في الموضع اللائق به ، ومكنه من الاصلاح الذي خلق له ، وختم الخطبة بالدعاء لجلالة الملك وولي عهده



لا يتسع المنار لما تحيط به الصحف اليومية من وصف هذه الحفلة بالتفصيل ، ونشر ما ألقاه أعلام الازهر فيها من الخطب والقصائد ، وانما الواجب عليه أن يبدأ بنشر خطبة المحتفل به فهي أفصحها لفظاً ، وأبلغها معنى ، وأصحها بياناً لما ينويه من الاصلاح ، على منهج المصلح الاول الاستاذ الامام قدس الله روحه ، وجعله خير خلف له ، فيما نوه به من رفع ذكره ، وتخليد حمده وشكره :

## خطبة الاستاذ الأكبر

في حفلة تكريمه

حضرات السادة الاعزاء :

أحمد الله جل شأنه على ما أولانيه من الكرامة بهذه المنزلة في نفوسكم ، وأشكر لحضرات الداعين المحترمين برهم وكرمهم ، وعاطفة الحب الفياض البادية في قولهم وفعلهم ، في شعرهم ونثرهم ، ولحضرات المدعوين تشريفهم واحتمالهم مشقة الحضور الذي أعربوا به عن جميل عطفهم وحبهم

ويسهل علي قبول هذه المثنى كلها واحتمالها إذا أذنت لي في صرف هذه الحفاوة البالغة عن شخصي الضعيف ، واعتبارها كلها موجهة إلى الازهر الشريف ، الذي تجلونه جميعاً وتعتبرونه بحق شيخ المعاهد الاسلامية في مصر وغيرها من البلاد ولئن دل هذا الاجتماع بالقصد الاول على غرض التكريم فقد دل بالاشارة

والتبع على معان أسمي من غرض التكريم

دل على ان الازهر خرج عن عزلته التي طال أمدها ، ونهض يشارك الامة في الحياة العامة وملابساتها ، وعزم على الاتصال بها ليفيد ويستفيد ، وهذه ظاهرة من ظواهر تغيير الاتجاه الفكري الذي نشأ عن تغير طرائق التعليم فيه ، وعن شعوره بأن في الحياة معارف غير معارفه القديمة يجب أن تدرس وتعرف ، وطرائق



في التعليم يجب أن نحتذي ونهتدي بها . ومنذ أربعين سنة اشتد الجدل حول جواز تعليم الحساب والهندسة والتاريخ في الأزهر وحول فائدة تعليمها لعلماء الدين ، ومنذ أربعين سنة قرأ لنا أحد شيوخنا كتاب الهداية في الفلسفة في داره على شرط أن نكتب الامرائلا يتهمه الناس ويتهموننا بالزيغ والزندقة ، والآن تدرس في كلية أصول الدين الفلسفة القديمة والحديثة ، وتدرس الملل والنحل ، وتقارن الديانات وتعلم لغات أجنبية شرقية وغربية

ومن الحق أيها السادة علينا ألا نندى في هذه المناسبة والحديث حديث الأزهر والأزهرين ذلك الكوكب الذي انبثق منه النور الذي نهتدي به في حياة الأزهر العامة ويهتدى به علماء الاقطار الاسلامية في فهم روح الاسلام وتعاليمه ، ذلك الرجل الذي نشر الحياة العلمية والنشاط الفكري ، ووضع المنهج الواضح لتفسير القرآن الكريم ، وعبد الطريق لتذوق سر العربية وجمالها ، وصاح بالناس بذكرهم بأن العظمة والمجد لا يبنيان إلا على العلم والتقوى ومكارم الاخلاق ، ذلك الرجل الذي لم تعرفه مصر إلا بعد أن فقدته ، ولم تقدره قدره إلا بعد أن أمعن في التاريخ ، ذلك هو الاستاذ الامام ( محمد عبده ) قدس الله روحه وطيب ثراه ، وقد مر على وفاته ثلاثون حولاً كاملة ، ومن الوفاء بعد مضي هذه السنين ونحن نتحدث عن الأزهر أن نجعل لذكره المكان الاول في هذا الحفل ، فهو مشرق النور وباعث الحياة ، وعين الماء الصافية التي نلجأ اليها اذا اشتد الظلم ، والدوحة المباركة التي نأوي الى ظلها اذا قوي لفح الهجير

الأزهر كما تعلمون أيها السادة هو البيئة التي يدرس فيها الدين الاسلامي الذي أوجد أمماً من العدم ، وخلق تحت لوائه مدينة فاضلة ، وكان لهذا الاثر الضخم في الارض ، فهو يوحى بطبعه الى شيوخه وأبنائه واجبات انسانية ، ويشعرهم بفروض صورية ومعنوية ، يعلمون مقصرين آئمين أمام الله وأمام الناس





إذا هم تهاونوا في أدائها ، وأنهم لا يستطيعون أداء الواجب لربهم ودينهم وابعادهم وأنفسهم إلا إذا فهموا هذا الدين حق فهمه ، وأجادوا معرفة لغته ، وفهموا روح الاجتماع ، واستعانوا بمعارف الماضين ومعارف المحدثين فيما تمس الحاجة اليه مما هو متصل بالدين ، أصوله وفروعه ، وعرفوا بعض اللغات التي تمكنهم من الاتصال بأراء العلماء والاستزادة من العلم ، وتمكنهم من نشر الثقافة الاسلامية في البلاد التي لا تعرف اللغة العربية ، هذا كله يحتاج إلى جهود تتوافر عليه وإلى التساند التام بين العلماء والطلبة والقوامين على التعليم ، ويحتاج إلى العزم والتصميم على طي مراحل السير في هدوء ونظام وجد ، وصدق نية ، وكمال توجه إلى الله ، وحب للعلم لا يزيد عليه إلا حب الله وحب رسوله

وللمسلمين في الازهر آمال من الحق أن يتنبه أهلها

أولا — تعليم الامم الاسلامية المتأخرة في المعارف وهدايتها إلى أصول الدين وإلى فهم الكتاب والسنة ومعرفة الفقه الاسلامي وتاريخ الاسلام ورجاله ، وقد كثر قاطع هذه الامم إلى الازهر في هذه الايام وزاد قاصدوه منها أفراداً وجماعات ، واشتد طلبها لعلماء الازهر يرحلون اليها لاداء أمانة الدين وهي بيانه ونشره

ثانياً — إثارة كنوز العلم التي خلفها علماء الاسلام في العلوم الدينية والعربية والعقلية ، وهي مجموعة مرتبط بعضها ببعض وتاريخها متصل الحلقات ، وقد حاول العلماء كشفها فنقبوا عنها وبذلوا جهوداً مضنية ، وعرضوا نتائج بعضها صحيح وكثير منها غير صادق ، وعذرهم أنهم لم يدرسوا هذه المجموعة دراسة واحدة ، على ان بعضها متصل بالآخر كما هو الحال في دراسة الازهر ، فإذا وفق الله أهل الازهر إلى التعمق في دراسة هذه المجموعة دراسة قديمة حديثة ، ودراسة المعارف المرتبطة بها وأتقنوا طرق العرض الحديثة — أمكنهم أن يعرضوا هذه الآثار عرضاً صحيحاً صادقاً بلغة يفهمها أهل العصر الحديث ، وإذا ذلك يكونون أداة اتصال



جيدة بين الحاضر والماضي، ويطلعون العالم على ما يبرر الانظار من آثار الاقدمين  
وأعتقد أن التعاليم الازهري على النحو الذي أثرت اليه هو الذي يرجى لتحقيق  
الامل وأنه مدخر لأبنائه إن شاء الله

ثالثا — عرض الاسلام على الامم غير المسلمة عرضا صحيحا في ثوب نقي  
خال من الغواشي المشوهة لجماله ، وخال مما أدخل عليه وزيد فيه ، ومن الفروض  
المتكلفة التي يأبأها الذوق ويمجها طبع اللغة العربية .

رابعا — العمل على إزالة الفروق المذهبية أو تضيق شقة الخلاف بينها ، فإن  
الامة في محنة من هذا التفرق ومن العصبية لهذه الفرقه ، ومعروف لدى العلماء  
أن الرجوع إلى أسباب الخلاف ودراستها دراسة بعيدة عن التعصب المذهبي يهدي  
إلى الحق في أكثر الاوقات ، وان بعض هذه المذاهب والآراء قد أحدثتها  
السياسة في القرون الماضية لمناصرتها ، ونشطت أهلها وخلق فيهم تعصبا يساير  
التعصب السياسي ، ثم انقرضت تلك المذاهب السياسية وبقيت تلك الآراء الدينية  
لا تتركز إلا على ما يصوغه الخيال وما افتراه أهلها ، وهذه المذاهب فرقت الامة  
التي وحدها القرآن وجعلتها شيعة في الاصول والفروع ، ونتج عن ذلك التفرق  
حقق وبغضاء يلبسان ثوب الدين ، ونتج عنه سخف مثل ما يقال في فروع الفقه  
الصحيح أن ولد الشافعي غير كفء لبنت الحنفي ، ومثل ما يرى في المساجد من تعدد  
صلاة الجماعة وما يسمع اليوم من الخلاف العنيف في التوسل والوسيلة ، وعذبات  
العمائم وطول الأحيى حتى ان بعض الطوائف لا تستحي اليوم من ترك مساجد  
جمهرة المسلمين وتسمى لانشاء مساجد خاصة

من الخير والحق أن تتدارك هذا وأن يعنى العلماء بدراسة القرآن الكريم  
والسنة المطهرة دراسة عبرة وتقدير ، لما فيها من هداية ودعوة إلى الوحدة ، دراسة  
من شأنها أن تقوي الرابطة بين العبد وربّه ، وتجعل المؤمن رجب الصدر هاشم



باشا للحق ، مستعداً لقبوله ، عاطفاً على اخوانه في الانسانية ، كارهاً للبغضاء  
والشحناء بين المسلمين ،

قد أنهم بأني تخيلت فحلت ، ولا أبالي بهذه التهمة في سبيل رسم الحدود ،  
ولفت النظر إليها ، وفضل الله واسع ، وقدرته شاملة ، وما ذلك على الله بعزيز  
الآن وقد أوضحت بالتقريب آمال المسلمين في الازهر ، ترون أيها السادة  
أن العبء الملقى على عاتق الازهر ليس هين الحبل ، فانه في حاجة إلى العون  
المصدق من كل من يقدر على العون إما بالمال أو العقل ، أو بالمعارف والتجارب ،  
وكل شيء يبذل في طريق تحقيق هذه الآمال ، هين اذا أنت الجهود بهذه  
الثمرات الطيبة المباركة

أيها السادة :

أكرر لكم شكري وأبعث من هذا المكان وفي هذا الجمع المبارك تحية الازهر  
إلى العالم الاسلامي وإلى دور العلم ومعاهده . وأنشرف برفع ولاء الازهر إلى  
مقام حضرة صاحب الجلالة الجالس على عرش مصر الملك فؤاد الاول وصاحب  
الفضل العميم في الازهر في العصر الحديث ، أدام الله عزه ومتع جلالاته بالصحة  
التامة والتوفيق الدائم وأقر عينه بحضرة صاحب السمو الملكي أمير الصعيد  
ولي العهد المحبوب . والسلام عليكم ورحمة الله

﴿ خطبة الاستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد اللبان ﴾

رئيس لجنة الاحتفال

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات أصحاب السمو . . .

حضرات أصحاب الدولة والمعالى . .

حضرات السادة . .

أحييكم أطيب تحية . . وأشكر لكم أصدق الشكر تلييتكم دعوتنا ، فقد  
برهنتم بذلك على ما للازهر من المنزلة الرفيعة في نفوسكم ، والمكانة السامية في



غلوبكم ، وضاعفتم معنى التكريم الذي أراده الازهريون لشيخهم من إقامة هذه الحفلة الكبرى . إذ أعلنتم بهذا الاشتراك أن مقام المشيخة الاسلامية الذي يرقاه حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى هو هو مقام الرياسة الدينية العظمى ، الذي يحيطه المصريون بمظاهر الاحترام والاجلال ، ويتوجه اليه المسلمون في شؤون دينهم بأسمى الامال ، كما يدل اشتراككم على أن مصر ممثلة في صفوة أولي الرأي من رجالها تعرف ما للاستاذ المراغى من أباد يضاء على التعليم الدينى ، وجهود بارزة في سبيل إصلاح المعاهد الدينية وإعلاء شأنها ، وأنى باسم الازهر وباسم لجنة الاحتفال التي شرفتني برياستها أرحب بكم وأحيى من قلبي تلك الرابطة الوثيقة التي تربط الازهر بهذا الوطن العزيز وبالعلم الاسلامى أجمع وأحيى هذا الشعور النبيل الذى يتجلى نحو هذا المعهد الدينى الاكبر في جميع المناسبات

حضرات السادة :

أنشئ الجامع الازهر من نحو ألف عام وتاريخه في هذا الزمن الطويل يكاد يكون تاريخ الحياة العلمية والدينية والاجتماعية لمصر ولسائر بلاد العالم الاسلامى ، اذ كان هو مصدر العلوم ومقر الدراسات لهذه البلاد جميعها (١) ثم طرأت بعد ذلك طوارئ كان من أثرها هذا التحول في الحياة العامة ، وفي أساليب التعليم واتجاهاته ، وزخر تيار هذه الاتجاهات الجديدة وزاحت الازهر بما لها من قوة الشيء الجديد ، وكاد الازهر وسط هذا التطور العام ينفصل عن البيئة المصرية وتصبح تعاليمه السمحة مقصورة على رجاله ، وأوشك بفعل الزمن أن يصير وطناً مستقلاً في قلب هذا الوطن ، وكادت فائدته تنحى على بعض الناس ، وشعر الازهريون أنفسهم أنهم يتعدون عن شعب مهمتهم الكبرى إرشاده وهدايته . وينفصلون عن مجتمع عملهم في الحياة تهذيبه وثقيفه ، وإذ ذاك لاحت

١ « في هذه الدعوى غلو وشطط وقد أشرنا الى الحق في موضوعه في كتاب

«المنار والازهر»





بارقة أمل خلال جهود المصلحين في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، ثم جاء عصر جلالة مولانا الملك المعظم فتوجت عناية السامية الى اصلاح الازهر والمعاهد الدينية اصلاحا شاملا ، فوضعت له الانظمة واللائح الحالية ، وقسمت الدراسات العالية فيه الى كليات تقوم كل واحدة منها بنوع من الدراسات الاسلامية والعربية . على نمط جامعي ، خشى معه بعض الناس أن يتحول الازهر عن تقاليده ومميزاته الى نظام المدارس المدنية ، لكنهم مالبثوا ان شهدوا معجزة الازهر تبرز امام العيون واضحة جليلة فاذا العلوم والفنون الازهرية التي استقرت في كتبنا القديمة تتحول الى دراسات عصرية منظمة محتفظة بطابع الازهر في دقة البحث . وعمق التحليل واذا أساتذة العلوم المستحدثة في النظام الجديد المنتدبون لذلك من الجامعة المصرية والمدارس العالية يلقون محاضراتهم المختلفة في كلياته بجانب شيوخه . واذا عقول الطلاب تتسع للعديد الطريف وللقديم العتيق في ثوبه الجديد ، وبهذا أخذ الازهر يسترد زعامته الادبية والعلمية بعد أن نافسته معاهد استمدت حياتها منه

والاستاذ المرافق في تأسيس هذا النظام عظيم الفضل وجهوده كبير الاثر في تكوينه

أيها السادة :

أترك لحضرات الخطباء والشعراء بعدي تفصيل الكلام على فضل الاستاذ الاكبر وجليل أعماله وأختم كلمتي بالتوجه الى الله تعالى بالحمد والثناء على توفيقه وجميل رعايته ، وأضرع اليه جل شأنه أن يهب الاستاذ الاكبر التوفيق في عمله ، ويرزقه السداد والحزم في رأيه ليحقق بالازهر وفي الازهر ما ينشده العالم الاسلامي من اصلاح بفضل ما يسديه جلالة الملك المفدى من رعاية ، ويخص به الازهر من عطف وعناية .

ادام الله جلالة الملك ذخراً للوطن العزيز ممعناً بالصحة الكاملة وابقاه حامياً للعلم والدين وأقر عينه بسمو ولي عهده المحبوب أمير الصعيد آمين



باب الرسـ \_\_\_\_\_ ائل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الى فضيلة الأستاذ الأكبر بمناسبة خطابه في حفلة التكريم

دائرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر

لله أنت فيما ملكت من القلوب ، وما منحت من التوفيق ، وما ألقى إليك

من مقاييد الامم الاسلامية وتربية ناشئتهم وكمولهم وشيوخهم؛ فالله حسبك ونعم العين

يعلم فضيلة أستاذنا الأكبر أن قلوبنا بحبه خافقة ، وعيوننا اليه شاخصة ،

وأكفنا بالضرارة إلى الله بتأييده منيسطة : نطلب اليه تعالى دوام توفيقكم ، وإطالة

عهدكم ، والبركة في عمركم ، حتى تجددوا الامة الاسلامية شبابها ، وتعيدوا اليها

مجددها ، لكي تتبوأ في مشرق الكرامة مكانها ، وتلقي اليها الدنيا بزمَامها فتعيدها

سيرتها الاولى ، فقدما أشرق نور الاسلام وارتفع به صوت الداعي ، والامم من

ظلمات الجهالة في تداع ، طمست البدر المعالم ، وتنافست الأمم في المظالم ، قهامت

في أودية الضلال ( ومن يضلل الله فما له من هاد )

والآن وقد دار الفلك دورته ، لقد أرسلك الله في الناس داعيا إلى الصراط

المستقيم ، هاديا من طغت عليهم أوشاب المدينة الحديثة الى تفهم روح الدين

الصحيح تحقيقاً لقول الرسول ﷺ مأمناً « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس

كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها» وان الامة لتصبح لقواكم وتهافت على إرشادكم

فما من خطة تخطونها ، أو حكمة ترسلونها ، إلا هبطت علينا هبوط الماء على الظمان ،

والأمن والسكينة على الخائف المؤمن

سنيدي الاستاذ الاكبر : إن أحب الامور إلى قلوبنا العمل على وحدة الدين



والقضاء على تلك الفروق الخيالية ، والعصبيات المذهبية ، فتلك من وساوس الشيطان للإنسان ، حتى انتهى الأمر بنا إلى ما أشرتم إليه فضيلتكم في خطابكم البليغ في

حفلة التكريم « من أن ولد الشافعي كفاء ابنت الحنفي ، وما نرى من تعدد صلاة

الجماعة في المسجد الواحد ، وما نسمع من الخلاف في التوسل والوسيلة ، وعذبات

وطول اللحي ، حتى أن بعض الطوائف لا تستحي اليوم من ترك مساجد جبهة

المسلمين وتسعى لإشياء مساجد خاصة »

نعم لا يستحيون لانه « لا حياء في الدين » إننا وأيم الله ياسيدي الاستاذ نرى هذا بقلوبنا ونحسه بعيوننا ويحز في نفوسنا ، وما شيء أحب الينامن جمع كلمة المسلمين والقضاء على أسباب التفرقة بينهم ، وليس وراء قوله تعالى من دجر ( إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء )

هذا بيت الداء ، وأنتم أنتم أخبر بالدواء ، هاهي ( ذي ) الامة ألقت اليكم قيادها بوها أنتم ( أولاء ) وضعت يديكم المباركة على سكان السفينة لتقودوها إلى شاطئ السلامة إنه لا شيء أغلى وأعز من الدين « دينك دينك إنما هو لحك ودمك » ألا وان الدين قد ذهب ، ألا وإنه لم يبق منه إلا الصلاة كما أخبر الصادق المصدوق « آخر ما يبقى من دينكم الصلاة فمن ضيعها فقد كفر » ألا واننا قد أضعنا الصلاة ، ومن أداها فقشر ظاهر لا لب فيه ، ألا وان البدع تفسد العمل كما يفسد الخل العسل ، هذه البدع عمت المساجد وتخللت الصلاة ، وإنني لا إخال فضيلتكم إلا ذاكرين ما حدث من ابن عمر رضي الله عنه : ففي المأثور عنه انه كان سائراً بالكوفة فر على مسجد وسمع المؤذن ينادي بالصلاة فدخل وأخذ يركع تحية المسجد ، فلما فرغ المؤذن من الاذان ورأى بعض الناس خارج المسجد وقف ببابه وقال : حضرت الصلاة يرحمكم الله ، فسلم ابن عمر رضي الله عنه وخف وأخذ حذاءه وانصرف





من المسجد تاركاً صلاة الجماعة ، قائلاً : والله لأصلي في مسجد فيه بدعة . رحم الله ابن عمر ماذا كان يبدي ويعيد لو بعث اليوم ورأى صلاتنا ؟

سيدي الاجل : ليت الامر وقف عند ابتداء البدع في المساجد والصلاة وما يسبقها وبلحقها ولم يمس جوهر الصلاة ، ولم يهدم أركانها هدماً ، ويطمس معالمها طمساً : تقصير مخل ، نقر كنفقر الغراب ، يسرقون من صلاتهم فهم أسوأ الناس سرقة . هذه منكرات يجب على من رآها أن يزيلها فان لم يستطع فليزل عنها .

هذا ما حمل بعض المتوسكين بدينهم على الفرار بصلاتهم إلى مسجد من أرض الله يقيمون فيه الصلاة : الصلاة التي صلاها رسول الله ﷺ ثم قال « صلوا كما رأيتموني أصلي » وكقوله للرجل الذي صلى بين يديه مرات « ارجع فصل فانك لم تفصل » فقال الرجل في الثالثة : والذي بعثك بالحق لأحسن غيرها فعلمني .. فعلمه فالمسيء صلاته شر من تارك الصلاة ، إذ تارك الصلاة معترف بتقصيره عالم أنه ظالم لنفسه فترجى له التوبة والالتوبة ويحظى بالمغفرة (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) أما المسيء صلاته والمدخل فيها البدع فانه يعتقد عن جهل انه يتقرب الى الله تعالى بصالح الاعمال وأحبها اليه ، غافلاً عن إساءته فيها وضلال سعيه فأنى ترجى توبته من عمل هو في نظره خير الاعمال ؟ فيبقى كذلك حتى يلقي الله تعالى وقد خسر عمله ( قل هل أنبؤكم بالآخسرين أعمالاً ؟ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ) فان لم يشملهم النص فلا يعدوهم الوعيد

ان الصلاة لو أدت على وجهها المشروع كان لها السلطان الاكبر على النفوس حورقتها وهذبتها ووقتها شر الهامع والجزع ، وأعدتها للقيام بجلال الاعمال والتحلي بجميل الخصال ، والمثابرة في سبيل الحقوق المشروعة على النضال ، وجملت كل حاصل ينصف أخاه من نفسه ، ويعمل لعدوه ويحاسب نفسه على أمسه : بهذا تقل



الجرائم ويخلق باب السجن ويستريح القاضي ، ويكون الدين بحق مستودع القوة التي ترهب الاشرار وتصد غارة الاشقياء ، وتجعل الناس يحافظون على حقوق بعضهم البعض ، ولا يحتاج الامر الى قانون المراقبين والمشبوهين ، إذ الكل يشعر بمراقبة العلي الكبير ، فيحافظون على أموالهم وأرواحهم وأعراضهم ، وينقرض الفساد ، وتسود الطمأنينة البلاد ( ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر )

والمأمول من فضيلتكم أن تبيينوا كتابة وبواسطة الوعاظ والمرشدين : حقيقة الصلاة وما يجب أن تكون عليه الجماعات في المساجد وأئمتها ورؤساؤها وما يجب عليهم من رعايتها وتطهيرها من مفاسد البدع ، ومن الادعية المبتدعة ، والافو والتشويش على المصلين فيها

انك ياسيدي إن عملت ذلك — وأنت خير من يعمل — قدمت الى الله يوم الدين بخير زاد ( وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين ، يوم لا تلك نفس لنفس شيئاً والامر يومئذ لله )

فالامر الآن بين يديك ولاسلطان في الدين لأحد عليك ، وما المرء بمستطيع في كل حال أن يقوم بجلال الاعمال : فائمة المساجد ورؤساؤها هم رعاتها « وكلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » ( قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين )

أحمد محمد شهاب

رئيس نقطة صفط الخمار بيوليس المنيا



# تفسفر المنار

## الفرء الثافى عشر

للسفء الامام مفرء رشفء رضا رضف الله عنه

فرزف فف أن أقرظ هذا الفرء ونفن فف مافم السفء رشفء رضا ، ولا نزال مأفوففن بفءشة الفبر ، وكافنا فف فم مفرع لا أمام فففة صاءعة ، ولا أمام فرائف فففض فءاؤها بالفف والفاففن ، ولا بفن معزفن من مففلف الطبقات فءرفون الءمع الهفون ، وفف فوفعون لمصفبة المسلفن بففء الرافل السكرم ، وفف فءءفون عن الفراغ الفف فركة ، وأنهم لا ففءون من فملؤه ، ففء كان السفء الامام رحمه الله ملء السمع والبصر ، وكان الففة الفف ، والمفرع الفف فطمفن الفف النفوس الشارءة من وساوسها ، وففءأ به القلوب الواففة مما فففك ففها ، ففءفء برء الفففن وفففر بفشاشة الفمان ، فرزف فف أن أفءم الامة الاسلامفة هذا الفرء من الففسفر وأنا فف هذه الفالة النفسفة الفف لم أرها من قبل ، على كفرة النوازل والفواجم ، ولكن كل المصائب فهون وففضاءل أمام مصفبفنا فف الرافل العفرز أحسن الله نزاله ، وففشره مع الففن أنعم ففهم من النبفن والصفففن والشهءاء والصالفن وبعء : فففسفر المنار أشهر من الشمس ، وأففن من فلق الصبف ، فعان عن نفسه بففسه ، وفء قرظه العلماء والفضلاء فف الشرق والغرب ، وأففوا فففه بما هو أهله ، وأففوه مرجعا لهم ، بل اسفغنوا به عن كل الففاسفر الفف فففف ، وهو الآن عمءة الففففن من علماء الأزهر وففرهم ، ولست الآن بفءء الكلام على منافاه ومفوعة ما انفرفه عن كل كتب



( التفسير ) فذلك له مقام آخر ، غير ان الذي أريد أن أعجل للقراء به ونحن في هذه المحنة القاسية أن أذكر لهم بعض ما امتاز به الجزء الثاني عشر ، وهو آخر الاجزاء التي أنجز طبعها السيد المبرور أحسن الله جزاءه ، ورفع في الجنة درجته فقد امتاز هذا الجزء على صغر حجمه بالنسبة لسوابقه بتحقيقات انفردها ، كالكلام على حكمة التحدي بالسورة الواحدة وبالعشر ، وهنا يفيض السيد إفاضة يتجلى فيها روح الالهام الصحيح ، والنظر الصادق ، فترى من التحقيقات في الموضوع ما لا ترى في كتاب آخر ، فاذا أنت انتقلت إلى آية الطوفان ( وقيل يا أرض ابلعي ماءك ، ويا سماء أقلعي ، وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين ) أطلعك على مافي الآية من بلاغة روحية تهتز لها النفس وتلمس بصدق جانب الاعجاز في الآية الكريمة ، ويبطل عجبك من تأثير القرآن في نفوس العرب ، ذلك التأثير العجيب الذي بدلهم في سرعة لم يعهد لها نظير ، فأخرجهم من الظلمات إلى النور ، ورفعهم من الخضيب الاوهد إلى الذروة فكانوا مشاعيل الهداية ، ومعلمي الامم ، وقادة الشعوب بالحق والعدل والعلم ، نعم يبطل عجبك فالقوم كانوا مرهفي الحس ، سليمي الذوق ، وكانت اللغة لغتهم ، وهم أعلم بمرامي الكلام ووقعه وتأثيره ، فلا عجب أن كانت هذه البلاغة العالية الاخاذة تأخذ بهجامع قلوبهم ، وتأطرهم على الايمان أطراً ، فاستمع اليه — أثابه الله يقول — ما أظفح هذا المنظر ! ما أشد هوله ! ما أعظم روعته ! ماء ينهمر من آفاق السماء انهماراً ، وأرض تتفجر عيوناً خواراً فتفيض مدراراً ، ماء ثجاج ، يصير بخراً ذا أمواج ، خفيت من تحته الارض بجبالها ، وخفيت من فوقه السماء بشمسها وكواكبها وكانت عليه هذه السفينة كما كان عرش الله على الماء في بدء التكوين ، كأن ملك الله الارضي قد انحصر فيها ، فتخيل أنك ناظر اليها كما صورها لك التنزيل ، تفكر فيما يثول اليه أمر هذا الخطيب الجليل ، واستمع لما بينه به الذكر الحكيم ، أوجز





عبارة وأبلغها تأثيراً ، جعلت أعظم مافي العالم كأن لم يكن شيئاً مذكوراً إلى أن يقول: قرر علماء البلاغة الفنية ان هذه الآية أبلغ آية في الكتاب العزيز أحاطت بالبلاغة من جميع جوانبها وأرجائها اللفظية والمعنوية التي وضعت لفلسفتها الفنون الثلاثة : المعاني والبيان والبديع

وإن مثل هذا التفاضل بين الآيات الذي يقتضيه الحال والمقام لا ينافي بلوغ كل آية في موضعها وموضوعها درجة الإعجاز ، ولا يعد من التفاوت المعهود في كلام أشهر البلغاء كأبي تمام والمتنبي وكذا غيرها من شعراء الجاهلية ومن بعدهم في الدرجات الثلاث العليا والسفلى وما بينهما، فأياته كلها في الدرجة العليا المعجزة للبشر، وإن كان لبعضها مزية على بعض كما تراه في تكرار القصة الواحدة من هذه القصص ، وقد بسطناه في تفسير آية التحدي « بعشر سور مثله مقتريات » من هذه السورة

مثال ذلك ما نراه من بلاغة هذه الآية في باب العبرة المقصودة بالذات من سياق هذه القصص كلها ، وهو فوق ما ذكرناه من نكت الفنون فيها، ويبيانه أن الله قد أنذر الظالمين وأوعدهم الهلاك في آيات كثيرة - ومنهم مكذبو الرسل عليهم السلام - كلها معجزة في بلاغتها ، ولكنك ترى في هذه الآية من تأثير تقبيح الظلم والوعيد عليه نوعاً لا تجده في غيرها، لأن حادثة الطوفان أكبر ما حدث في الارض من مظاهر سيخط الله تعالى على الظالمين ، وقد علم من أول القصة أنها عقاب للظالمين بيد أن إعادته في هذه الآية عقب تصوير حادثة الطوفان بارزة في أشد مظاهر هولها ، وإشعار القلوب عظمة الجبار العزيز الحكيم في الفصل فيها بما تتلاقى فيه نهايتها بيدايتها والتعبير عن هذه النهاية بالدعاء على الظالمين بالبعد والطرده الذي يحتمل عدة معان مذمومة شرها الطرد من رحمة الله تعالى يمثل لك هؤلاء الظالمين من قوم نوح بصورة تمثل من الخزي واللعن والرجس لا ترى مثله في أمثالهم من أقوام الانبياء على ما تراه في التعبير عنها بالعبارات الرائعة في البلاغة



وعلو الأسلوب ، واحداثها الرعب في القلوب الخ ثم عقد فصلا بل فصولا في نهاية القصة كان أحدها للكلام على مافي الآية من بلاغة اصطلاحية ، وإن من يقرأ العبارتين يتجلى له الفرق بين البلاغتين ، هنا يشعر بأسلوب يهز أريحته ، ويملك عليه وجدانه ، يأخذ النفس من أقطارها ، وهناك تشغله العبارة والاصطلاحات الفنية عن المقصود من الآية وهو التأثير والعبرة ، وبذا تعرف مبالغ أثر القرآن في نفوس العرب

وعلى الجملة لقد كتب السيد عدة كراسات في قصة نوح تصالح أن تكون رسالة وحدها ، ولا سيما الفصل الذي عقده لبيان غضب الله على عباده وعقابهم ببعض ظلمهم وفسوقهم في الدنيا دع ما ختم به سورة هود من عقد خلاصة وافية لها ، وهي سنة انغرد بها المرحوم السيد وحده دون باقي المفسرين ، فقد جرت عادته أن يعقد خلاصة لكل سورة يبين فيها مجمل ما اشتملت عليه من الاحكام والحكم والسنن الالهية في الافراد والامم بأسلوب لا يتيسر لغيره

ومن مزايا هذا التفسير تحقيق الحق في مسألة الهم من سورة يوسف في قوله تعالى ( ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ) وهنا ترى في كتب التفسير خلطا وخطبا وحشوا من الاسرائيليات تنافي الذوق والعقل والشرع واللغة وترى السيد يجرد قلمه لدحض كل هذه الاقوال ، ويبين الحق فيها بيانا شافيا تطمئن إليه النفس كما جلى القصة للناس جلاء ظهرت فيه وجوه العبرة منها وتقاه من كل مادسته الاسرائيليات فيها ولذلك اقترح عليه الكثيرون من الافاضل طبع سورة يوسف على حدة وقد فعل — رحمه الله — وسيراهم الناس قريبا إن شاء الله ، ولولا خوف الاطالة لنقلت إلى القراء نموذجا من تحقيقاته في سورة يوسف ليروا كيف يدرك المتأخر مالا يدرك المتقدم ، ولا سيما في كتاب الله الذي لا يتناهى إعجازه ، رحم الله السيد وأحسن عزاء الامة العربية والعالم الاسلامي فيه



## نعي فقيد الاسلام والمسلمين

السيد الامام محمد رشيد رضا منشي المنار رضى الله عنه

ننعي إلى الاسلام والمسلمين ، إمام أئمة المفسرين المتقدمين منهم والمتأخرين  
غير منازع ، وأحدق الأئمة المحققين السابقين منهم واللاحقين غير مدافع ، زعيم  
أهل السنة العالمين العاملين ، وأنفذ بصيرة ، وأرسخهم عقيدة ، وألد خصوم  
البدعة وأبطشهم بها يداً وأثبتهم على قتالها قدما ، علم الهداية الخفاق ، وصوتها  
الرنان في الآفاق ، المتفاني في تحرير الشعوب الاسلامية لا من البدع والخرافات  
والاوهام والضلالات حسب ، بل منها ومن أغلال الاستعباد وقيود الاستبداد ،  
وأخلص المخلصين للاسلام والمسلمين ، وعمدة الداعين إلى هدي الرسول الامين  
محمد ﷺ السيد الامام محمد رشيد رضا رضى الله عنه وأرضاه وجعل جنة النعيم  
مستقره ومثواه آمين

اختاره الحي الباقي لجواره حوالي منتصف الساعة الثانية من مساء الخميس  
الثالث والعشرين من جمادى الاولى سنة ١٣٥٤ هـ الموافق الثاني والعشرين من  
أغسطس سنة ١٩٣٥ ونعاه من عرف وقاته من أهله وأصدقائه إلى من لم يعرفها  
منهم في القاهرة والاقاليم المصرية والاقطار الاخرى ونعوه إلى الصحف ونعاه  
محط الاذاعة اللاسلكية بالقاهرة في منتصف الساعة الثامنة مساء إلى من يبلغه  
صوته من سكان المعمور، وصدرت الصحف هنا وهناك ناعية باكية مؤبنة مؤرخة،  
وارتجت أنحاء القاهرة بهذا النعي وأقضت المضاجع فيها وانساب المعزون إلى دار  
المنار عدد ١٤ بشارع الانشا جنوبي وزارة المعارف مساء الخميس يوم الوفاة  
وصبيحة الجمعة التالية له حتى غصت بهم ساحة الدار والطريق الفسيحة أمامها .





وفي تمام الساعة العاشرة حمل النعش أبناء الفقيد في الهداية والعلم وساروا به وخلفه المشيعون وفيهم أقطاب العلم والأدب في البلاد حتى مسجد السيدة الشامية بشارع نوبار حيث صلى عليه المصلون جما غفيرا ثم حمل على سيارة واستقلت جمهرة من المشيعين سيارات إلى مدفن أستاذه الإمام الشيخ محمد عبده في مقابر المجاورين حيث دفن بجواره ، وأبنة على قبره ثلاثة من الحاضرين وهم آخرون بالتأين ولكن رؤي أن الزمان والمكان لا يتسعان له فطلب الكف عنه إلى وقت آخر ، واستمر الناس يقدون على داره أياما للتعزية . وقد روعي في كل مراحل هذا الخطب العظيم من ساعة الوفاة إلى نهاية التعزية السنة الشريفة النبوية . وقد نعى الفقيد بعض الاقطار الاسلامية على المآذن وصلى عليه كثير منها صلاة الغائب ولا سيما في المساجد الثلاثة مكة المكرمة والمدينة المنورة .

وبيت المقدس

ولد السيد الامام رضي الله عنه في جمادى الاولى سنة ١٢٨٢ هـ الموافق ١ أكتوبر سنة ١٨٦٥ م في قرية تسمى القلمون على شاطئ البحر الابيض المتوسط من جبل لبنان تبعد عن مدينة طرابلس الشام زهاء ثلاثة أميال حين كان جميع أهل هذه القرية من السادة الاشراف المتواتري النسب وقد اشتهروا إلى شرف النسب بشرف الحسب وحسن السيرة ويمتاز بيته الكريم فيهم بأنه بيت علم وارشاد وتقى ورياسة ، وبأنه معقد رجاء ذوي الحاجات ، ومحط رجال العلماء والادباء والحكام والعظماء ، ولذلك نشأ السيد الامام رضي الله عنه عالي النفس ، كبير الهمة ، محبا للعلم والتقوى والصلاح ، ضاربا في هذا وذاك بسهام صائبات . تعلم في كتاب القرية قراءة القرآن الكريم والخط وقواعد الحساب الاربع ثم أدخل المدرسة الرشيدية بمدنتهم طرابلس الشام وكان التدريس فيها باللغة التركية فأقام فيها سنة ثم انصرف عنها ودخل المدرسة الوطنية الاسلامية التي كان



يديرها أحد الساعين لتأسيسها أستاذ العلامة الشيخ حسين الجسر الازهري رحمه الله ، ولما لم تقبل الحكومة العثمانية أن تعدها من المدارس الدينية التي يعفى طلابها من الخدمة العسكرية ألغيت وتفرق طلابها ، فذهب بعضهم إلى مدارس بيروت المختلفة وانقطع بعضهم لطلب العلم في المدارس الدينية في طرابلس والفقيد منهم ، فخب في طلب العلوم الدينية والعربية والعقلية ووضع وتلقى على أقطابها وهم مشايخه حسين الجسر ومحمود نشابة وعبدالقني الرافعي هناك ، ولأزم أستاذ الشيخ حسين الجسر دهرآ طويلا حتى أتم دراسته وبرع في العلم والشعر والكتابة وكان في إبان طلبه العلم منصرفا إلى عبادة ربه داعيا إلى الإصلاح حتى علا في بلاده ذكره وضافت به حريتها المحنوقة وميدان العلم والإصلاح فيها ، فهم بالاتصال بالسيد جمال الدين الافغاني حكيم الشرق الاول ولم يوفق فقدم مصر وفي اليوم التالي لقدمه اتصل بالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده حكيم الشرق الثاني وبقي ملازما له يأخذ عنه ما كان عنده وعند أستاذه من العلم والحكمة ووجوه الإصلاح للديني والاجتماعي والسياسي وأصدر أول عدد من مجلة المنار في العشر الاخير من شوال سنة ١٣١٥ هـ - مارس سنة ١٨٩٧ م وأخذ ينشر فيه ما عنده وعند أستاذه من علم وحكمة وهدى وإصلاح ويشد بذلك وبالكتابة في الصحف اليومية أزر أستاذه الامام في دعوته حتى اختاره الله لجواره وبقي هو وحده في الميدان بعد ذلك دهرآ طويلا وفيأ لأستاذه ولدعوته حتى اختاره الله هو الآخر لجواره رضي الله عنهم وأرضاهم بعد أن أصدر من مجلدات المنار أربعاً وثلاثين مجلدة وجزءاً من الخامسة والثلاثين وعدة كتب من إنشائه وعدة كتب من إنشاء غيره من المصلحين

توفي السيد الامام أسبغ الله عليه شآبيب الرحمة والرضوان عن نحو اثنتين وخمسين سنة هجرية أو نحو سبعين سنة ميلادية قضاهما إلا قليلا منها وهي



سنوات الطفولة في دراسة العلم ونشره بالكلام وبالكتابة لاسيما العلم بالكتاب والسنة وهدايتها وأحكامها وأسرارها وفي رياضة النفس على العمل بها وعلى التحلي بالخلق الكريم الذي كان عليه جده الاعظم محمد رسول الله ﷺ وفي الدعوة إلى سبيل الله وإلى الاصلاح وفي محاربة أعداء الدين ورد الشبهات عنه حتى بلغ في كل هؤلاء الذروة والغارب وأصبح منقطع النظير لا يشق له في ميدان من ميادينها غبار ولا يدرك له فيها شأو

وإن أعجب شيء فمعجزي العظيم لآماله الكبار في إعزاز الاسلام والمسلمين التي لم يحمد لها لمب ولم يهمد لها جمر والتي شغلته العمر كله وأنهكت قواه وأقامت العالم الاسلامي وأفعدته

وكان أكبر همه رضي الله عنه مصروفا إلى رد المسلمين إلى أصل دينهم وهو الكتاب والسنة وإلى تحريرهم من رق البدع والخرافات وحمايتهم من عقارب الفتن والشبهات وسل من أجل ذلك حساميه لسانه وقلمه وكلاهما أحده من الآخر وما زال يرمي البدع والخرافات والمشكلات والشبهات حتى أصاب منها الكلى والمفاصل وكاد يجهز عليها لانحراف المسلمين بها عن الدين ولأن هذا الانحراف أصل بلائهم وذلهم واستعبادهم . وما كان رضي الله عنه يقنع بهذا — وفي هذا وحده الكفاية — بل كان يسعى ويجاهد ويشارك في تحرير الشعوب الاسلامية من الاستبداد قولا وكتابة وعملا

ومن أجل هذا وذاك هجر وطنه الشام إلى مصر وسافر إلى الاقطار الاسلامية الشاسعة الهند والعراق وتركيا أوروبا وبلاد العرب بل وإلى أوروبا نفسها لدعوة علماء الاسلام وملوكه وأمرائه وزعمائه لما يعتقد أنه الحق ولمشاركته من كان على شاكلة منهم في السعي والجهاد لاهياء الاسلام والمسلمين ومن أجل هذا وذاك كان رضي الله عنه مقتبلا كل الاغتياب بالملك



العربية السعودية لأنها متوجهة حكومة وشعباً للعمل بالكتاب والسنة في الشؤون الدينية والدنيوية معاً متصرفة كل الانصراف عن المنكرات والبدع والخرافات وهو ما يريد أن يوجه العالم الاسلامي كله إليه ويصرفه عنه ولأنها تقيم الدلائل الحسي العملي في هذا العصر المادي الطاغى على امكان حياة الامم حكومات وشعوباً بالكتاب والسنة حياة منزلية اجتماعية سياسية سعيدة وبذلك يثبت ما يدعو اليه من أن القرآن الكريم وما يوافق روحه من السنة الصحيحة أصل لسعادة البشر في الدنيا كما أنه أصل لسعادتهم في الآخرة ، وكان لا يدخر جهداً ولا وقتاً في تأييد هذه المماكة السعودية السعيدة ومحاربة خصومها بلسانه وقلمه وبمساعيه الحميدة

ومن أجل هذا وذاك كان يحب آل سعود أعزهم الله وأيدهم بروح من عنده حباً جما ويقعد للفرص التي يتمكن فيها من الاتصال بهم والافضاء اليهم بكل ما عنده من وجوه الاصلاح كل مرصد ويفترصها ولا يدع واحدة منها تفوته ومن أجل هذا وذاك كان حريصاً كل الحرص على أن يحتفي بتكريم سمو الامير سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية حين مروره بالديار المصرية عائداً من أوروبا إلى وطنه العزيز ويمضي معه أكثر أوقاته ويختلي به ليفضي إليه بما يجيش في صدره من وجوه الاصلاح

وكان الفقيد تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جناته مصاباً في آخر أيام حياته بعلة تعرف في الطب الحديث « بضغط الدم » وكان يعلم علم اليقين أن خير وقاية تتقي بها أخطار هذه العلة اجتناب الاعمال العقلية والجسدية وكان مهتداً بفتسكها به وقد جاءه نذيرها وكشر له عن نابه وألقى عليه إنذاراً مفزعاً وهو نوبة قاسية من نوباتها وحذره الطبيب شرها وأشهد أني سألته في الاسابيع الاخيرة من حياته غير مرة عن صحته





سؤال محب مشفق يعرف هو مقاصده وأنه لا يخشى شيئاً خشية فقدته فكنت أفهم منه أنه يجد في جسمه كاه فتوراً وضعفاً وكان ذلك يقع من نفسي أسوأ وقع وما كان يخفى على السيد الامام رضي الله عنه وهو حكيم من أرجح الحكماء عقلاً وأبعدهم نظراً أنه يستهدف بالمتاعب العقلية والجسدية للخطر الاكبر وهو الموت الفجائي النقص المضاجع الاحياء ، ولكن إيمانه الصادق الراسخ بالله سبحانه وتعالى — وما أصدق إيمانه وأرسخه — القائل وقوله الحق (قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وتعطشه الشديد الدائم إلى بذور بذور الاصلاح وتعهدها دائماً بمداينة أهل الاصلاح وولوعه الشديد بتأييد آل سعود كل هذا دفعه إلى بذل جهوده العقلية والجسدية بسخاء في الحفاوة بالامير سعود وفي مدينته إياه شؤون الاصلاح حين مروره بالديار المصرية عائداً إلى وطنه العزيز ، ولم يستطع سمو الامير أعزه الله وأيد ملك والده بنصره المبين ولا بعض من معه أن يحملوا السيد الامام رضي الله عنه على القصد في الجهود التي بذلها على النحو الآتي :

استقبل سمو الامير على رصيف الميناء في الاسكندرية في منتصف الساعة الخامسة من مساء الاثنين الثاني عشر من أغسطس سنة ١٩٣٥ ساعة قدومه مصر من أوروبا ثم بات في الاسكندرية ورافق سمو الامير منها إلى بنها يوم الثلاثاء ١٣ منه وحضر فيها الحفلة التي أقامها لسمو الامير الكاتب البليغ والخطيب المصقع الاستاذ الجليل محمد توفيق دياب صاحب الجهاد ثم عاد إلى القاهرة واستقبله في محطتها في أواخر الساعة الحادية عشرة من مساء الاثنين التاسع عشر من أغسطس وكان المحط ساعتئذ غاصاً بالمستقبلين حتى لم يبق فيه موضع لقدم وانغمس السيد الامام في هذه الجموع المحتشدة مكرها وقد قال من رآه إنه تعب كثيراً وما كادت عين سمو الامير حفظه الله تقع عليه حتى أخذه من يده وسار به ولكن



الزحام غلبهما على أمرهما وحال بينهما وفي هذا ما لا يخفى من التعب والضرر اللذين تعرض لهما السيد الامام رحمه الله

وفي يوم الثلاثاء العشرين من أغسطس أخذ سمو الامير يستقبل المهتئين فسارع السيد الامام إلى تهنئته وتغدى معه ثم حضر الحفلة التي أقامها حضرة صاحب السعادة محمد طلعت حرب باشا لسمو الامير ودعا فيها سموه لزيارة دار المنار ففضل باجابته الدعوة وزارها يوم الاربعاء ٢١ منه ، وكان السيد حريصا الحرص كله على أن يخلو بسمو الامير ساعة يفضي اليه فيها بأشياء في نفسه من شؤون الإصلاح فلم تتيسر له هذه الخلوة في دار المنار فاتفق هو وسموه فيها على أن تكون هذه الخلوة في « الذهبية » التي يقيم فيها سمو الامير في فجر يوم الخميس ٢٢ منه وهو يوم سفر الامير وعلى أن يرسل اليه سيارة تنقله من دار المنار إلى الذهبية وكان الفجر يومئذ على الساعة الرابعة صباحا لإدقيقتين ، فجاءته السيارة رحمه الله قبيل الفجر وهو يتنفل ثم استقلها إلى الذهبية وكان فيها مع سمو الامير الدكتور فؤاد سلطان عضو مجلس الادارة المنتدب بـذلك مصر والسيد محمد الغنيمي التفتازاني شيخ السادة الخلوتية التفتازانية ثم حضر بعده الاستاذ الجليل محمد توفيق دياب صاحب الجهاد ، فاخلى فيها السيد بالامير ساعة أفضى إليه فيها بما أراد وحينئذ استراح فؤاده وطابت نفسه وقرت عينه ولكنه أبي أن يقتصر في الحفاوة بالامير على هذا القدر المضني لأمثاله وهو في مثل حاله ولم ينم أكثر ليلة الخميس وعزم أن يودع سمو الامير في السويس ولم يقبل رجاءه ولا رجاء بعض من معه في إعفائه من هذا العناء وذهب إلى السويس في سيارة مع الذاهبين وما أشق السفر بالسيارات ، فأقل ما فيه من مشقة أن أبقى الراكب في السيارة قاعداً في وضع واحد لا يمكنه تغييره طول الطريق وما أطولها ، ووقف على الرصيف يودع سمو الامير حيث أقفلت السفينة التي تنقله وعاد أدراجه بالسيارة



إلى القاهرة من غير أن يلوي على شيء في السويس وذلك لأعمال بدار المنار  
لا بد من إنجازها

وبينما هو عائد يجتاز طريق السويس إلى القاهرة بالسيارة مع رفيقه وهما  
ابراهيم أدهم بك زوج حمة سمو الامير فيصل بن جلالة الملك عبد العزيز سعود  
وهو تركي لا يحسن العربية وزكي أفندي محمد ثنيان شقيق حرم سمو الامير وهو  
شاب يافع وهو منصرف إلى تلاوة القرآن الكريم في المصحف كعادته في  
أواخر أيام حياته كلما خلا من عمل أو كلام نافع ، إذ شعر وهو في السيارة  
بدوار فاستوقفها ونزل منها وقاء ثم ركبها وسارت الهوينى واستأذن زميله أن  
يضطجع واضطجع وظنه رفيقه نائما فتركا وقبيل أن يدركوا مصر الجديدة  
أرادا تنبيهه فإذا به جثة هامدة ، فسارعا به إلى مركز الاسعاف بمصر الجديدة  
وهناك ثبت أنه رضي الله عنه قضى نحبه ، فأحضر إلى داره وكان من أمر النعي  
والتشيع والدفن والتأبين والتعزية ما يثناه في صدر هذا المقال

\*\*\*

وبعد فهل مات السيد الامام محمد رشيد رضا صاحب المنار حقا ؟ نعم مات  
إذ فارق روحه الطاهر جسده الشريف فأودع القبر هذا الجسد العزيز أما الروح  
فبقي معنا وسيبقى ما بقيت هذه الدنيا إن شاء الله تعالى ، بقي روحه الطاهر  
متلا لثا باسما في أكثر من أربعين مجلدة من مجلدات المنار وغيره من مؤلفاته  
وفيا اختاره وقام على طبعه وتصحيحه بنفسه من مؤلفات غيره الاحياء منهم  
والاموات وفي اخوانه وأبنائه الذين اقتبسوا من علمه واهتدوا بهديه وفي سيرته  
التي نسج فيها على منوال الصحابة والتابعين والسلف الصالح رضي الله عنه  
وعنهم أجمعين





فمن مجموع هذه الثروة التي تركها يمكن إن شاء الله تعالى أن يبقى المنار حياً يمثل السيد الامام رضي الله عنه ولو بعض التمثيل وينشر ولو بصيصاً من النور الذي بعثه السيد رحمه الله إلى مشارق الارض ومغاربها ويستمد حياته ومادته من هذا المجموع ، والنية معقودة إن شاء الله على اصداره واستمراره

\*\*\*

هذا ما وسعه المقام الآن من نعي السيد الامام رضي الله عنه وإن لهذا اليوم ما بعده وإن لنا لعوداً على بدء ، أحسن الله عزاء آل رضا وعزاء اخوانه وأبنائه وعزاء الاسلام والعالم الاسلامي فيه وأغدق عليه ما هو ان شاء الله تعالى أهل له من سحائب رحمته ورضوانه وجعله ( مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا )

عبد الله أمين

« قلم التحرير » كتب حضرة العالم الاديب الكبير كلمته هذه من أكثر من ستة أشهر لتنشر في المنار ، وها قد صدق قوله الحسن وصدر المنار بعد استيفاء المعاملات الرسمية لاصداره ، والله نسأل أن يوفقنا للاستمرار في خدمة أثر فقيدنا وفقيد الاسلام والمسلمين



# كلمة الاستاذ علي بت باشا

## وزير المعارف

### في مهرجان الاصلاح الاجتماعي

أقامت « رابطة الاصلاح الاجتماعي » مساء يوم الجمعة ٨ ذي القعدة مهرجانها في دار جمعية الشبان المسلمين برئاسة سعادة وزير المعارف الاستاذ محمد علي علوبة باشا ، وبعد تلاوة آيات من القرآن الحكيم تقدم فضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف دراز فشكر بالنيابة عن جمعية الشبان المسلمين رابطة الاصلاح الاجتماعي عملاء ، وانتهز فرصة وجود سعادة الاستاذ محمد علي علوبة باشا وزير المعارف فشكر له حرصه على ترقية الشباب لانهم عماد الاصلاح ، وقال إن أس الاصلاح هو الخلق والدين ، ولا يصلح الشباب إلا بالخلق والدين ، وطلب من الوزير الجليل أن يجعل نظم التعليم مؤسسة على الدين والخلق ، ولا يتم إصلاح الا اذا تقرر الدين مادة أساسية في جميع مراحل التعليم ، وتمنى للوزارة النهوض على أساس الخلق والدين فوق سعادة الاستاذ محمد علي علوبة باشا وألقى الكلمة التالية :

اخواني : سادتي :

لم أجد فرقا بين اليوم والامس ، ولا أعرف لي وصفا ، لا اني محمد علي من قبل ومن بعد ، أضيف إلي اليوم تكليف في عنقي أرجو الله أن يوفقني للنهوض به ، ولقد دلتني التجارب والتاريخ قبل الاسلام وبعده على أنه لم ترق أمة بلا دين ، ولا فائدة من وطنية بلا دين ولا دين بلا وطنية

سادتي : صدق الشاعر الجاهلي الحكيم في قصيدته الخالدة إذ يقول :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهلهم سادوا

والبيت لا يبتنى إلا على عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

ما أصدق هذا القول على الامم والجماعات ، وما أصدق على الافراد أيضا ،

نعم على الافراد .



ولا عجب في ذلك ، فكما أن الأمم لا سبيل إلى نجاحها واستقرار أمورها إذا اختلط فيها الخابل بالنابل ، وتنوسيت كفاية المستنيرين ، وكرامة الأكرمين ، فكذلك الأفراد .

لا سبيل إلى أسعادهم إذا سادت فيهم أحط غرائزهم فخذلت أسمى مواهبهم العقل سيد الملكات ، والخلق الفاضل سبيل السعادة ، فها وحدهما الجديران بأن يسودا ويهيمنوا على الإنسان كما يجب أن يهيمن أشرف القوم ومفكرهم على عامتهم وسوادهم .

ولا سبيل إلى استقرار الأمور في نصابها إذا اختلط الأمر وترك الخبل على الغارب ، واستسلم كل إنسان لأهوائه ونزعاته ، وتركها تستبد بخلقها وتطغى على عقله ، فإن مآل ذلك الخسران المحقق والبوار الذي لا شك فيه .  
أيها السادة :

اعلمكم تذكرون حكمة الرسول عليه صلوات الله وسلامه حين عاد من غزوة بدر الكبرى فقال لصحابته قولته المأثورة « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » يعني من جهاد الغزو إلى جهاد النفس ومغالبة أهوائها ، وكبح جماحها الثائر وإنما أذكركم بهذا لا بين لكم الحافز القوي الذي يحفزنا إلى تقديم هذا الواجب — واجب الإصلاح وتقوم الأخلاق — على كل واجب آخر وما ذلك المهرجان الذي أقمناه بالأمس في مؤتمر الشباب الأخلاقي لنصرة الخلق الفاضل القويم ، ولا هذا المهرجان الحاشد الذي نقيم اليوم للاخذ بناصر الإصلاح والمصلحين . الا مثلين من أمثلتنا التي أخذنا بها نفوسنا لنفنع أمتنا وتسديد خطواتها في طريق السعادة الحقيقية والخير العميم .  
أيها السادة :

ان الإصلاح الاجتماعي غايتنا التي طوينا فيها أمانينا ، وعلقنا عليها كل مانسعى إلى تحقيقه في أسعاد الأمة وإبلاغها أعلى درجات العزة والرفعة ، وان الدعاية للأخلاق الفاضلة هي أهدى سبيل يصل بنا إلى تلك الغاية المنشودة التي تعلقت بها آمالنا ووقفت عليها جهودنا .



على أن الطرق المؤدية إلى ذلك المقصد الشريف ، وتلك الغاية الموجودة .  
 لتختلف وإن كانت لا تتناقض ، والوسائل التي يتوصل بها المصلحون والدعاة-  
 إلى الاخلاق لتتعدد وإن كانت تجتمع آخر الامر وتألف تحت راية واحدة .  
 فما أجدر الدعاة إلى الاخلاق والمصلحين أن يجتمعوا في أول الطريق صفا إلى صف .  
 ماداموا يعلمون علم اليقين أنهم متلاقون ومجتمعون آخر الامر في الغاية والهدف  
 لقد نشطت في هذه الايام جماعات من الشباب الناهض بروجون لأغراض  
 اصلاحية شريفة بوسائل شريفة ، وأخذت تعقد اجتماعاتها في مختلف الاندية ،  
 وتلقي خطبها في شتى المنابر ، وتنشر آراءها على صفحات الصحف ، وقد انتفت  
 الجمهور لها ، وأنصت لقولها . فأوشكت هذه الجماعات المتباينة أن تتبوأ مقاعدها  
 اللائقة بشرف أغراضها ، وتبل مقاصدها ، ولقد ظلت أتبع أخبار تلك الجماعات  
 بعين الرضا ، مكنأ لها في أعماق قلبي أكبر الترحيب ، غير ضان عايتها بكل ما أملك  
 من جهد ، رغبة في تشجيعها وتقويتها ، مردداً قول شاعر انكيزي ساغه الاديب  
 كامل كيلاني في شعر عربي :

قطرات المياه منها محيط      وصفار الحصى تكون أرضا  
 ودقيقاتنا تؤلف جيلا      بعد جيل في اثره يتقضى  
 وقليل الجنان والحب مما      يجعل الارض جنة الخلد خفضا

ثم جعلت أنعم النظر وأطيل التأمل في هذه الجماعات المتشعبة التي اختلفت  
 أسماؤها وأنصارها ، واتفقت أغراضها ووسائلها ، فوجدت أن لا مندوحة من  
 تضافر هذه القوة المشتتة ، وتجميع تلك الروابط المتعددة لتنضوي جميعها تحت لواء  
 واحد ، فيتكون منها اتحاد قوي يوحد طريقها ويلائم بين خطاها ، ويرسم لها أعلام  
 الطريق وسواد فتمضي على اسم الله راشدة موفقة إلى الخير

ولست أبغي بذلك أن تتفرق هذه الجماعات ثم تندمج في هيئة واحدة باسم  
 واحد ، فان هذا الاندماج يحد من نشاطها الفردي ، ويقتصر من عزيمتها ، ولكنني  
 أريد أن يكون الاتحاد لها بمثابة الاب أو القائد الاعلى ، وتبقى هي على حالها ،  
 فلكل جماعة نظامها ، ولها استقلالها ونشاطها





وان ذلك ليدكي في هذه الجمعيات روح التقدم والنجاح بفضل ما ينشأ بينها من التنافس والتسابق ، وهما دائما أكبر دواعي النشاط والاقدام ، وأقوى مشجع على الاضطلاع بأنبيل الفروض ، وأعظم الواجبات ذلك أيها السادة رأيي وتلك هي أمنيتي ، ولست أرى هذا اليوم السعيد الذي تتحقق فيه هذه الامنية ببعيد ، وما ذلك على اخلاص الشباب بعزير أيها السادة :

ان جميع الامم التي تقدمت في طريق الحضارة والحريية أشواطا بعيدة لم تصل الى ما وصلت اليه من الرفعة ، ولم تبلغ ما بلغت من المجد الا بفضل نجاحها الاجتماعي الذي تأسس على قوى متينة من الاخلاق ، وازموا بأنظاركم نحو أية أمة من كبريات الامم تروا أن التفاضل بينها وبين غيرها في القوة والمنعة يمشي جنبا الى جنب مع التفاضل في الرقي الاجتماعي ، فاذا كانت أمنيتهما أن تهض بهذه الامة نهوضا حقا فلنا بالامم أسوة حسنة ، وما علينا الا أن نسعى لاصلاح كياننا الاجتماعي اصلاحا تقر به عين الخلق القويم

أيها السادة : ان وجوه الاصلاح الاجتماعي شتى ، وليس من هي أن أفصل القول فيها تفصيلا بعد أن أجملته فقد قام بذلك حضرات الاماثل الاعلام الذين أخذوا على عاتقهم - متفضلين أن يحاضروكم الليلة في كثير من نواحي الاصلاح الاجتماعي ، وستكون هذه البحوث القيمة مع غيرها محل تمحيص وفحص لتكون نواة للنهضة التي نسعى لتحقيقها ما وسعنا الجهد

وقد عنيت في خطابي هذا أن أوجه أنظاركم الى وجوب تنظيم جمعيات الاصلاح التي نشطت في هذه الايام ووجوب اشتراك كبار القوم في العناية بها وتشجيعها والاخذ بناصرها حتى تؤتي أكلها وترجع على الامة بأبرك الثمرات

ويسرني أن لا أختم كلمي قبل أن أشكر لحضراتكم تفضلكم باجابة دعوتنا لكم لحضور هذا المهرجان وأن أشكر حضرة الشاب النشيط سيد افندي مصطفى سكرتير رابطة الاصلاح الاجتماعي فلقد كان له أكبر الاثر في تهيئة هذا المهرجان والله أسأل أن يهبنا الرشاد في القول والعمل والسلام عليكم ورحمة الله



# بسم الله الرحمن الرحيم

## كلمة لا بد منها

رأيت أنه لا بد من إصدار « المنار » ذلك الأثر الخالد الذي دوى صوته أربعين عاماً في العالم مجاهداً في نشر الإصلاح ، ومحاربة البدع والخرافات . فتوكلت على الله وطلبت تجديد الرخصة باسم أكبر نجلي الفقيه « السيد محمد شفيع رضا » حرسه الله ، وبما أن سنته وعمله المدرسي لا يسمحان له بأن يكون رئيساً للتحرير مسئولاً تقدمت أنا لهذا

وإني أعاهد الله سبحانه وتعالى أن أبذل ما أستطيع من مالي ووقتي في هذا العمل الجليل ، وأدعو محبي فقيدنا العزيز من اخوانه وتلاميذه ومريديه إلى شد أزري وارشادي ومعاضدني كل بما يدخل في طاقته والله ولي التوفيق ويرى القراء أن فقيدنا رضي الله عنه قد كتب أهم أبواب هذا العدد : التفسير والفتاوى فهما آخر ما خطه قلمه وسيرون في الأعداد القادمة كثيراً من مذكراته وآثاره

وإني لأشكر سعادة رجل مصر والاسلام محمد طلعت حرب باشا فانه حفظه الله قدم للمجلة مساعدة يشكر عليها

محبي الدين رضا



## الوهابيون

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>

همس في أذني بعض الحجاج المصريين ونحن في الباخرة «كوثر» في العام الماضي أثناء تأديتي فريضة الحج أن الوهابيين يمنعون الناس من الصلاة على النبي وإذا صلى أحدهم عليه أمامهم أنزلوا به عقابا شديدا . فقابلت له هذا وهم يود إذاعته بعض رجال سوء من القالين للوهابيين . فقل : بل هو عين الحقيقة وسترى الأمر بنفسك

ولما قابلت جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود في يوم ١٢ مارس الماضي لأول مرة وكان أحد العلماء يتلو على مسامعه تفسير القرآن فلما انتهى المفسر من التلاوة أخذ جلالاته في سرد طائفة من فضائل الدين الاسلامي الحنيف وكان إذا ذكر النبي ﷺ يتبع اسمه بالصلاة عليه ولا يغفل عن الصلاة عليه مرة مطلقا

وقابلت بعد ذلك حضرة العالم النجدي المشهور الشيخ عبد الله بن بليهد فقدم إلي رسالة اسمها «جامع المسالك في أحكام المناسك» وضعها في مناسك الحج توزعها الحكومة مجانا كما توزع رسالة أخرى وضعها الشيخ سليمان ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأشرف الشيخ ابن بليهد على طبعها فتصفححت الرسالة الاولى فلاحظت أن الشيخ ابن بليهد يلتزم ذكر الصلاة على النبي ﷺ في كل مرة يرد اسمه فيها فقلت له إن بعضهم بتهم الوهابيين باهمال الصلاة على النبي ﷺ ومع ذلك أراكم التزمتم إيراد الصلاة عليه في كل مرة يرد اسمه الشريف فيها بينما نرى غيركم لا يلتزم ذلك وبعضهم يضم حرف (ص) أو حروف (صلعم) فقال : إن وضع هذه الحروف قبيح والواجب أن يتبع اسم النبي بالصلاة عليه كما التزم ذلك العلماء الموثوق بهم وأورد أسماء طائفة من العلماء

(١) فصل من كتاب «رحلتى إلى الحجاز» بقلم محي الدين رضا وقد أتمت طبعه

مطبعة المنار ويطلب من مكتبتها وثمنه خمسة قروش ضاغ وعدد صفحاته ١٦٠ بقطع المنار





المتقدمين وما قالوه في هذا الباب مما لا يحضرني الآن لأتبي أكتب هذه الكلمة بعد مضي نحو ثلاثة أشهر على المقابلة

ولما قابلت جلالة الملك في قصره بمكة في يوم ١٩ مارس الماضي مع وفد الصحافة وتحدثنا مع جلالاته وكنت أطرح الأسئلة عليه . قلت لجلالاته : اتبي ألاحظ أنكم تصلون على النبي في كل مرة يرد ذكره فيها ومع ذلك نرى بعضهم يتهم الوهابيين بعدم الصلاة على النبي ، فقال جلالاته :

هذا أمر غريب جداً ، كيف لا نصلي عليه ؟ ومن الذي نحبه بعد الله أكثر من نبينا ﷺ ، فوالله إنه أحب إلينا من كل شيء ، وإنا تغار عليه وندافع عن دينه كما تغار على حريمنا وأكثر بل اننا نحب خلفاءه الراشدين ، ونحب كل خادم للإسلام ولا سيما الأئمة الأربعة ، ونحن طلاب حق نتبعه أينما وجدناه ونأخذ الصحيح في أي مذهب كان أو على يد أي عالم أتى به لا نفرق بين أحد ، وها نحن نحب تفسير ابن كثير ونعني به كثيراً وصاحبه شافعي ، وإذا نحن جئنا إلى مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه فلا نه يعني بحديث رسول الله ﷺ أكثر من غيره من الأئمة كما هو معلوم . فهل بعد ذلك يقال عنا اننا لا نصلي على النبي ﷺ وهو الذي جاء بالدين الحق الذي ندين الله به ، وتوسع جلالاته في ذلك كثيراً وكانت أمارات التأثير بادية على محياه بجلاء تام

وفي المدينة المنورة قابلت حضرة الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم أمير المدينة ولحظت أنه يلتزم الصلاة على النبي أيضاً فنوهت باتهام بعضهم للوهابيين بترك الصلاة عليه فانطلق يسفه مزاعم أولئك ويفضل القول بوجوب الصلاة على النبي ﷺ ، ومما قاله : اننا معشر الوهابيين نعتبر الصلاة والسلام عليه في الصلاة ركناً من أركان الصلاة لا تتم إلا به بينما بعض المذاهب لا يعتبرها ركناً وهذه حجة دامغة للمزاعم الباطلة

فهذه أقوال ثلاثة من أقطاب الوهابية بل هي أقوال جلالة الملك المعظم محي المملكة وحامي الجزيرة العربية كلها تقريباً ، وأكبر علماء مملكته ، وحاكم أشرف إمارة من إماراته أجمعت قولاً وكتابة على أن ما رميت به الوهابية محض افتراء وإفك وبهتان



يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ  
وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ  
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا  
يَذَرُوهَا إِلَّا أَوْلَاءُ الْأَبَابِ

المعراج

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ  
الْقَوْلَ يُسَبِّحُونَ أَكْثَرَ  
أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا  
وَأُولَئِكَ هُمُ الْوَالِدُونَ

الطبعة ١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام إن للاسلام ضوى «ومنا» كنار الطهرين

٣١ مارس سنة ١٩٣٦ م

٨ محرم سنة ١٣٥٤ هـ

## تفسير القرآن الحكيم

مفسر سلفي شريفي عظيم الشأن والجاه والجاهل

بقلم العالم السلفي الكبير  
أششيخ محمد مهجت البيطار  
جزى فيه على نهج فقيد الاسلام والعرب  
منشئ المنار

السيد محمد شيرازي

(١٠٢) ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ  
لَا تَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٣) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ  
بِعَوْمِنِينَ (١٠٤) وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ  
لِّلْعَالَمِينَ



الآية ١٠٢ إشارة إلى قوله تعالى في أول السورة ( نحن نقص عليك أحسن القصص ) وسورة يوسف ( ع . م ) قصة نبي واحد وجد في غير قومه قبل النبوة صغير السن ، وبلغ أشده واكتهل فنيء وأرسل ودعا إلى دينه وكان مملوكا ، ثم تولى إدارة الملك لقطر عظيم « وهو القطر المصري » فأحسن الإدارة والتنظيم ، وكان خير قدوة للناس في رسالته وجميع ما دخل فيه من أطوار الحياة ، وأعظمها شأنه مع أبيه وإخوته آل بيت النبوة ، فكان من الحكمة أن يجمع قصته في سورة واحدة وهي أطول قصة في القرآن افتتحت بثلاث آيات تمهيدية في ذكر القرآن وحسن قصصه ، ثم كانت إلى تمام المائة في تاريخ يوسف ، وختمت بأحدى عشرة آية في الاستدلال بها على ما أنزلها الله لأجله من إثبات رسالة خاتم النبيين ، وإعجاز كتابه ، والعبرة العامة بقصص الرسل ( ع . م ) (\*)

١٠٢ ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ أي نبأ يوسف ووالده يعقوب وإخوته وكيف رفعه الله عليهم ، ومكن له في الأرض ، وجعل له العاقبة والنصر ، والملك والحكم ، مع ما أرادوا به من السوء والهلاك ﴿ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ﴾ أي من أخبار الغيب الذي لم تشاهدوه ولم تماينوه ، ولكننا ( نوحيه إليك ) ونعرفك لنثبت به قؤادك ، ونشجع به قلبك ، وتصبر على ما نالك من الأذى من قومك في ذات الله ، وتعلم أن من قبلك من رسل الله لما صبروا على ما نالهم فيه ، وأخذوا بالعفو ، وأمروا بالمعرف ، وأعرضوا عن الجاهلين فازوا بالظفر ، وأبدوا بالنصر ، ومكنوا في البلاد ، وغلبوا على من قصدوا من أعدائهم ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ ﴾ حاضراً عندهم ولا مشاهداً ، ﴿ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ ﴾ أي اتفقت آراؤهم وصحت عزائمهم ، أو عزموا عزمًا إجماعياً لا تردد فيه ، على أن ينقوا يوسف في غيابة الجب ، وذلك مكرهم الذي قال تعالى ﴿ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ به ، ولكننا أعلمناك به وحيًا إليك ، وإنزالاً عليك ، وقد تقدم الكلام على إجماع الأمر عند قوله تعالى ( ٧١ فأجمعوا أمركم وشركاءكم ) من سورة يونس ، وعلى لفظ المكر أيضا ( ج ٣ ص ١٥٣ وج ٨ ص ٣٣ من تفسير المنار )



ثم إن من قرأ قصة هذا النبي الكريم في سفر التكوين ، وهي في الفصل أو الاصحاح ٣٧ وما بعده ، ثم تلاها في هذا الذكر الحكيم ظهر له الفرق واضحاً بين ما كان وحياً معجزاً وما كان كلاماً عادياً من قول البشر ، أو من الروايات الاسرائيلية التي جعلها نقاد الحديث ورواته مضرب المثل في الكذب وردها المحققون من المفسرين كالحافظ ابن كثير ، وكل ما ذكره القرآن من قصص الرسل فهو من أنباء الغيب الدالة على نبوة محمد ﷺ ( وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ) ( وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم ) وقال سبحانه ( وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر ) الى قوله ( وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ) الآية ، وقال ( ما كان لي من علم بالملا الأعلى إذ يختصمون ، إن يوحى إلي إلا أنا أنا نذير مبين )

أما وقد أصاب بعض الكتب الالهية ما أصابها من التحريف والتبديل ، « كالتوراة والانجيل » وحجبت أنوارها ومقاصدها عن العقول البشرية ، فمن رحمة الله بعباده أن لا يدعمهم بتخبطون في ديجور الضلالة ، ويتيهون في أودية الجهالة ، بل يحدد لهم وحيه ، ويعيد على أسماعهم قوله ، بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بل يحفظه الله تعالى بحفظه ( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ) وقال تعالى ( نزل عليك الكتاب بالحق مصدق لما بين يديه ، وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ) . فالقرآن هو المعجزة العظمى التي تدل على أن موحيه هو الله وحده وليس من قول البشر ، والدليل على ذلك أنه جاء على لسان أمي لم يتعلم الكتابة ، ولم يطالع الكتب ، ولم يذاكر العلماء ، أليس من البراهين القطعية على صدق نبوة محمد ﷺ أنه كان أمياً نشأ بين قوم أميين ، ثم أخبر بمثل ما أخبرت به الانبياء من الشؤون الغيبية دون أن يتعلم من بشر ؟ بلى . وهو كما قال تعالى في سورة هود بعد ذكر قصة نوح (ع.م) ( ١١ : ٤٩ ) تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ) وقد منع كفار قريش هذه الآية وسائر





صورتها ولم يقل أحد منهم بل كنا نعلمها ، ولما ادعى بعض المجاهدين أنه يعلمه بشر إذ رأوه يقف على قَيْن «حداد» رومي بمكة رد الله دعواهم بقوله ( لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ) من ألد فلان إذا مال عن الحق

١٠٣ ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ يقول جل ثناؤه وما أكثر مشركي قومك ولو حرصت على أن يؤمنوا فيصدقوك ويتبعوا ماجشتهم به من عند ربك ، بمصدقيك ولا متبعيك (\*) وذكر الفخر الرازي في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن كفار قريش وجماعة من اليهود طلبوا هذه القصة من رسول الله ﷺ على سبيل التعمت ، فلما ذكرها أصروا على كفرهم فنزلت هذه الآية ، وكأنه إشارة إلى ما ذكره الله تعالى في قوله ( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ) . ويرى السيد الامام أن الحكم في مثل هذه الآية عام ، وأنه من دقة القرآن في الحكم على الأمم والشعوب إذ أنه يحكم على الكثير أو الاكثر بعدم الايمان كما في الآية المتقدمة ، وقال ( وإن تطاع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ) وكقوله ( إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ) والقرآن لم يحكم على أمة بالضلال والفسق بنص عام يستغرق جميع الافراد ، بل تارة يعبر بالكثير وتارة بالاكثر ، وإذا أطلق أداة العموم يستثنى بمثل قوله في بني اسرائيل ( ثم توليتكم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون ) وقوله فيهم ( فلا يؤمنون إلا قليلا ) أو يحكم على البعض ابتداءً كما قال فيهم وفي النصارى ( منهم أمة مقتتصة ، وكثير منهم ساء ما يعملون ) فقد أثبت لبعضهم الايمان والاقتصاد أي الاعتدال في الدين ، والهداية بالحق والعدل ، وقال ( لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ) فجعل أهل العلم الذين يفهمون الدلائل والبراهين ، وأهل الايمان المخلصين الذين يتحرون الحق هم الذين

(\*) كذا قال ابن جرير والمراد من طاشوا منهم وماتوا على الشرك جحودا واستكبارا ، ومن فوائد هذا البيان إراحة قلب الرسول (ص) منهم وتوجيه دعوته الى أولى البصيرة والاستعداد



يقبلون دعوة النبي ﷺ لقوة استعدادهم. قال السيد الامام قدس الله روحه : إن القرآن يبين حقائق ما عليه الامم في عقائدها وأخلاقها وأعمالها ، يزن ذلك بالقسطاس المستقيم ، والدقة التي نراها في القرآن لم نعهد لها في كتاب عالم ولا مؤرخ ، فإذا نحن جمعنا ما حكم به على أهل الكتاب وغيرهم ، وعرضناه على علماءهم وفلاسفتهم ومؤرخيهم فإنهم يدعون بأنه لباب الحقيقة ، بل هم يصرحون بأنه لولا غلبة الضلال والفسق والكفر عليهم في عصر ظهور الاسلام لما انتشر ذلك الانتشار السريع ، ولكن وجد فينا « معشر المسلمين » من طمس هذه الزية وجعلوا كل ما ينكره القرآن من فساد الامم من قبيل هجو غير المسلمين ، وكل ما يحمده هو خاص بالمسلمين ، حتى كأنه شعر لا يقصد منه إلا مدح أناس وذم آخرين ، وبهذا ينفرون غير المسلمين من الاسلام ، وبحولون بين المسلمين وبين العبرة والاتعاظ ، وفهم الحقائق اهـ

١٠٤ ﴿ وما تسألهم ﴾ أي وما تسأل هؤلاء الذين ينكرون نبوتك يا رسول الله ﴿ عليه ﴾ أي على هذا القرآن الذي أمرت أن تدعوم اليه ، وتذكرهم به أو على ما تدعوم اليه من إخلاص العبادة لربك ، وهجر عبادة الاوثان ، وطاعة الرحمن ، وكلاهما مفهوم من السياق وإن لم يذكر ﴿ من أجر ﴾ من ثواب وجزاء منهم ، بل إنما ثوابك وأجر عملك على الله ، أي ما تسألهم على ذلك مالا ولا غيره من المنافع فيقولوا لك إنما تريد بدعائك إيانا إلى اتباعك لتنزل لك عن أموالنا إذا سألتنا ذلك ، كما أن جميع من قبلك من الرسل لم يسألوا أقوامهم أجرًا على التبليغ والهدى ، وذلك مصرح به في قصصهم من سورة هود وسورة الشعراء وغيرها ، وإذا كنت لا تسألهم ذلك ، فقد كان حقًا عليهم أن يعلموا أنك إنما تدعوم اليه اتباعًا منك لأمر ربك ، ونصيحة منك لهم ﴿ ان هو الا ذكر للعالمين ﴾ أي ما هذا الذي أرسلك به ربك إلا تذكير وموعظة لأرشاد العالمين كافة ، لا لهم خاصة ، وهو نص في عموم رسالته ﷺ



(١٠٥) وَكَائِنٌ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ  
عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٦) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ  
مُشْرِكُونَ (١٠٧) أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَنْ  
تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠٨) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو  
إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ (١٠٩) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ  
مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ  
عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا  
أَفَلَا تَعْقِلُونَ

١٠٥ ﴿وَكَائِنٌ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾  
(كائِن) بمعنى كم الخبرية وفيها لغتان فصيحتان ، كائن بوزن فاعل ، وبها قرأ  
ابن كثير ، وكأين وبها قرأ الباقر . يخبر تعالى عن غفلة أكثر الناس عن  
التفكير في آيات الله ودلائل توحيده بما خلقه سبحانه في السموات والارض فيقول  
عز وجل كم من آية في السموات والارض لله وعبرة وحجة ، وذلك كالشمس  
والقمر والنجوم ونحو ذلك من آيات السموات ، والجبال والبحار والنبات  
والاشجار وغير ذلك من آيات الارض ، يمرّون عليها معرضين عنها لا يعتبرون  
فيها وفيما دلت عليه من توحيد ربها ، وأن الالهة لا تنبغي إلا للواحد القهار  
الذي خلقها وخلق كل شيء فدبرها

قال السيد الامام في تفسيره : قد يتفكر المرء في عجائب السموات والارض  
وأسرار ما فيها من الاتقان والابداع والمنافع ، الدالة على العلم المحيط ، الحكمة





البالغة ، والنعمة السابغة ، والقدرة التامة وهو غافل عن العليم الحكيم القادر الرحيم ، الذي خلق ذلك في أبدع نظام ، وكَم من ناظر إلى صنعة بديمة لا يخطر في باله صانعها اشتغالاً بها عنه ، فالذين يشتغلون بعلم ما في السموات والأرض وهم غافلون عن خالقها ذاهلون عن ذكره ، يتمتعون عقولهم بلذة العلم ، ولكن أرواحهم تبقى محرومة من لذة الذكر ، ومعرفة الله عز وجل . فالفكر وحده وإن كان مفيداً لا تكون فائدته نافعة في الآخرة إلا بالذكر ، والذكر وإن أفاد في الدنيا والآخرة لا تكمل فائدته إلا بالفكر ، فيأطوَّب لمن جمع بين الأمرين ، فكان من الذين أوتوا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، ونجوا من عذاب النار في الآخرة ، فتلك النعمة التي لا تفضلها نعمة ( راجع ص ٢٩٩ ج ٤ من تفسير المنار ) .

قرىء ( والأرض ) بالرفع على الابتداء و ( يمرون عليها ) خبره ، وقرأ السدي ( والأرض ) بالانصب ، ويطؤون الأرض يمرون عليها ، وفي مصحف عبد الله : والأرض يمشون عليها برفع الأرض وهي قراءة تفسير ، والمراد ما يرون من آثار الأمم الهالككة ، وغير ذلك من العبر . ومن مباحث اللفظ أن ( كآين ) اسم مركب من كاف التشبيه وأي المنونة ، ولذلك جاز الوقف عليها بالنون ، لأن التنوين لما دخل في التركيب أشبه النون الأصلية ، ولهذا رسم في المصحف نونا ، ومن وقف عليها بحذفه اعتبر حكمه في الأصل وهو الحذف في الوقف ، ومميزها بجرور بمن غالباً نحو قوله تعالى ( وكآين من نبي - وكآين من آية - وكآين من دابة )

ثم قال تعالى ١٠٦ ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ قال الإمام ابن جرير : وما يقرأ أكثر هؤلاء الذين وصف عز وجل صفتهم بقوله ( وكآين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ) بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء إلا وهم به مشركون في عبادتهم الأوثان والأصنام واتخاذهم من دونه أرباباً ، وزعمهم أن له ولداً ، تعالى الله عما يقولون ، وقال الحافظ ابن كثير : من إيمانهم أنهم إذا قيل لهم من خلق السموات ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال ؟ قالوا : الله وهم مشركون به ، وكذا قال جماعة من علماء وعلماء وعقائد الضعفاء وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وفي



الصحيحين أن المشركين كانوا يقولون في تلييتهم : لبيك لا شريك لك ، إلا : شريك هو لك ، تملكه وما ملك ، وفي صحيح مسلم أنهم كانوا إذا قالوا : لبيك لا شريك لك ، قال رسول الله ﷺ « قد ، قد » أي حسب حسب لا تزيدوا على هذا ، وقال الله تعالى ( إن الشرك لظلم عظيم ) وهذا هو الشرك الاعظم . يعبد مع الله غيره كما في الصحيحين عن ابن مسعود قلت يا رسول الله : أي الذنب أعظم ؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك »

وقد سبق القول بأن القرآن يزن بالقسطاس المستقيم عقائد الناس وأعمالهم ، ويميز بين أصناف موحديهم ومشركيهم ، فلا يحكم عليهم في الدنيا حكما واحدا عاما ، ولا يجعلهم في الآخرة مستوين في منازل الكرامة أو الندامة ( أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ؟ ) ( أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء بحيامهم وبمئاتهم ؟ سواء ما يحكمون ) ، وقد تقدم كلام السيد الامام في دقة القرآن في الحكم على الامم والشعوب إذ يحكم على الكثير أو الاكثر بالشرك ، أو بعدم الايمان بالله تعالى وحده ، ومن درس تاريخ الامم السابقة واللاحقة ، ونظر في أحوال أهل الملل السماوية وغيرها ، عرف كيف طرأ الشرك على الامم ، وسرى في عباداتهم مريان السم في الدسم « وما زال الشيطان - كما قال ابن القيم - في إغاثة الالهة الكبرى - يوحى إلى عباد القبور منهم أن الدعاء عندها مستجاب » ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء بها والاقسام على الله بها ، مع أن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه ، فإذا تقرر ذلك عندهم ، نقلهم منه إلى دعائه - أي الميت - وعبادته ، وسؤاله الشفاعة من دون الله ، واتخاذ قبره وثنا تعلق عليه القناديل والستور ، ويطاف به ويستلم ويقبل ويحج إليه - ويدبح عنده ، فإذا تقرر هذا عندهم ، نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته ، واتخاذ عيدا ومنسكا ، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم قال ، وكل هذا مما علم بالاضطرار من دين الاسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله ﷺ من تحريم التوحيد ، وأن لا يعبد إلا الله ، فإذا تقرر ذلك عندهم ، نقلهم منه إلى أن



من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب العالية ، وحطهم عن منزلتهم ، وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر ، وغضب المشركون واشتأزت قلوبهم كما قال تعالى ( وإذا ذكر الله وحده اشتأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ) وصرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام ، وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين ، حتى عادوا أهل التوحيد ، ورموهم بالظلم ، ونفروا الناس عنهم ، ووالوا أهل الشرك وعظموهم ، وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ( وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ) وما ذكره هذا الإمام المحقق رحمه الله من التنقل في تعظيم الصالحين إلى عبادتهم هو حال أكثر الأمم من عرب وعجم ، في كل زمان ومكان ، طبقاً لما أخبر به الله في القرآن ( وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون )

أما التوسل الخلافي المشهور بين العلماء ، المحصور في دعاء الله وحده مع التوسل إليه بصالح عباد ، كقولهم : اللهم بجاء فلان عندك ، أو بحق فلان ، أو بحرمة ، أسألك أن تفعل كذا فهو يتوقف على السماع والنقل بمثل هذه الالفاظ ، ولم ينقل عن الصحابة والتابعين وسلف الأمة أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء ، وقد يظن بعض الناس أن دعاء التوحيد وجمانه ينكرون حرمة الرسل أو جاههم أو كرامتهم على ربهم ، في حياتهم أو بعد مماتهم . والجواب أن هذه تهمة باطلة وظن آثم ( ان بعض الظن آثم ) كيف وجاه الرسل صلوات الله عليهم ثابت بالقرآن ، قال تعالى في حق موسى « ع . م » ( وكان عند الله وجيهاً ) وقال في حق عيسى « ع . م » ( وجيهاً في الدنيا والآخرة ) فإذا كان موسى وعيسى وجيهاً عند الله عز وجل فكيف بفخر هذا العالم ، وسيد ولد آدم نبينا محمد ﷺ ؟ لا شك أن جاهه أعظم ، ولكن جاه المخلوق عند المخلوق ليس كجاهه عند الخالق ، فانه تعالى لا يشفع عنده أحد إلا بأذنه قال تعالى ( من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه ) وقال سبحانه ( ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ) والمخلوق يشفع عند المخلوق بغير إذنه ولغير من ارتضاه . وأما ما أخرجه الطبراني في الكبير والوسط وابن حبان والحاكم من حديث فاطمة بنت أسد ، والشاهد منه « بحق نبيك والانبيا الذين





من قبلي » وما رواه أحمد وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري في « من خرج من بيته الى الصلاة فقال : اللهم بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاي اليك » الحديث ، فهذان الحديثان على كونهما متكلما فيها ليس فيها إلا توسل بحق النبيين فحسب ، وحقهم هو ما فضلهم الله به على غيرهم من النبوة والرسالة ، وما خصهم به من الخصائص والمزايا ، كاجتباؤهم واصطفاؤهم ، وما وعدهم به من النصر والتمكين ، والعز والتأييد ، وقبول شفاعتهم إذا شفّعوا بعد الاذن والرضا ، فهذا توسل اليه تعالى بأفعاله ، وأفعاله سبحانه ليست من مخلوقاته ، بل هي من مقتضى أسمائه وصفاته .

فقد علمت من هذا أنه ليس الخلاف في جاه الرسل الثابت لهم عند ربهم ، وإنما الخلاف في فهم المراد من التوسل بالجاه والحرمة والحق ، وهل جملة الله سبباً شرعياً في إجابة الدعوات ؟ فإن كان المراد منه معنى يرجع إلى أفعاله تعالى وصفاته ، كاصطفاؤهم واجتباؤهم ورفع درجاتهم في الدنيا والآخرة فيه نقول : بيد أن ههنا مسألة مهمة ، وهي أن حقوق الرسل عليهم السلام وصالح الصالحين ليست من أعمال السائل التي يستحق عليها الجزاء ، ولا رابطة تربطها بإجابة سؤاله ، فإذا قال السائل أسألك بحق فلان الصالح أن تقضي لي حاجتي ، فمعنى ذلك : اقض حاجتي ليكون فلان صالحاً ، فأى مناسبة بين قضاء حاجتك وصلاحه ؟ وإذا قلت بجاه فلان اغفر لي ، كان المعنى أطلب المغفرة لكون فلان ذا جاه ، وأى ملازمة بين جاهه ومغفرة ذنبك ؟ فصلاحه أو جاهه ليس منفياً عنه لا في حياته ولا بعد مماته ولا هو محل نزاع ، ولكنه ليس من عمالك ، الذي تستفيد أنت منه وتستحق الجزاء عليه ، وإنما العامل هو الذي يجنى ثمرة عمله في الدنيا والآخرة ، قال تعالى ( من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياه طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ) وقال تعالى ( وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ) ، فلو كان التوسل بصالح الصالحين وعمل العاملين ، يفيد المتوسلين الجاهلين العاطلين عن العمل في دينهم أو دنياهم ، لكان الأمر علينا





حشر المسلمين ، ولنا كل خير من ذلك ، إذ كان يمكننا أن نقول مثلاً : اللهم  
 حقق آمالنا ، وأنلنا وحدتنا واستقلالنا ، بجاه سلفنا الصالح الذين جاهدوا في  
 سبيلك ، وابتغاء مرضاتك ، ففتحت لهم فتحاً ميبناً ، ونصرتهم نصراً عزيزاً ،  
 ربنا إننا نتوسل إليك بتوحيهم وعلومهم وأعمالهم ، أن تهب لنا من الملك  
 والسلطان ، والعلم والعرفان ، والخصارة والعمران ، مثل ما وهبت لهم ، فهل تنفيذنا  
 هذه التوسلات الدنيوية ، بجاه أسلافنا وما ملكوها من قوة وثروة ، وسعة سلطان ،  
 واستبحار عمران ، ونحن قد تداعت علينا الأمم ، فجعلتنا مغماً أو نهياً مقسماً ؟  
 كلا إنما يجب علينا أن نعمل كما عملوا لنكون لهم من الوارثين ، وهكذا شأن  
 التوسل الديني الآخروي ، فمن وفقه الله وألهمه رشده يتقي عقاب الآخرة بما  
 شرعه الله لا تقاؤه من التوبة والإيمان والأعمال الصالحة ، قرب الدارين واحد ،  
 وحكته واحدة ، لا يناقض بعضها بعضاً ، ولا يبطل بعضها بعضاً . هذا وإن القرآن الكريم  
 هو كتب السنة طافي بالادعية والاذكار التي تعبدنا الله بها ، وقد جمعت في كتب  
 خاصة ، فليت مشايخ الطرق يرشدون مريدتهم إليها ، ويقصرون أنفسهم ومريدتهم  
 عليها ، فهي المنقذة من الضلال ، والموصلة إلى ذي العزة والجلال ، لا تلك  
 التوسلات المبتدعة التي يشرعونها ويدعون الناس إليها ، ويضلون من ينكرها  
 عليهم ، وهم يعلمون أن الله تعالى قد أكمل دينه ، وأتم نعمته ( قل أنتم أعلم أم الله ؟ )

١٠٧ ﴿ أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة

وهم لا يشعرون ؟ ﴾ يقول عز من قائل : أفأمن هؤلاء الذين لا يقررون بأن الله  
 هو ربهم إلا وهم مشركون في عبادتهم إياه غيره ، أن تأتيهم غاشية من عذاب  
 الله تنفشهم من عقوبة الله ، وعذاب الله على شركهم بالله ، أو تأتيهم القيامة فجأة ،  
 وهم مقيمون على شركهم ، وكفرهم بربهم ، فيخلد الله عز وجل في ناره ، وهم  
 لا يدرون بمجيئها ، وقيامها « ابن جرير » ومعنى ( غاشية من عذاب الله ) أي  
 غائبة تنفشهم وتجلهم ، و ( هل أتاك حديث الغاشية ؟ ) كناية عن القيامة وجمعها



غواش ، وغشي « كرضي » فلان أصحابه إذا أُنْأَمَ ، وغشى الشيء الشيء إذا لحقه وغطاه ، ومنه في التنزيل غشيان الموج واليم والدخان والعذاب للناس ، وهذه الآية كقوله تعالى ( أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ، أو يأخذهم في تقلبهم فهُمْ يَمْجِزِينَ ، أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم ) وقوله ( أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ؟ أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ؟ أفأمنوا مكر الله ؟ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ، ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون ؟ ) . وقد فسر السيد الامام هذه الآيات الأربع من سورة الاعراف وقال إنها إنذار لأمة الدعوة المحمدية عربها وعجمها من عصر النور الاعظم إلى يوم القيامة لتعتبر بما نزل بقبرها ، كما ترشد إليه الرابعة منها . « قال » رحمه الله : قد كان ينبغي للمسلمين وهذا كتابهم من عند الله عز وجل أن يتقوه تعالى باتقاء كل ما قصه عليهم من ذنوب الأثم التي هلك بها من قبلهم ، وزال ملكهم ، ودالت بسببها الدولة لأعدائهم إذ بين لهم أن ذنوب الأمم لا تغفر كذنوب بعض الافراد ، وسننته فيها لا تتبدل ولا تتحول ، ولكنهم قصرُوا أولاً في تفسير أمثال هذه الآيات المبينة لهذه الحقائق ، ثم في وعظ الأمة بها ، وإنذارهم عاقبة الاعراض عنها ، وترك الاتعاظ بتدبرها ، ومن يقرأ شيئاً من تفسيرها فانما يعنى بأعرابها ، والبحث في ألفاظها ، أو جدل المذاهب فيها ، ثم إنهم يجعلون معانيها خاصة بالكافرين ، ويفسرون الكافرين بمن لا يسمون أنفسهم مسلمين ، « قال » وطالما أنكر علينا بعض أدياء العلم والدين ، أننا جعلنا الآيات التي نزلت في الكفار شاملة لأهل الاسلام والايمان ، مأفوكين عن تدبرها المراد منها ، جاهلين للسنن العامة فيها ، وكذلك كان يقول أهل الكتاب من قبلهم ، فظنوا كما ظنوا أن الله تعالى يحابي الأثم والأقوام لأجل رسالهم ، وأنه يعطيهم سعادة الدنيا والآخرة بمجاهد لا باتباعهم ، وقد راجت هذه العقائد في



المسلمين ، وكانت تجارة « باسم الدين » للدجالين الضالين المضلين ( فما ربحتم تجارتهم وما كانوا مهتدين ) اهـ

ومعنى إتيان الساعة بفتة ، بحيثها فجأة على حين غفلة ، من غير توقع ولا انتظار ، ولا إشعار ولا إنذار ، وقد تكرر هذا القول في التنزيل ، وجاء في حديث أبي هريرة من الصحيحين ، واللفظ للبخاري « ولتقوم الساعة وقد نشر الرجل ثوبها فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن قمحه ( الناقة ذات اندر ) فلا يطعمه ، ولتقوم الساعة وهو يلبط حوضه - من أظله : طلاء حجارتها بالطين أو غيره كالجص ليمسك الماء ويحفظه - فلا يستقي فيه ، ولتقوم الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلى فيه فلا يطعمها » والمعنى أنها تبغت الناس وهم منهمكون في أمور معاشهم المعتادة فلا يشعرون إلا وقد أنتهم ، وقد قال تعالى في سورة الاعراف ( ١٨٧ : ٧ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ؟ قل إنما علمها عند ربي ، لا يجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم إلا بفتة ، يسألونك كأنك حفي عنها ، قل إنما علمها عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) قال السيد الامام في تفسيرها مبينا الحكمة في إيهام أمر الساعة على الناس . وفيه إيذان بأن ما هو من شأن الرب لا يكون للعبد - أي وإن كان نبيا - فهو تعالى قد ربه ليسكون منذراً ومبشراً ، لا للاخبار عن الامور بأعيانها وأوقاتها ، والانذار إنما يناط بالاعلام بالساعة وأهوالها ، والنار وسلاسلها وأغلالها ، ولا تتم الفائدة منه إلا بإيهام وقتها ، ليخشى أهل كل زمن إتيانها فيه ، والاعلام بوقت إتيانها وتحديد تاريخها ينافي هذه الفائدة ، ثم قال : فيجب على المؤمنين أن يخافوا ذلك اليوم ، وأن يحملهم الخوف على مراقبة الله تعالى في أعمالهم فيلتزموا فيها الحق ، ويتحرروا الخير ، ويتقوا الشرور والمعاصي ، ولا يجعلوا حظهم من أمر الساعة الجدال ، والقييل والقال . اهـ كلام السيد

« قلت » ومن أراد استيفاء المباحث على الساعة أو القيامة للأفراد وللأمة





أو الدولة والعالم ، وما ورد في قرب الساعة ، والروايات في عمر الدنيا ونقدها ،  
وتفنيد كلام السيوطي في عمر الدنيا ، وتخطئة المحققين له ، وكلام الامام ابن حزم  
في جهل من حده ، ثم تحقيق ماورد في أشرط الساعة وعلاماتها والبحث في  
رواياتها ، وعلاها وإشكالاتها وتمييز ماصح من غيره . فليراجع تفسير المنار ، فقد  
أطال السيد الامام النفس في ذلك كله ، فراجعه فانك لا تظفر في غير تفسيره  
بمثله . ( ج ٩ ص ٤٦١ — ٥٠٧ )

١٠٨ ﴿ قل ﴾ يا رسول الله ﴿ هذه ﴾ الدعوة التي أدعو إليها ، والطريقة  
التي أنا عليها ، من الداء إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، دون الآلهة  
والاوثان ﴿ سبيلي ﴾ سبلي ومنهاجي ، وقال مقاتل : ديني ، والسبيل كأنطريق  
يذكر ويؤنث ﴿ أدعو ﴾ إلى الله ﴿ وحده ﴾ لا شريك له ﴿ على بصيرة ﴾ يقين ،  
والبصيرة هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل ، أدعو ﴿ أنا ﴾ ومن اتبعني ﴿  
أي ويدعو إليه أيضا من اتبعني وآمن بي وصدقني ﴾ وسبحان الله ﴿ أي تنزيها  
له وتعظيما له من أن يكون له شريك في ملكه ، أو معبود سواه في سلطانه ،  
﴿ وما أنا من المشركين ﴾ أي وأنا بريء من أهل الشرك به لست منهم ولا  
هم مني ، تعالى الله عن شركهم علوا كبيرا ( تسبح له السموات السبع والارض  
ومن فيهن ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، إنه  
كان حلما غفورا ) . دل قوله تعالى ( على بصيرة ) على مزية هذا الدين الخفيف ،  
ونهجه الذي انفرد به ، وهو أنه لم يطلب التسليم لمجرد الادعاء بحكايته ، ولكنه  
ادعى وبرهن ، وذكر مذاهب المخالفين وكر عليها بالحجة ، وخاطب العقل ،  
واستنهض الفكر ، وعرض نظام الاكوان ، وما فيها من الاحكام والاتقان  
على انظار العقول ، وطالبها بالامعان فيها لتصل بذلك إلى اليقين بصحة ما ادعاه  
ودعا اليه ( رسالة التوحيد )

نقل ناصر السنة البغوي عن عبد الله بن عباس (رض) أنه فسر قوله  
تعالى ( ومن اتبعني ) قال : يعني أصحاب محمد ﷺ كانوا على أحسن طريقة



وأقصد هداية ، معدن العلم ، وتبذ الإيمان ، وجند الرحمن ، وقال عبد الله بن مسعود : أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة ، أبرها قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، اختارهم الله لصحبة نبيه ، ولإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم على أثرهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم ، فانهم كانوا على الصراط المستقيم .

«أقول» بعد أن سمعت قول هذين الصحابيين الجليلين ، تعال فانظر ما قاله في تفسير هذه الآية أشهر المفسرين المتكلمين الفخر الرازي «روح» فقد فسر لها تفسيراً جعل به الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه من محترفي صناعة الكلام المبتدع ، والمشتغلين بعلم الاصول المستنبط المكتسب ، فافقروا وتمعجب (قال) في (ج ٥ تفسير الرازي ص ١٧٢) وهذه الآية (قل هذه سبيلي) تدل على أن حرفة الكلام وعلم الاصول ، حرفة الانبياء عليهم السلام ، وأن الله مابعثهم للخلق إلا لأجائها . «وأقول» لقد علم بالضرورة أن الانبياء عليهم السلام قد أوحى اليهم أنما الله إله واحد ، وقامت الآيات الحسية والعقلية في الآفاق وفي الانفس على أنه لا رب غيره ولا معبود سواه ، وجاءت الكتب الالهية كلها ناطقة بذلك ، وقد عرف بالاضطرار من دين الاسلام أن الصحابة والتابعين لهم باحسان ، وهم خير الأمة لم يسلكوا طريق هؤلاء المتكلمين الذين أوجبوا النظر فيما ابتدعوه ، ولم يأخذوا معرفة الله سبحانه وتوحيده مما فصبه فلاسفة اليونان . ومن دانوا ببدعتهم ، مما سموه الادلة العقلية ، والموازين الكلامية ، زاعمين أن قوانين المنطق هي القواطع العقلية ، وأن ما جاءت به الكتب ، وأخبرت به الرسل من صفات الله معدود من متشابه الكلام ، مصروف عن حقيقته . ولا شك أن أصحاب النبي ﷺ الذين هم صفوة هذه الأمة وخيارها ، المتبعون للرسول علما وعَمَلا ، كانوا يدعون إلى النظر والاستدلال والاعتبار بالآيات والبراهين والادلة التي بعث الله بها رسوله ﷺ وإلى تدبر القرآن وما فيه من البيان ، والقرآن قوله سبحانه الذي جاء فيه (أفلم يدبروا القول ؟) فأين كانت هذه المذاهب الكلامية الجدلية ، التي تضاد صريح اللغة وفقه القرآن وأساليب البيان ، وحسبك



عن انحرافها أن جمهور المتكلمين من أهلها قد فسروا كلمة التوحيد ( لا إله إلا الله ) التي هي ركن الدين وأساسه الأعظم بغير ما تدل عليه لغة وشرعا ، ومنهم الإمام الرازي في مواضع من تفسيره : فهو يفسر لفظ ( الإله ) بمعنى الخالق المدبر كما تجده في تفسير قوله تعالى ( أجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة ) ولم تكن العرب تعتقد أن آلهتها قد خنقت شيئا من العالم ، أو تدبر أمرا من أموره ، بل كانوا يعرفون ويعترفون بأن الله تعالى وحده الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور كما ثبت ذلك بنص القرآن العظيم قل تعالى ( وثئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ) وقال عزت كلمته ( قل من يرزقكم من السماء والارض ، أمن يملك السمع والابصار ، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ؟ )

أما آلهتهم فقد كانوا يتقربون بعبادتهم إلى فاطر السموات والارض كما أخبر تعالى عنهم بقوله ( ويمبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ) وقال ( والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ) فجاءت كلمة التوحيد تلفظ ما يافكون ، وتنفي ما يثبتون ، فكلمة « لا إله » تنفي لكل معبود في الوجود ، وإبطال لعبادته ، وكلمة « إلا الله » إثبات لعبادة المعبود بحق وحده ( ذلك بأن الله هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ) إذا فمنا كلمة « إله » في لغة العرب والقرآن هو المعبود بحق أو بغير حق ولفظ الجلالة « الله » علم على المعبود بحق وهو الله عز وجل وحده ، وبين تعالى أن من تفرد بالابجاد والامداد ، هو الذي يستحق العبادة دون غيره ، وأقام عليهم الحجة بما أقروه من توحيد الربوبية ، على ما أنكروه من توحيد الألوهية بعد أن فرغت من بيان ما في تلك العجيبة الجريئة التي جاءت في تفسير الفخر عن الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أوجه نظر القارىء الكريم إلى ما كتبه السيد الامام عليه الرحمة والرضوان في الامام الرازي وتفسيره السكبير وعلماء الكلام ومذاهبهم المتناقضة ، ثم رجوعهم عنها ، وهي القول الفصل في الموضوع ، ههنا الخصة بما يلي : وأدع استيفاءها بطولها لمن يحب وهي في [ ج ١١ ص





# حفلة تأبين فقيد الاسلام

المرحوم السيد محمد رشيد رضا

في يوم الخميس ١٠ محرم سنة ١٣٥٥

قالت جريد « الجهاد » القراء في عددها الصادر بتاريخ ١١ المحرم : —  
 اقيمت بعد ظهر أمس بدار جمعية الشبان المسلمين حفلة تأبين المرحوم فقيد  
 الاسلام السيد محمد رشيد رضا برئاسة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر  
 الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع لازهر . وحضر الحفلة جمهور غفير من  
 رجال العلم والفضل والادب واعتذر صاحب السمو الامير عمر طوسون لتغيبه  
 وصاحب المعالي وزير المعارف لارتباطه بموعد آخر وصاحب السعادة محافظ  
 العاصمة وغيرهم . وتلقت اللجنة برفقيات وخطابات كثيرة من الاقطار العربية  
 وافتتحت الحفلة بآي الذكر الحكيم ووقف فضيلة الاستاذ الاكبر وألقى  
 كلمة الافتتاح وتعاقب بعده الخطباء على الترتيب الآتي :

الاستاذ حبيب جاماني : حياة السيد محمد رشيد رضا

فضيلة الاستاذ الشيخ علي سرور الزنكلوني : السيد رشيد المفسر ( ألقاها

فضيلة الشيخ محمود شلتوت )

الاستاذ محمد لطفي جمعه : السيد رشيد رضا واتصاله بالمستشرقين

الاستاذ الحاج محمد الهراوي : قصيدة

فضيلة الشيخ محمد المدوي : السيد رشيد رضا والاصلاح الديني

الاستاذ عبد السميع البطل : السيد رشيد رضا ومدرسة دار الدعوة والارشاد

الدكتور عبد الرحمن شهنير : الرابطة الشرقية

الاستاذ عبد الله عفيفي : قصيدة

كلمة الاسرة : ألقاها نجل الفقيد





# خطبة الاستاذ الاكبر

شيخ الجامع الازهر



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى ( يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الالباب )

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان الحكمة هي الفقه في القرآن . وروي ابن جرير عن ابن عباس انها معرفة القرآن : ناسخه ومنسوخه ، ومتشابهه ومحكمه ، ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه — وهي تفصيل للرواية الاولى عنه . وروي عن مجاهد انها الاصابة في القول والعمل ، وعن غيره انها معرفة ما في القرآن من عجائب وأسرار .

ونحن نضم هذه الروايات بعضها إلى بعض فنقول : ان الحكمة هي الفقه في القرآن ، وذلك لا يكون إلا بمعرفة ناسخه ومنسوخه ، ومتشابهه ومحكمه ، وحلاله وحرامه ، وما اشتمل عليه من عجائب وأسرار ، وعبر وعظات ، ونظم صالحة للاجتماع ، ومعان سامية للاخلاق ، وهذا محتاج إلى وسائل أولها العقل الراجح والبصيرة النافذة ، ودقة الملاحظة ، وسعة الاطلاع على سنة الرسول صلوات الله عليه ، وأفضية الصحابة رضوان الله عليهم ، وآراء الساف الصالح ، ومذاهب الأئمة ، ومعرفة أحوال المجتمع الانساني ، وأسرار تطوره ، وخصائص البيئات المختلفة ، بروح المصور السابقة ، ونتيجة ذلك كله هي الاصابة في القول والعمل أو خاق يوجه الارادة إلى أعمال الخير طبقاً للعلم الصحيح فيصدر العمل نافعاً موصلاً إلى سعادة الدنيا والآخرة

وقد كان فقيد الاسلام السيد محمد رشيد رضا محيطاً بعلم القرآن ، وقد



رزقه الله عقلاً راجحاً في فهمه ومعرفة أسرارهِ وحكمه ، واسع الاطلاع على السنة وأفضية الصحابة وآراء العلماء ، عارفاً بأحوال المجتمع ، والادوار التي مر بها التاريخ الاسلامي . وكان شديد الاحاطة بما في العصر الذي يعيش فيه ، خبيراً بأحوال المسلمين في الاقطار الاسلامية ، ملماً بما في العالم من بحوث جديدة وبما يحدث من الممارك بين العلماء وأهل الاديان . فهو من أوتي الحكمة ورزق الخير الكثير وقد كان — بلا شبهة — أكبر المدافعين عن قواعد الاسلام وأشدهم غيرة عليها ، قفى في خدمة دينه وجاهد في الله حق جهاده وأوذى في سبيل مبادئه وصبر وصابر إلى أن توفي رحمة الله عليه

كان خصوم السيد رشيد ثلاث فرق : فريق الملحد الذين لا يؤمنون بدين . وفريق أهل الكتاب من غير المسلمين . وفريق من المسلمين الذين جحدوا على أقوال الناس وابتعدوا عن معرفة السنن وعن هدي القرآن ، وقد جاهد هذه الفرق جميعها ، ولقي من الفريق الثالث أشد العنت وأشد المقاومة ، لان يده سلاحاً من أشد الاسلحة خطراً أمام العامة هو سلاح اتهام السيد رشيد بالكفر والزندقة في الاسلام ، والدليل بيد هذا الفريق قائم وهو عدم موافقة السيد رشيد لمن يعتقدهم العامة ويقدمونهم ، وكيف يكون السيد رشيد على الحق مع أن فلانا وفلانا لا يقولون قوله ولا يعملون عمله ؟ وإقناع هؤلاء يحتاج الى زمن طويل أطول من عمر السيد رشيد، لكن الحق الذي يؤيد السيد رشيداً أقوى من هؤلاء جميعهم لذلك ظفر السيد رشيد وكثر أنصاره ومريدوه بعد أن كان قليل الانصار قليل المريرين ، ووجد في الاوساط العلمية من اتخذ مبدأه وقفى على طريقه ، ووجد في العامة من تفتحت أعينهم للنور، وزالت عن قلوبهم غشاوات الجهل والباطل

ولم يكن للسيد رشيد مبدأ جديد في الاسلام حتى يصح أن يقال ان له مذهبا ينسب اليه ، بل كان مبدؤه مبدأ جميع علماء السلف : التحاكم إلى الله ورسوله عملاً بقوله تعالى ( فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ) وكان مبدؤه مبدأ علماء السلف أيضا تخير الاحكام المناسبة للزمن والنافعة للامم في مواضع الاجتهاد وكان مبدؤه مبدأ علماء السلف في كل ما يتعلق بذات الاله سبحانه وصفاته وكل



ما يتعلق باليوم الآخر ، فهو رجل سني سلفي يكره التقليد وينادي بالاجتهاد ،  
ويراه فرضا على نفسه وعلى كل من قدر عليه  
من الحق ان نعد السيد رشيدا من المجددين وان نعد من المجاهدين في احياء  
السنة . ومن الحق ان تعتبر بما كان للسيد رشيد من اناة وصبر في البحث  
والقراءة والتأليف والفتوى والمناظرة ومن الحق ان نذكر ان هذه لاعمال الصالحة  
التي قام بها احتسابا وأداها في سبيل الله  
فرحمة الله على السيد رشيد وجزاه الله عن الاسلام احسن ما يجازى به  
رجل وهب حياته للعالم والدين

## تعزيت ملك العربية السعوديت

### وولى عهده

الرياض في ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٣٥٤

حكومة الحجاز :

المنار محمد شفيع رضا — القاهرة

اسأله تعالى ان يحسن عزاءنا وعزاءكم بفقيد الاسلام والمسلمين وان  
يعوضه عنا بجناته ورضوانه وان يعوضنا في الله من يقوم مقامه في خدمة  
هذا الدين والدعوة الى الله .

عبد العزيز

...

جسده في ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٣٥٤

المنار محمد شفيع رضا — القاهرة

ان مصابنا ومصاب الاسلام بفقد والدكم السيد رشيد عظيم جدا  
اسأله تعالى ان يتغمده برحمته وان يعوضنا عنه خيرا بفقده .





# قصيدة الاستاذ الهراوي

أي صرح هوى وحصن حصين  
وكتاب في الرشدي يهدي إلى الر  
مات رب المنار والامر لله ،  
عاش لله مخلصا في جهاد  
ومضي باليراع يدعو إلى الخ  
لا يطيق السكون في حرج الدي  
لم يدع راحة له أي حين  
طاح بالقلب حين أودي به الجهم  
فقد العلم منه أي كتاب  
شعر الناس باحتياج إليه

ولواء طوته ابدي المنون  
شد وسيف مهند مسنون  
وما مات غير داع أمين  
نصف قرن مبارك في القرون  
ق وبالقلب واللسان المبين  
ن ويمضي يرح أهل السكون  
وهو في حاجة لها كل حين  
د وجهد الغيور نار انون  
فقد الدين فيه أي معين  
بعد ان لم يروا له من قرين

\*\*\*

عز عن صاحب المنار حي الش  
بلاة في ذرى طرابلس قرت  
بلدة انجبت إلى الشرق قوما  
غاب عنها منارها فتوارت  
بعثني جماعة الفضل في مه  
بعثني لاندب العلم والدين  
بعثني وساقها حسن ظن  
ولعمري لو لم تكن بعثني  
فلقد كان بي حفيا وكانت  
عقدت بيننا المودة قربى

ام وعز الاحساب في « قلمون »  
من طرابلس غرة في الجبين  
هم نجوم الهدى وأسد العرب  
من جوى الحزن بالسحاب الجون  
مر رسول القريض في التأين  
وابكيهما بدمع سخين  
في ضعيف ينوء تحت الظنون  
لرأني بالدمع غير ضنين  
بيننا عروة الوداد المتين<sup>(١)</sup>  
زاد توثيقها توالي السنين

« • »

(١) كان الفقيد يلقب الناظم بشاعر الشرق والاسلام



شيتنى . مواقف الحزن ترى . ورناء الحدين اثر الحدين  
ووقوفى . على . الربوع الخوالى . وبكائي المسكان بعد المبكين  
والتباى على أيامى تخت . عن حماها يد السكفيل المعين  
ويتامى تذوق فى العيش بؤساً . بعد خفض من الزمان وابن  
برح الحزن والجوى بقوادي . قرح الدمع والبكا من جنوني  
من مجيرى من بعدها ومقبلي . من وقوفى بطرف بك حزين

« \* »

ياغريب الديار لم . تفقد الاله . ل فما مصر غير أم حنون  
جشتها عالما وطالب علم . فتلفتك فى الحشى والعيون  
ياربيب الامام فى مجلس العلم . وفى موطن الهدى واليقين  
كنت أوفى بنيه حفظا لذكرا . . وابقى على الوفاء المصون  
لم تفارقه فى الحياة وميتا . لم تفارقه فى الثرى السكون  
فسلام عليك حيا وميتا . وسلام على الامام الدفين

الحاج محمد الهراوى



## خطبة الاستاذ الشيخ علي سرور الزنكلوني

~~~~~

أيها السادة :

كان لصاحب المنار منذ عرفته مصر وجود قوي ، وشخصية بارزة ،  
امتد صوتها الى الأقطار العربية والأقطار الشرقية بل كان لهذا الصوت أثر فى  
بعض الأمم التى ليست شرقية ولا اسلامية ، لأن الإيجات التى تعرض لها  
صاحب المنار وإن تصنت بالشرق وبالاسلام اتصالا قويا ، فإنها متصلة بالغرب



١ أيضاً ، لأن عيون الغرب لا تنام عن المسلمين ولا عن الشرقيين  
اشتغل صاحب المنار طوال حياته بقضية الاسلام وقضية العرب ، وبما  
يتصل بالاسلام من امر الخلافة ، وبما يتصل بالعرب من هجمات الاستعمار ،  
ولم تحرم مصر من زعامة السياسة في ظروفها المختلفة فكان بهذا كله لمصر ، وللشرق  
والاسلام والمسلمين .

أيها السادة :

ليس في وسعي أن أوفي صاحب المنار حقه في مثل هذا الموقف ، ولكي  
أردت أن أساهم مع المساهمين ، وفاء لحق الصداقة ، وتقديراً لتلك الشخصية  
النادرة .

عرفت المغفور له صاحب المنار منذ ابتداء الاستاذ الامام — رضوان الله عليه  
— دروسه في الازهر ، ولم يكن صاحب المنار في ذلك العهد يدهشنا  
وجوده العلمي ، لأن طلاب الشيخ جميعاً كانوا يعترفون من بحر واحد ، وأن  
تفاوتت مراتب جهودهم واستعدادهم

ولم يكن لصاحب المنار ميزة في ذلك الوقت سوى أنه كان يكتب ما يلقى  
أستاذنا علينا ، وقد كان مثل هذا العمل في نظر الازهرين عملاً غادياً لا أثراً  
لموهبة خاصة ، ولا لنبوغ ممتاز

تأخينا وتأخى معنا السيد رشيد بحكم صلة الدرس العامة ، وبقدرها ،  
وكان هذا لا يمنع بعضنا من توجيه النفس الى السيد رشيد ، توجيهها خاصاً كلما  
ظهر السيد رشيد بموهبة ممتازة ، قد يطول الحديث عنها ، حتى هو جرم الاستاذ  
الامام في آرائه الدينية والاجتماعية ، مهاجمة عنيفة ، من كل القوى التي توفرت  
لها عوامل الكيد والاستبداد ، وإذا بالسيد رشيد يبرز في وجوده القوي المناصرة  
الحق ، والوقوف في وجه هذه الجيوش الحاشدة ؛ فاخذ السيد رشيد يواجه  
خصوم الشيخ بقلمه ولسانه ، وينشر في مجلة المنار آراء استاذة واتجاهاته ، وما كان  
يتلقاه من دروس شيخه و كان يعلق عليها بمباراة من عنده تدل على كمال الفهم  
واستقلال الفكر ، وكذلك كان أمر السيد رشيد في كل ما كان يكتب من مقالات



وما يدون من ابحاث لأن أسلوب الاستاذ الامام خلق ممتازا ، وسبق ممتازا مات الاستاذ الامام ، والسيد رشيد في نفوس اخوان الشيخ وابنائهم منزلة سامية ومع سمو هذه المنزلة لم يخطر ببال أحد أن السيد رشيدا سيرت الشيخ فيما كان يدعو اليه ، وانه سير تفع صوته في بلاد الاسلام النائية ، وليكن ابي الله سبحانه الا أن يسير السيد رشيد بخطى واسعة الى الامام وقدر الله لصوته وهو على منبر مناره أن يدوي في بلاد الاسلام والشرق ، ولم يعتر جهاده في سبيل العلم والدين بعد وفاة شيخه مع كثرة المخاطر شيء من الوهن والفتور

ولا جرم ان هذه الميزة هبة الهية لا تمنح الا للقليل من افذاذ الرجال ، لان حياة الاستاذ الامام كانت قوية في مصر وفي غير مصر

لهذا كان بقاء صاحب المنار ثلاثين عاما بعد وفاة شيخه في وجوده القوى يصد عادية جيوش الباطل التي لم تفر ولم تم ، دليلا ملموسا على أنه من الافذاذ الذين يخل التاريخ بالكثير من أمثالهم ولعل أكبر شاهد على ذلك ان مهمة السيد رشيد العلمية لم يستطع الى الان ان يقوم بها فرد أو جماعة على كثرة العلماء والكاتبين

أيها السادة :

ان لصاحب المنار — رحمة الله عليه — من حياته العلمية آثارا كثيرة وجوانب قوية ، لا يستطيع ان أوفيا حقها .

وقد اردت ان تكون كلمتي فيه الآن مقصورة على علمه بالقرآن وبأسرار القرآن ، لأن صلتني به لم تتأكد الا من درس التفسير على الاستاذ الامام ، ولأن آثاره في تفسير القرآن هي اقوى الآثار واظهرها في الاقناع والالزام ، ولأن مفسر القرآن اذا أخلص وصدق استحق الثناء الخالد لأنه بصدقه واخلاصه يشرف عقله على الوجود ، وعلي ما وراء الوجود ، وقد تحقق ذلك للسيد رشيد رحمة الله عليه

فإن القرآن كتاب الوجود ، وكتاب ما وراء الوجود ، وكل من جهله واتجه الى غيره مهما كان قويا في نظر نفسه ، وفي نظر أمثاله ، فحياته غير صادقة وسعاداته لا ضمان لها ، ولا استقرار ، بل المسلمون اذا أخلصوا للقرآن فهم اعملا





وعرضوا جواهره السماوية على عقول البشر ، فقد ملكوا كل شيء ، لان العقول من مادة السماء ، ومادة السماء اذا تركزت في الارض محال ان تطفى عليها شهوات النفس الترابية .

والانسان اذا أهمل فهم القرآن والتبصر فيه وقد أحاط بما في الارض علما ، فليس من الله ولا من الوجود الحق في شيء فحصر العقل في جزء صغير من الوجود يستخدمه في حياته المادية لا يصور الحقيقة ولا يحقق معنى الحياة والسعادة ، اذا الحياة الانسانية مسبوقة بوجود لانهائي وبعدها وجود لانهائي . ومن حق العقل أن يفكر طويلا في ذلك الوجود اللانهائي ، هذا لا يتم الا بفهم القرآن ، ومن أجل ذلك يقول الله تعالى : ( يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ) ويقول : ( وان الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون )

أيها السادة

ان لاهل القرآن وأنصاره مرتبتين : المرتبة الاولى — في فهم معانيه الصحيحة وامتزاجها بالعقل والروح والنفس ، فيشع منها النور والقوة بحيث يعملان عملهما في الوجود بقدر الطاقة البشرية ، وهذه هي مرتبة النبي ﷺ ومرتبة الصديقين من أصحابه وأئمة الى يوم الدين

المرتبة الثانية — هي فهم معانيه فهما صحيحا ، وامتزاجها بالعقل ، وبالنفس في أغلب أحوالها ، وهذه هي مرتبة كبار العلماء والصالحين مع ما في كل من المرتبتين من المنازل المتفاوتة بتفاوت الاستعداد ، وصفاء الجوهر

واني أومن ايمانا قويا بأن السيد رشيد قد نمت له المرتبة الثانية في أرقى منازلها وارجو ان يكون له نصيب من المرتبة الاولى

أيها السادة

اذا علمتم ان القرآن هو كلام الله ، وانه كتاب الوجود تعلمون مقدار ما بذلته وتبذله العقول في استخراج جواهره منذ أنزل الى اليوم ، ولا يتم للعقل استقصاء كل ما فيه وتحديد به بالدقة مادام الوجود قائما ، ولكن العقل



يأخذ منه ما يستكمل به وجوده ، وطمأننته في الدنيا والآخرة على قدر فهمه  
ومن هنا تعددت آراء المفسرين لاختلاف وجوه النظر ، ولذلك كان  
تفسير القرآن في أكثر العصور فن علم وجدل ، مع أن التفسير يجب أن يكون  
زبدا مستخلصا بالمقايس العامة الصحيحة المستمدة من الفن والبحث ، كما أن  
التفسير الذي لا يعتمد على مقاييس العلم والعقل ، لا يسمى على الحقيقة تفسيراً  
للقرآن الكريم . ويجب أن يدخل في مقاييس العلم ما يستظهره العقل من أسرار  
الوجود بالدلائل القاطعة ، وليس من التفسير مظاهر الحياة التي تعتمد على نزعات  
النفس في إنسانيتها الضعيفة المضطربة

وهذا هو ما وفق إليه الراحل الكريم في تفسيره للقرآن ، وفي علاجه  
للأبحاث الدينية ، فقلما كان يتعرض السيد رشيد لبحث لا يتصل بالقرآن اتصالاً  
جوهرياً إلا يقدر ما تمس إليه الحاجة

وكثيراً ما كان يتعرض لأقوال المفسرين ، وما يستدلون به ، ولكنه لم يترك  
القرآن في المكان الذي تتجاذبه فيه الآراء كما فعل أكثر المفسرين ، بل كان  
في تفسيره يستخلص القرآن للعقل مؤيداً للغة وبالشواهد والأدلة من ظواهر  
الوجود .

وأول من فتح هذا الطريق وعبد الاستاذ الامام رضي الله عنه ، وقد سار  
فيه تلميذه صاحب الذكري شوطاً بعيداً انتهى فيه الى آخر سورة يوسف عليه  
الصلاة والسلام ، وقد فسر من القرآن على هذا المنوال الحكيم اثني عشر جزءاً  
وهي أصعب أجزاء القرآن فهما واستنباطا وكان آخر آية فسرهما من سورة  
يوسف ومات على أثر تفسيره لما قوله تعالى : « رب قد آتيتني من الملك  
وعلمتني من تأويل الاحاديث ، فاطر السموات والارض ، أنت ولي في الدنيا  
والآخرة ، توفي مسلماً ، والحقني بالصالحين »

ولقد فاجأته المنية . والمؤمنون الصادقون ، والعلماء المحضون المستعدون  
لفهم القرآن على وجهه ، وتذوق حلاوته وتلمس بعض وجوه اعجازه هم وخدامهم  
الذين يقدرون خسارة العلم والاسلام الفادحة بفقد صاحب المنار



وان كانت هذه هي منزلة السيد رشيد من تفسير القرآن الحكيم ، وهو غاية الغايات والشغل الشاغل لأملاً الأعلی في السماء وفي الأرض ، فإذا ينبغي آل السيد رشيد له وأصحابه له من المنزلة الرفيعة ؟

رحم الله السيد رشيدا بقدر ما ضحي وبذله من جهوده ، وأفاض عليه من كرمه الواسع ما يفيضه على المحصلين من حفظه كتابه ، واسكنه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا

## فقيد الاسلام السيد محمد رشيد رضا

ومدرسة دار الدعوة والارشاد

كلمة الاستاذ عبد السميع البطل في حفلة تأبين الفقيد

إن طريقة الوعظ والارشاد ، ليست من الصناعات التي يستطيع كل انسان أن يزاوئها في مهارة وحذق ، ولكنها ملكة من الملكات التي قد يحسنها قليل العلم ، ويتخلف عنها أكثر الناس تحصيلاً ، وقد نشأ فقيدنا ونشأ معه الميل إلى وعظ العامة وارشادهم ، بما كان يتصدي له أولاً في صدر شبابه من قراءة الدروس في قرية الفلمون من أعمال طرابلس الشام ، ثم بما كان من انشائه المنار ثانياً ، واستهدافه بالإجابة عن الاسئلة التي كانت تتحدر اليه كالسيل من الشرق والغرب ، في المسائل المتنوعة ، وجراسته وصراحته في تقديم النصيحة للملوك والامراء وكبار الحكام والعلماء — إحياء لسنة السلف — مما جعله أندي العلماء صوتاً ، وأبعد المصلحين صيتاً ، وأسير المجددين ذكراً ، وأكثر الكتاب أثراً .

وقد قويت رغبته في أن يتولى هو نفسه تربية طائفة من الشبان يصنعون على عينه ، يقوم بعضهم بواجب الدعوة الى الاسلام ، ورد شبهات المعارضين عليه ، متسلحين بما يتسلح به أمثالهم من رجال الدعوة في الامم الراقية ، من الجمع بين علوم الدين ، وما لا بد منه من علوم الدنيا ، ويقوم الفريق الآخر بارشاد المسلمين إلى ما هو أجدي عليهم في دينهم ودنياهم ، مع خبرة بحال العصر ، وما ينبغي أن يكون عليه المرشد من مسايرة الزمن .

كانت هذه أمنية تعتلج بنفسه منذ كان يتردد وهو طالب بطرابلس على مكتبة





المبشرين الامريكيين ، يقرأ جريدتهم الدينية ، وبعض كتبهم ورسائلهم ، ويجادل قسوسهم .

وفي سنة ١٣٢٧ كان الخلاف بين الترك والعرب مستمرا ، فرأى أن يشخص إلى الاستانة ليقضي على عقارب الفتنة ، متوسلا إلى ذلك باتصاله بكبار الدولة هناك ، وبما كان يكتبه من مقالات في جريدة اقدم وجريدة كلمة الحق ، ثم في جريدة الحضارة ، ولشيء آخر شغفه حبا ، وكان مستهما به صبا ، وهو تأليف جماعة لانشاء مدرسة للدعوة والارشاد .

اختر إمامنا أن تكون الاستانة مشرق ذلك النور ، ومبعث هذا الاصلاح ، وقبلة التأليف بين العرب والترك ، ليكون المشروع بنجوة عن مهاب السياسة . وأعاصير الفتنة ، وفي الاستانة سلاح عاما كاملا ، يروج للمشروع ، ويقنع به كبار المسئولين ، فلقني أولا ترحيبا به ومعاضدة ، وتقرر أن تكفله وزارة الاوقاف ، وتألفت الجماعة من كبار رجال الدولة للعمل واعداده في تفصيل واسع لا محل لبيانها هنا ، ولكن بعض الايدي كانت تعمل من وراء الستار للنهي عنه ، والنأي عنه ، فقضي عليه وهو جنين ، وعاد فقيدنا من الاستانة — كما كان يعود منها كل مصلح — ساخطا ناقما ، ولما لم يئس من روح الله ، فجدد المسعى هنا بمصر ، وألف الجماعة ، واختير أعضاؤها من أهل الفضل والغيرة ، ووضع لها قانون من أدق القوانين ، وعلم بالأمير الخديوي عباس الثاني فأكبره ، وأظهر رضاه عنه ، وارتياحه له وأمدته الاوقاف ببلغ من المال ووعدت بمضاعفته ، وتبرع له كثيرون من ذوي الاربحية ، وأجمع العقلاء على استحسانه — بله وجوبه — وفتحت المدرسة أبوابها في ١٢ من ربيع الاول سنة ١٣٣٠ تيمنا بعيد ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان السيد وكيل الجماعة وناظر المدرسة — بل كان عقلها المفكر ، وروحها المدير .

نجحت الفكرة اذا بمصر ، ولقيت معاضدة الامير واستحسان العقلاء ، ولكنها لم تنج من ارجاف المرجفين ، وأذى المفسدين ، فابس لها بعض الجرائد جلد النمر وترصدها دعاة النصرانية ، وأنذرت القناصل دولها عاقبتها ، ان مدرسة أنشئت بمصر سيكون لها من الاثر في تنبيه المسلمين ما سيكون خطره عظيما .



كانت المدرسة ملتقى الطلبة من جميع الاجناس الاسلامية ، التقى فيها المصري والمغربي ، والشامي والفلسطيني والعراقي ، والتركي والداغستاني ، والهندي والجاوي والسومطري . وكان يفضل الاجنبي لحاجة بلاده إلى المتعلمين أكثر .

كان الطلبة فريقين ، فريق منتسب يحضر من الدروس ما يشاء ، ويتخلف عما يشاء ، وفريق يحتم عليه حضور الدروس كلها ، ويبيت في المدرسة مكفي الحاجة من مطعم ومسكن وكتب ، وكان لهذا الفريق نظام خاص يسلكه في معيشتة وتربيته ، منه أن يستيقظ طلبته قبل الفجر للصلاة وتدبر القرآن ويؤدوا الفرائض كلها في جماعة خلف امام واحد ، ويكثروا من التنفل في الصلاة والصوم ويروضوا نفوسهم على آداب الاسلام بقوة فيتخرجون من فعل خلاف الأولى ، ومن ثبت عليه الكذب كان الطرد جزاءه ، وكانت المدرسة في قصر شريف باشا بالمنيل على ضفة النيل الغربية عند قنطرة الملك الصالح فكان الطلبة لا يتزلون الى مصر الا باذن كتابي من الفقيه ، بعد ان يذكر طالب التزول كتابة سبب نزوله وموعد غدوه ورواحه وكان يقول ( ان الذي يكثر الاختلاف الى القاهرة تبطل الثقة به ) لذلك كنا نظل الاسبوع والاسابيع لا تغادر جزيرة الروضة وكان المجتمع بالامس غيره اليوم ، بل فوق ذلك كان يكلف كل طالب ان يحمل في جيبه مذكرة يدون فيها اعماله حسنها وسيئها ليكون على نفسه حسبا ولاجل ذلك كان لابد ان يجتاز الطالب سنة تسمى السنة التمهيدية لاختبار أخلاقه وتزويده بالعلم والعمل وكانت اللغة الفصحى هي لغة التخاطب كما كانت لغة الدرس ، ومن وصاياه ان التزام الفصحى يوما واحدا خير من قراءة كتاب مضي على انشاء المدرسة ثلاث سنين اقليل ، ثم اشتعلت نار الحرب الكبرى وكانت ايامها النحسات ، فابعد الخديوي او كان لها عضدا ، فغلت الايدي الى الأعناق وجدت الأكف عن العطاء واعطت الاوقاف قليلا واكدت ثم شحت بالصباية واعتذرت عندئذ اضطرت المدرسة ان تكتفى بمن فيها من الطلبة ولم تقبل جديدا وأجأتها الضرورة الملحة اخيرا ألا تلتزم ما كانت تلتزمه من تحفة المآكل والكتب وظلت تجاهد هذا العنت في ولاء وضعف سنتين ، ثم ودعت الحياة تاركة آثارا حسنا وميراثا عظيما ممن تربوا في احضانها وعملوا جهدهم على



تحقيق بعض اغراضها ، وما أسف العقلاء على شيء اسفهم على حرمان الامم الاسلامية من ثمرات هذه المدرسة التي كانت موضع الرجاء في انتياش المسلمين مما نهو كوا فيه من مفاسد البدع والخرافات والتقاليد والعادات حتى لقد كان استاذنا يقول ( لو انني كتبت تاريخاً للمدرسة لكان فضيحة للامة كلها ) يريد ان الامة الاسلامية المنبثة في الشرق والغرب لم تحسن احتضان هذا العمل المجيد ، والاضطلاح به في حين تنفق الامم الاخرى ملايين الجنيهات على جماعات الدعاة بسخاء واغتراب .

ولعلكم تحبون أن تعرفوا عمل السيد في المدرسة ، ولقد كان فيها معقد الأمل ، وقطب الرحي والقبلة التي تولى الوجوه شطرها ، كان لدروسه أعظم الأثر في إصلاح النفوس ، وتثقيف الألسن ، كان يدرس التفسير ، فتتجلى روح الإلهام الصادق ، والبصيرة النيرة ويدرس الحديث والتوحيد والكلام وحكم التشريع ، وتعلم الانشاء ، ويمرن على الخطابة الارتجالية ، ويصبرنا بالاساليب الصحيحة وما يهجنها من دخیل أو سوقى أو مبذول أو وضع للمفرادات في غير موضعها ، وقرأ قدرأ من البلاغة ، وكنا نطالع أمامه في مقالات العروة الوثقى ، ولشد ما كانت دهشتنا أول العهد به حين سمعنا لأول مرة لغة فصحية عالية الاسلوب مرتجلة وغوصا على معاني المفردات في دقة ، والتقاطا لثرائد البلاغة في دروس التفسير وغيرها واستخراجا لكوامن العبر من ثنايا الآيات البينات ، بل لشد ما كان عجبنا حين كنا نراه يبكي في المواضع التي تستدر الدمع ، والذين حاشروا السيد يعلمون أنه كان أسيفا رقيق القلب ، سخيا بالدمع ، سخاءه بالمال ، وكان يقول ، وكتب في (المنار والازهر) انه كان يقرأ ورد سحر أول اشتغاله بالتصوف فاذا مر بيت المنهجية (١)

ودموع العين تسابقني تجرى من جفونك كاللجج

ولم يبك ، تركه ولم يقرأه لئلا يكون كاذبا فيخجل أمام ربه

كان السيد مغرما بالاستطراد الطويل في غير ملل ، فبينا يكون موضوع

(١) وكنت أود في هذا المقام لو يقسم الوقت للكلام على السيد رشيد الأديب

والسيد رشيد الصوفي الناسك



لدرس تفسيراً أو حديثاً ، أو حكمة تشريع مثلاً ، إذا به يحتال للدخول في باب السياسة أو الاجتماع أو تاريخ الفرق ومذاهبها المبتدعين أو ما أشبه ذلك ، فنخرج من الاستطراد بكليات عظيمة تزيدنا بصيرة وثقافة .

وقد لا تعجب هذه الطريقة رجال التربية الحديثة ويرونها معيبة بالمدرس مضية للطلاب ، ولكن هذا يرجع فيما أرى إلى عدة أسباب ، فهو قد قرأ كتب المتقدمين ، وتغلغل فيها ، وهضمها ، وتمثلت فيه ، فتأثر بها ، وتلك كانت طريقتهم ، وكان ريان من العلم شعبان ، فكانت تتدافع المسائل في صدره فلا يستطيع لها كبحاً ، وسبب ثالث كان أحياناً ما يصرح به ، وهو انه قليل الثقة بدوام المدرسة ويخشى أن يفوته شيء يريد أن يقوله فلا تواتيه الفرصة ، لذلك كان يتلمس الاستطراد تلمساً ، وأذكر أن بعض اخواتنا من كبار علماء الازهر حملته مرة هذه الاستطرادات في مجلس معه — وكانت شفت كثيراً مما بنفسه — على أن يطلب اليه أن يمقد درساً خاصاً في بيته ليلة في الاسبوع ففعل ، وكان يحضره كثير من أذكاء علماء الازهر وأساتذة المدارس العالية والثانوية والابتدائية .

ثم لعلمكم تحبون أن تقفوا على شيء من حال طلبتها بعد أن آل أمرها الى ما عرفتم ، وأقول لكم ان منهم المشتغل بالتربية والتعليم ، والمشتغل بالصحافة والتحرير ، والمشتغل بالوعظ والارشاد ، والمتصل بالملوك ورجال السياسة وحسبكم أن تعلموا أن الناموس الخاص لجلالة ابن سعود أحدهم ، بل حسبكم أن تعلموا أن زعيم القدس الكبير السيد أمين الحسيني ممن يتشرفون بالانتساب اليها .

هذه لمحة خاطفة عن تلك المدرسة التي أصبحت كمنشئها في ذمة التاريخ وهناك مدرسة الفقيد الكبير التي عكس مناره من أشعتها على العالم أربعين سنة ، تبوأ فيها بحق مقام الامامة ، وخلف ميراثاً عظيماً يشرع للناس طرق الاصلاح ، ويبصرهم بكتاب الله وهدى رسوله وقد أصبح له تلاميذ ومريدون يعدون بالالوف وصار له حزب قوى في الازهر ممن قبضوا قبضة من أثره ، وإنه لميراث





عظيم ، شغل فقيدنا حياته في جمعه وادخاره وترك ذرية ضعافا لاسند لهم إلا الله  
 وإخلاصه ، وأقول وإلا لم يحز في النفس ، إن المار قلوب مات بموت صاحبه أو  
 كاد ، ولا غرو فقد كان السيد أمة وحده في علمه ، ودينه ، وكفايته وصبره ، والثقة  
 به ، والبذل في سبيل الله ، ولسنا بواجدين من يملأ بعض فراغه في بعض ما  
 شهد له ، وفي العالم الاسلامي علماء يعدم الناس بالالوف ، فيالله للامة الفقيرة .  
 ولقد كان السيد جديدا دائما ، غير آسن ، كما كان يتجلى ذلك في كتاباته  
 وأحاديثه ، اتصلت به ما يناهز ربع قرن اتصالا وثيقا ، طالبا وصديقا . فما أذكر  
 أني وردت شرعته يوما - على كثرة الورود - الا وصدرت مجديدا في العلم أو  
 الأدب أو شئون الحياة ، أحسن الله عزاء الامة فيه ، وبوآه منازل الكرامة مع  
 الذين انعم عليهم من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك  
 رفيقا .





# خطبة الاستاذ

محمد احمد العدوي

الاستاذ بكلية أصول الدين

-----

بسم الله الرحمن الرحيم .

يرحم الله مالك ابن أنس اذ يقول : ( لن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها ) . ولقد كانت هذه الكلمة دستوراً استاذنا الراحل في الاصلاح ، آمن بها ايماناً خالط قلبه ، وتغلغل في نفسه . سلف هذه الامة صلح بالعمل بدين الله ، بعيداً عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين .

## البدع والمحدثات

ومن أجل ذلك حارب البدع والمحدثات في دين الله ، ليبقى للدين جماله ، ويحفظ له عظمته وجلاله . وأي عاقل يرى ما عليه المسلمون وهم يزورون قبور الصالحين ، من تعفير للوجوه ، وتقبيل للاعتاب ، وطواف حول المقاصير كما يطاف بالبيت الحرام ، والتجاء الى صاحب القبر في كشف الكروب ، وهداية القلوب ، والبركة في الرزق ، وما الى ذلك مما لا يتصل بالاسلام في قليل أو كثير ؟؟ - أي عاقل يرى ذلك ثم لا يندى جبينه لهذه البدع في دين التوحيد والفطرة ؟ وهذه بدع الموالد أصبحت معارضا من معارض الفسق ، وسوقا نافقة للتجارة في الاعراض ! وانتهى كالحرمة الدين ، وهذه بدع الاذكار ومعها الطبول والمزامير والرقص والطرب ، تصور الدين أمام الاجانب



بصورة تتقزز منها النفوس ، وتجعله الى الهزل أقرب منه الى الجد !!  
وهذه بدع الدجالين من محترفي الطرق ، يستغلون سذاجة الجماهير  
بضروب من التمويه والشعوذة : كأكل الشعابين ، النار ، وطعن  
انفسهم بالسلاح وما الى ذلك !

ولا تنس فعل الككشنى ، وعمود الحسين ، ومراغة المغاورى  
وقبر أبى السعود الجارحى ، ومغطس العطشطوشى وصناديق النذور ،  
التي لم يأذن بها الله ، دع كتب أذعيا التصوف وما شجنت به من  
أباطيل كإيهام الناس أن هناك حقيقة تخالف الشريعة ، ووحدة الوجود  
التي سرت اليهم من ديانات الهند الوثنية

فاذا جاهد الاستاذ فى ذلك السبيل فانما يجاهد لحماية دين الله من  
الشرك ، وذرائع الشرك ، وتطهيره من الجهالات ، ولا غنى لمصلح ديني  
عن خوض هذه المعركة التي خرج منها الفقيد ظافرا ، فكان سيفاً من  
سيوف الله على رقاب المبتدعين والمضللين ؛ .

### دفع الشبهات عن الدين

وكذلك كان من أهم أغراضه أن يدفع عن الاسلام الشبهات التي  
يوردها أعداؤه عليه ، كما أفاض في دفع شبهات الماديين كنظرية دارون  
وهناك قسم من الشبهات منشأه الجهل بالاسلام ، وما انطوى عليه من  
حكم كشبهتهم على توريث البنات نصف اختها ، وتعدد الزوجات ،  
والرق فى الاسلام ، وقد تجلت عبقرية الاستاذ فى هذه المسائل ، فابان  
حكمة الله العليا فى هذا التشريع ، وضع رسالة سماها ( نداء للجنس  
اللطيف فى حقوق النساء فى الاسلام ) وفيها تحقيق لكل هذه المسائل .





وكذلك عني بدفع الشبه التي تعرض بسبب تعارض بين نظريات العلم والدين ، وكبرى حسناته كتاب (الوحي المحمدي) الذي ألفه لمناسبة شبهة لبعض الغربيين ، على الوحي ، وهو خير مؤلف يدعى به ، إلى الاسلام ، ويدحض شبهات الماديين المعطلين ، قرظه علماء مستقلون ، وغرتها تقریظ أستاذنا الاكبر المصلح العظيم ( الشيخ المراغي ) يقول فيه :

صديقي الجليل الاستاذ محمد رشيد رضا

أستطيع بعد أن فرغت من قراءة كتابكم ( الوحي المحمدي ) أن أقول : انكم وفقتم لفتح جديد في الدعوة إلى الدين الاسلامي القويم ، فقد عرضتم خلاصة من ينابيع الصافية عرضاً قل أن يتيسر إلا لفرع من فروع الشجرة النبوية المباركة ، وقد استطعتم أن توفقوا بين الدين والعلم توفيقاً لا يقوى عليه إلا العلماء المؤمنون ، فجزامكم الله عن الاسلام أحسن ما يجازى به المجاهدون ، ولسكم مني تحية الاخاء ، والسلام عليكم ورحمة الله .

وكذلك عني الاستاذ بشرح المسائل التي أساء المسلمون فهمها ، كمسألة القضاء والقدر ، وله فيها تحقيقات علمية نفيسة تتفق وحكمة الله في تكليف الانسان وجزائه على الخير والشر ، فما كتبه السيد في دفع الشبه التي منشؤها جهل أو تجاهل بالاسلام ، أصل عظيم في الاصلاح الديني ، ودعامة لا يستغني عنها عالم مصلح ..

( إحياء سنة العلماء )

من أبرز صفات الفقيد إحياء سنة علماء الصدر الاول الذين كانوا يصدرون في فتاواهم عن كتاب ناطق ، أو سنة ماضية ، أو قياس على أحد هذين الاصلين ، واهتدى بهديهم الأئمة الاربعة ، فعبدوا المن بعدم طريق الاستدلال ، ولم يقنعوا بذلك ، فنهوا عن التقليد في دين الله ، وبالغوا في ذلك ، وإن شئت فقل : وأسرفوا . نقل عن أبي حنيفة (رض) لا يخل لأحد أن يفتي بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه ، وقيل له : إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه ، قل اتركوا قولي لكتاب الله ، قيل إذا كان خبر الرسول (ص) يخالفه ، فقال : اتركوا قولي لقول رسول



الله (ص)، فقبل: إذا كان قول الصحابة يخالفه، قال اترنوا قولي لقول الصحابة ونقل مثل هذا أو ما هو أشد منه عن بقية الأئمة.

نهى الأئمة عن التقليد، لأنهم أدري الناس بمقدار ضرره على الدين، وأنه شل بحمل دون النشاط العلمي، وهو إلى ذلك كله امتحان آتية الحجة، وتعطيل لموهبه العقل، ويرحم الله من قال «التقليد ابطال لفائدة العقل»

كانت هذه سنة العلماء، لأن الذي في كتب الأصول: (إن المقلد ليس معدوداً من أهل العلم)

ثم خلق من بعد الأئمة خلق أغلقوا باب الاستقلال في فهم الدين، وقصروه على طائفة يحسبها المد، وكان القرآن الكريم والسنة المطهرة لا يصبحان عندهم شريعة دائمة!!

ولما كان أستاذنا الراحل من أئمة الإصلاح الديني، لم يكن له يد من تخطيط السلاسل التي وصفت أمام ذلك الباب، وقد وضع كتاباً نافعاً سماه «الوحدة الإسلامية» على شكل محاضرة بين مصلح ومقلد وله في أوله كلمة جديرة أن نحفظ «لا إصلاح إلا بدعوة، ولا دعوة إلا بحجة، ولا حجة مع التقليد»

لم يقف الأستاذ في أحياء هذه السنة عند ذلك الحد، بل كان دائماً ينوه بشأن العلماء الذين لهم محنة وبلاء في ذلك السبيل كشيخ الإسلام بن تيمية الذي قال فيه أحد الأئمة ﴿مارأيت مثله، ولا رأي هو مثل نفسه، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا اتبع لها منه﴾ وشي به العلماء لدى الملوك وولاة الأمور، ورموه بالاحاد فسجوا أكثر من مرة، ومات سجيناً بدمشق وكتبه ابن قيم الجوزية، كان على أحسن أوصاف شيخه، امتحن في سبيل دعوته، وأودى مرات، وحلّس مع شيخه بقلعة دمشق بعيد أمنية

فاذا كان للاستقلال السيامي شهده يصرعون في ميادينهم، فان الاستقلال الديني العلمي له شهداء، شهداء، وفي مقدمتهم ابن تيمية وابن قيم الجوزية أما إحياءه لذكرى موقف لشرق ﴿السيد جمال الدين﴾ ﴿والاستاذ الامام﴾ فحدث عنها، ولا حرج فقد أحيا سيرتهما قولاً وكتابة وعملاً، وكان



أظهر شيء فيه شغفه بتلك السيرة حتى لا تكاد تجلس إليه مجاسا بدون أن يسمع ذكرى الامامين أو أحدهما ، فإن المصالحح هو الذي يعني بسيرة المصلحين فهو يعتبر بحق محيي سيرة المصلحين ، ورفع لواء المجديدين على أساس كتب الله تعالى وسنة خاتم النبيين

\*\*\*

### دراساته العميقة

لقد عكف استاذنا الراحل على دراسة القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، دراسة واسعة النطاق ، فكان بذلك متمكنا من علوم القرآن الكريم ، كعرفة المبكي والمذني منه ، وتاريخ المصاحف ، وأوجه القراءات ، وماصح من أسباب النزول ومالم يصح ، وما دخل على المفسرين من إسرائيليات على تفاوت بينهم في القلة والكثرة ، حتى شيخهم بن جرير فكان من أجل ذلك تفسيرا استاذنا الراحل نسيج وحده في سلامته من الروايات الضعيفة في أسباب النزول ، ومن الاسرائيليات التي شوهت جمال القرآن ، كما عكف على دراسة علوم الحديث ولا سيما علم تاريخ الرجال الذي عز في هذا العصر ، فكان من السهل عليه الوقوف على درجة الحديث في سرعة مذهشة ، وما احوجنا الى امام له تلك الخبرة الواسعة كفقيدنا الراحل

\*\*\*

### امراض المسلمين

وكذلك كان من أهم أغراضه بحثه عن أمراض المسلمين الخلقية والاجتماعية وفساد تربيتهم الدينية والمدنية ، فكنت تراه باحثا منقبا عن كل أولئك الأمراض ، وطرق الوقاية منها ، وهذا كتابه «الوحدة الاسلامية» يطلعك على كثير منها ، وإن أخذ الدين من طريقه الصحيح ، خير علاج لها ، وقد أعانته على ذلك خبرته الواسعة ، ورحلاته المتكررة ، فن رحل إلى الهند ، إلى رحلة الاستانة إلى رحلة أوروبا ، وذلك عدا رحلاته الثلاث إلى سورية التي اختير في آخرها رئيسا لأول مؤتمر عربي ، وهو الذي نودي فيه بالامير فيصل ملكا على سورية



ثم رحلته الى الحجاز مرتين ولا شيء اعون للمصلح الديني من دراسة لاحوال المسلمين، دع ان دار المنار كانت دائماً غامرة بالزائرين من كبار العلماء، فكان ذلك كله خير معين له على القيام بمهمته كمصلح ديني، فاذا دعا الى الاصلاح، فاننا يدعوا على بصيرة، واذا وصف العلاج، فاننا يصفه بعد أن عرف المرض.

### إصلاح الازهر

هو المعهد الديني الذي مضي على تأسيسه عشرة قرون، كان فيها مشرق الثقافات الدينية والعربية. غير أنه قد طرأ على هذه الجامعة من أعراض الشيخوخة ما جعلها غير وافية بحاجيات العصر من تسليح طلابها بما يكبح جماح الملحدين، ويصد شبهات الماديين، والدعوة إلى الاسلام في الشرق والغرب واعداد طائفة لهذه الدعوة مزودة بالعلم والدين.

ومن أجل ذلك كان في حاجة كبرى إلى اصلاح طرائق التعليم ومناهج الدراسة.

وقد كان أول من أبغى الافكار لذلك الاصلاح السيد جمال الدين الافغانى (حينما وفد على مصر في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة، واستفاد منه بعض شبان الازهر، وتولى السعى لذلك الاصلاح سريره الاكبر وخليفته (الاستاذ الامام) وغرضه الاسمى تخرج نشء جديد من جميع الشعوب الاسلامية جامع بين التقوى والاخلاق الفضلى، وبين العلم الاستقلالي الثمر لترقية اللغة وإحياء علوم الدين، والتمسك من الدفاع الاسلام والدعوة اليه

ثم جاء الاستاذ (المراغى) وأمضى في الازهر خمسة عشر شهرا، شيخا له ورثيساً لمجلسه الاعلى، فكان محط الرجاء ومعتقد الآمال، ورجل الساعة، وقام في ذلك الوقت القصير بعمل الجبايرة ثم شاء الله ان يدع الازهر قبيل أن يتم الاصلاح الذى اراده، فاضطرب الحال، واختل أمر القائمين عليه من رجال الادارة وروعت العلماء بما لم يروع به قطاع الطريق، وساعد على ذلك السياسة الدكتاتورية حتى أذن الله أن يعود للسفينة ربانها. وللاصلاح رجله. فعاد إلى





الازهر أستاذنا ( المرافي ) موفور الكرامة . وضاء الجبين . ففتح لطلاب  
لاصلاح باب الامل على مصراعيه

أما فقيدنا الراحل . فقد كان خير نصير لكل أولئك المصلحين . كان  
نصيراً للسيد جمال الدين . ونصيراً للاستاذ الامام . ونصيراً أي نصير للاستاذ  
المرافي أبلي في سبيل هذه الناصرة بلاء حسنا . وقام باوفر نصيب في ذلك الجهاد  
؛ اقرأ مجلة المنار منذ أنشئت . ثم اقرأ كتاب « المنار والازهر » الذي ألفه  
السيد في آخر حياته . وفيه أربعة وأربعون شاهداً من دعوته الاصلاحية . الى  
عشرة مقاصد انبع الازهر اكثرها . ومقدمة في ماضي الازهر وحاضره ومستقبله  
وجناية العهد الماضي عليه

تلك نواح لفقيد الاسلام والمسلمين في الاصلاح الديني  
أسأل الله تعالى أن يعرض المسلمين فيه خيراً . وأن يوفقهم للسير على نهجه  
وقدير جهاده وبلائه . وأن يمجزيه عن دينه كما يجزي المجاهدين الصابرين





## خطبة الأستاذ حبيب جاماتي



على مقربة من مدينة طرابلس الشام قرية صغيرة تدعى القلوبون ، تشرف عليها قم لبنان الشاخنة ، وتكتنفها صخورها البارزة ، وتنشر عليها أشجار الزيتون نفحات من عيرها المنعش ، ويخيل إليك أن القرية تزحف بيوتها وحدائقها ، من سفح الجبل الى شاطئ البحر ، لكي تغتسل في مياهه الزرقاء . سعيدة بأن تنعم بكل ما يمكن أن تجود به الطبيعة على بلدة بالجبل والسفح والسهل والبحر .

واذا مررت بتلك القرية الجميلة السعيدة ، وكنت غريبا عن الديار ، فان جميع الذين يقابلونك في طريقك بمسكون بك ويلحون عليك بأن تحط الرحال ، فتأخذ نصيبك من الراحة ان كنت متعبا ، أو تأخذ مؤونتك منها ان كنت قادما على تعب ولا يسعك إلا أن تنزل على رغبتهم ، حينذاك يسير بك القوم الى بيت المشايخ ، الى بيت آل رضا الى بيت الفقيد الذي نحى ذكراه .

وكلمة «شيخ» ليست في لبنان لقبا يطلق فقط على رجال الدين المسلمين ، بل هي لقب وراثي ، يطلق أيضا على من بايعهم الشعب بالرياسة والزعامة ، فلا فرق بين رجل الدين ورجل الدنيا ، وبين المسلم والمسيحي ، وبيت آل رضا من البيوتات القليلة في لبنان ، التي تحمل أبنائها لقب المشيخة مزدوجا . أي انهم من رجال العلم والارشاد ؛ ومن رجال الرياسة والزعامة .

وفي قرية القلوبون ، ولد محمد رشيد رضا ، من أسرة تنسب الى الاسرة النبوية الشريفة .

فلا غرابة في أن يكون الراحل قد اصطبغ بصبغة ذلك الوسط ، وأن تكون تلك الطبيعة التي ترعرع في أحضانها قد فرغت فيه الشيء الكثير مما اغدقته على بلدته فجاء شامخ الرأس كجبال القلوبون صلبا في عقيدته كصخورها ، فياضا في علمه كذلك البحر الزاخر الذي كان يجلس على شاطئه في ريعان شبابه ، حتى اذا ما جاء الى مصر ، أخذ من فضائها الواسع الصافي سعة الصدر وصفاءه فلعبت السياسة دورها البشع ، وأعاد التاريخ نفسه ، حقا فزحف على الدولة الفتية غزاة من الغرب وهرع الاحرار المجاهدون للقائه المعتدين



وفي ٢٤ يولييه سنة ١٩١٩ كانت موقعة ميسلون ، التي كتب فيها العرب بدمائهم الزكية صفحة جديدة من صفحات التاريخ لاسلامى المجيد ، ولسان حالهم يقول :

عش كريماً أو مت عزيزاً      تحت ظل القنا وخفق البنود  
وبعد أن دفن الاستقلال السوري في ميسلون إلى حين — قفل السيد محمد رشيد رضا رجلاً إلى مصر حيث استأنف جهاده المزدوج في سبيل الدين وفي سبيل الوطن ، إلى أن توفي وهو في حوالي السبعين من عمره .  
أبها السادة :

إن حياة الفقيد الذي اجتمعنا اليوم لأحياء ذكره ، لسفر ضخم يصعب على مثلى أن يختصره لكم في سطور . فكل مرحلة من مراحل تلك الحياة الحافلة بالأعمال الجليلة ، والجهاد المستمر جديرة بأن يقف المرء أمامها بخاشعاً مفكراً . وكل مرحلة من تلك المراحل سيتناولها أحد الخطباء الاجلاء بالبحث والتحليل والخطب التي سستمعونها هي الحلقات التي تتكون منها تلك السلسلة الناصبة المتماكة التي نسميها حياة الامام السيد محمد رشيد رضا

وإن نس لا أنس ذلك اليوم من أيام أغسطس الماضي الذي سافرنا فيه معه إلى السويس . في معية صاحب السمو الامير سعود . كن السيد محمد رشيد في ذلك اليوم شديد الفرح ، يكثّر من الحركة والكلام والضحك ، وكنا نقسالقائين « ما سبب ذلك يا ترى ؟ » وما كنا ندري انه رحمه الله يودعنا ويودع العلم فقد توفي فجأة في الطريق ، في ذلك اليوم ، قبل أن يصل إلى القاهرة كما تعلمون

والآن أبها السادة ، إن ما قلته عن حياة السيد الامام محمد رشيد رضا ليس كل ما يجب أن يقال عن نحياته ، وليكنني أديت واجباً عن نفسي وعن أخواني المسيحيين ، نحو الراحل الكريم ، ويشرفني أن يكون صوتي قد ارتفع في هذا المجمع الاسلامي الحافل ، كما ترتفع الآن رفات الاجراس والنواقيس الشرقية العربية ، في الاقطار الشرقية العربية فتمتزج بأصوات المؤذنين ، داعيه إلى التآخي ، إلى التضامن ، إلى التكاتف ، إلى التعاون . في سبيل القومية العربية .





في سبيل الاطمان الذبيحة !

ومن نيلها المبارك الوفي ، الوفاء بكل ما فيه من قدسية وروعة فعاش طول حياته وفياً لدينه ، وفياً لاساتذته وتلاميذه ، وفياً لاهله وعشيرته واصدقائه ، وفياً لوطنه الاول والثاني

تلقى رحمه الله علومه في مدارس طرابلس الشام وكان أشهر اساتذته الشيخ حسين الجسر ، من كبار العلماء السوريين في ذلك العهد وفي سنة ١٨٩٧ نال شهادة العالمية ، وقدم الي مصر في تلك السنة ، أي في شهر رجب عام ١٣١٥ هجرية ، تحذوبه الرغبة الملحة في لقاء الامام محمد عبده رحمه الله .

وصلات السيد رشيد رضا بالامام معروفة مشهورة ، وقد ظلت وثيقة لم تعتورها شائبة الى أن توي الامام في سنة ١٩٠٥ وكان المرحوم السيد رشيد رضا قد أنشأ ( المزار ) في شوال سنة ١٣١٥ أي في مارس ١٨٩٨

ومنذ أن وطأت قدماه أرض مصر الى أن توفاه الله فيها ، ظل يجاهد ويناضل في سبيل دينه ، دون أن ينسى وطنه الاول : فقد عاد الى سورية بعد الحرب العظمي مباشرة ، ونظرا الى مكانته السامية في النفوس ، انتخبه السوريون رئيسا لمؤتمرهم الوطني ، الذي اجتمع في دمشق ، سنة ١٩١٩ ، وقرروا اعلان استقلال سوريا كدولة عربية ، ونادى بالمغفور له فيصل ابن الحسين ملكا على السوريين وكان لا راء السيد محمد رشيد رضا ، ونصائحه ، وارشاداته ، فضل كبير في نجاح تلك الحركة المباركة

ولكن الاقدار لم تلبث ان قلبت لسورية المجاهدة الناهضة ظهر المجن .



# قصيدة الشيخ اسماعيل الحافظ

في تأييد السيد الامام

محمد رشيد رضا رحمه الله

~~~~~

داع الى الحق غالت صوته النوب  
وكوكب من مماء الفضل حين هوى  
وأصبح المجد مهجور الحمى وبكى  
قضى الامام فوجه الحق مكتتب  
والحزن مستعر النيران متصل  
والزهد والرشد والارشاد في ترح  
ومعقل العلم والعرفان مضطرب  
والشرق يندب والاقطار واجفة  
يا ناعي الحمى حق ما رويت لنا  
ويح الردى كيف أخبى نجمه ومتى  
كادت تضل عقول فيه من جزع  
أم راح يبغى سماء عن سماوته  
لا تنكروا رقدة الهادي الرشيد فقد  
دعاء ومذ لبت الابواب دعوته  
والبدر مها تنهاى في تنقله  
لئن طوت فضله أيدي الردى فطوت  
قرب ليل طواه كله نسك  
ورب خافية الاعلام نائية  
التي عليها شعاعا من بصيرته

أصيب في فقهه الاسلام والعرب  
هوى منار الهدى وانثالت الكرب  
من ثكله شرف الاعراق والنسب  
مادهاه وطرف الهدى منتحب  
والصبر منقطع الاوصال منقضب  
والبر والدين والاخلاق والادب  
يكاء من برحاء الهول ينقلب  
كأنما دب فيها الويل والحرب  
ان الامام حواء الترب ام كذب  
كن المنايا من الافلاك تقترب  
تقول : هل مات أم دارت به الشهب  
أم استسر فقامت دورنه الحجب  
اعيا وقد يستريح الدائب الدرب  
هنا بها لمفاني قدسه أرب  
في الفلك فهو الى مغناه منقلب  
مساعيا لم تزل ترجى وترقب  
ورب يوم قضاء كله قرب  
يعبى بها الفكر ادرا كاويضطرب  
بدت به وهي في عين النهى كشب



ورب سنة هدى قد تكتفها  
أعادها برزة للناس هادية  
ورب آيات تنزيل سرأرها  
سما إليها وعانى سترها فبدا  
يعنوا لها العلم منقاداً وبأخذه  
وغارة في سبيل الله ظافرة  
قد شنها منه ماضى العزم ينجده  
دارت على محور البرهان دورتها  
ثم انثني وهو مخفوض الجناح تقى  
في ذمة الله نفس ما ألم بها  
وهمة ما نأى عن باعها أمل  
هفي على القائم الهادي اذا خفيت  
ومن اذا نابت الاسلام نازلة  
وان دجا الخطب واسودت جوانبه  
القانت العف والاطماع دانية  
والمؤثر الجد يقضى ليله سهداً  
والمائل الصدق لا يدنو به رغب  
فما اطبت قلبه الدنيا بزخرفها  
غايات مبدئه الايمان في عمل  
سائل به الليل هل شقت غياهبه  
وسائل العلم والعرفان هل رفعت  
وهل شكا الوطن المحزون نكته  
يا صاحب القلم الكافي بفتكته  
اذا انبرى فهو طودا في الحشا ضرم  
(أما وقتك ظبي الاقلام مشرعة)

وهم ورائت على أنوارها الريب  
كما انجلت عن سنا اقمارها السحب  
ظلت زمانا عن الالباب تحتجب  
للمستريين من تفسيرها عجب  
من روعة الحق سلطان فيتشب  
بهفو لها المجد والاسلام والحسب  
من حزمه وحجاء جحفل لجب  
حتى انجلت وهو في ارحائها قطب  
والحق مرتفع الرايات منتصب  
رضى لغير رضى الخلاق أو غضب  
ولم يفتها من العلياء مطلب  
معالم الحق أوضات به العصب  
غلا به الجد والاقدام والدأب  
بدت لنا فيه من آرائه شهب  
والمقدم الندب والاهوال تصطخب  
فيه اذا جد بالمستهتر اللعب  
في قوله لا ولا ينأى به رهب  
ولا ثنى عزمه مال ولا نشب  
وروح نهضته الاقدام والغلب  
عن جاهد مثله لله يحاسب  
لمثله في ذرى علمياتهما الرتب  
الا ولباء ذاك المشفق الحذب  
يوم التناضل ما لم تكفه القضب  
وان جرى فهو حيناً في اللها ضرب  
اما توافقت لك الآثار والمكتب



اما اقاتلك أيام محجلة  
لك المواقف يختال ازمان بها  
الساثرات مسير النبرات هدى  
والخالدات فما أن فاتها زمن  
والماقيات على سمع ادرى عبرا  
منار هديك برهان تقوم على  
وغيث تفسيرك المأثور ، سلسلة  
ذخران للدين والدنيا اذا جلجا  
قم وانظر الشرق يصغى للسمع ملتصقا  
هيات قد خمد النور الذي ارتقبوا  
تبكيك أبناء عدنان واخوتهم  
كنت الرجاء لهم ان اعوزت عدد  
وكنت سيفاً على الالحاد ذا شطب  
يكون سميك في تأليف وحدتهم  
ركبت في مبتغهم كل سابقة  
فدنك من عشرة الايام شرذمة  
جأروا وراءك حتى جزها رتبا  
مقصرين فلم يقضوا حياتهم  
ذهبت كالغيث ولى بعدما رويت  
ذهبت براً بأوطان وفيت لها  
غادرتها وهي أوزاع ممزقة  
تدعوك للنجدة الغراء رازحة  
اذا رأيت بعدك الآمال مخنقة  
تؤم قبرك مشوى رحمة وهدى  
كنز من الحكمة الملياء قد ضربت

يبلى المدى وهي في آثارها قشب  
والباقيات على الايام ، والخطب  
والساطعات وآفاق النهى كهب  
والدائبات فما أن مسها نصب  
تمشي على ضوئها الاجيال والحقب  
اشكاه عمد لاصلاح والطائب  
من منبع الوحي والالهام ينكسب  
للناس حفيها الاعجاب والعجب  
هداها وعيون الدهر ترتقب  
وقد مضى ذلك العهد الذي طلبوا  
والمسلمون اذا مستهم النوب  
تحمي العقيدة والاخلاق أو آهب  
من الجهاد على أفرنده ندب  
تقيم في نظمها طورا وتقترب  
واليوم بعدك لا سرج ولا قتب  
راموا علاك فما نالوا ولا قربوا  
أوفت سموها على هام السهمي - انقلبوا  
كما قضيت ، ولم تذهب كما ذهبوا  
منه البطائح واهتزت به الهضب  
تكاد إثرك عن أوطانها تذب  
يحيث متدب فيها ومقتصب  
يؤدها المضنان الهم والوصب  
طفي من الوجد في احشائها بلب  
للبر في لحد مغمى ومضطرب  
من الجلال على أركانه قيب





يكاد حين تحييه ضمائرنا  
 اذا أطافت به أوحى لها مثلاً  
 وان شكت خطبها كادت جوانبه  
 يا أكمل الناس ايماناً وأخلصهم  
 من لي بأيامك اللاتي نعمت بها  
 أيام أرشف من صفو الرسائل أو  
 واهاً لها، قد مضت فالיום لا رسل  
 أحس أن نمر الماء في كبدي  
 وان سوداء قلبي حين أذكرها  
 سأحفظ العهد، فأحفظه، وانثر من  
 ولو نظمت الثريا في رثائك ما  
 في ٢١ رمضان سنة ١٣٥٤

يصبو اليها صدى منه وينجذب  
 من الثبات وشملاً ليس ينشعب  
 تمن للخطب اشفاقاً وتنتحب  
 ودا وأكرمهم جذماً اذا انقسموا  
 دهرًا يظللني من دوحها عذب  
 نجوى الحديث كؤوساً ما بها لغب  
 تقي أمانة نجوانا ولا كتب  
 بحيله الحزن جمرًا فهو يلتهب  
 تغور من مقلتي دمعا وتذسرب  
 فيض الشؤون رثاء ليس ينقضب  
 قضيت للحق إلا بعض ما يجب  
 اسماعيل الحافظ

## تاريخ هذا العدد

الحق اننا طبعنا هذا العدد في أوائل ربيع الاول سنة ١٣٥٥ وأواخر شهر  
 مايو سنة ١٩٣٦ وذلك لنعوض للقراء ما فاتهم من أعداد لآل المجلد الخامس  
 والثلاثين .

## العدد القادم

سنجعل العدد القادم خاصاً ببحث إسلامي عظيم هو « المستشرقون  
 والإسلام » وقد تولى تحريره حضرة النطاسي البارع الدكتور حسين الميراي  
 مقتش صحة مصر القديمة وهو المسلم العالم الفيور . وسيصدر بعد هذا العدد بعشرة  
 أيام باذن الله .



فقيه العرب والاسلام - ١ -

## المرحوم السيد محمد رشيد رضا

كلمة سريعة <sup>(١)</sup> بقلم ابن أخيه الحزين

سألنا كثير من الاصدقاء والمحبين من صريدي فقيدها الكبير أسئلة شتى  
فرايت أن أكتب ما يلي رداً على ما حضرني من تلك الاسئلة حتى يطامع عليه الجميع  
ولا يزال القلب كسيراً والحزن عاماً فمعدرة من القراء الكرام إذا وجدوا شيئاً غير  
محصن والله يتولانا برحمته ويحسن عاقبتنا جميعاً أنه خير مسؤول وأكرم مجيب  
كيف بلغت الخبر

قرع باب مسكني في نحو الساعة ٣٠٣٠ بعد ظهر يوم الخميس ٢٢ أغسطس  
الماضي وكنت ممدداً في سريري بعد ما تعديت ففتحت القرينة وسرعان ما دخلت  
على تقول قم حالا وكلم عبده فظننت انها تقصد ابن عمي السيد عبد الغنى رضا  
فقلت ولماذا لم تدعه للدخول علي فقالت قم فكلمه . فتهضت مسرعا إلى الباب  
فوجدت عبده بواب دار المنار فاخذتني رعشة الوجل لانه حضر في ساعة غير مألوف  
حضوره فيها وقد سبق أن حضر في مثلها يوم أخبرني ب وفاة جدني ؟ فقلت ماذا  
تريد يا عبده قال السيد عبد الغنى طورك ورأيت دموعه تترقرق في مقلتيه وصوته  
يتهدج فقلت له قل واسرع ما الذي حصل فقال « مات السيد ! »

وهنا انهمرت دموعه وأصبت أنا بذهول فدخلت غرفة النوم لألبس  
فقلت القرينة : ماذا حدث ؟ قلت « مات عمي » وصرت لا أعرف ماذا أصنع  
فأردت التوضؤ فصرت ابحت عن القيقاب وهو أمامي فلا أجده ، وبعد ما توضأت  
صرت انتقل في المنزل مفتشاً فيه عن الذي لبس واين أجد البذلة والخذاء وما اليها  
ولقد لقيت في ذلك عناء كبيراً

وفي اثناء ذلك كانت القرينة فهمت من عبده أن الوفاة حدث وهو عائد من

(١) نشرت في جريدة ( الف باء ) الدمشقية ١٠ و ١٧ أكتوبر سنة ١٩٣٥



السويس وأنه لا يزال في مصر الجديدة . سرت في الشارع وأنا أخس اني على  
وشك السفوط اتهاذي يمينا وشمالا

### في دار المنار

صعدت إلى الدور العلوي في المنزل فقابلت قرنة عمي وقلت لها نحن  
اخوتك واولادك قصيري نذكرك وأرسلت على أثر ذلك تلغرافات للسيد محمد  
شفيع نجل الفقيد وكان لا يزال في سورية بوجوب حضوره حالا واخبرته الخبر  
وأرسلت تلغرافات الصهري محمد افندي السيد مالا سمع عليه ليحضر المساعدة في  
الامر وأرسلت رسولا إلى الاستاذ عبد السميع افندي البطل فسرعان ما حضر  
وحضر صهري في الليل ومعه لصديق مصطفى افندي ابراهيم احمد . وانتشر  
الخبر بسرعة مذهلة في لقطر المصري فحضر بعض الاصدقاء من طنطا وغيرها  
وانهايات علينا الترقبات

وفي الساعة ٧.٣٠ أذاع الرديو تنمي في العالم كاه فتوبل الخبر بذهول  
ولم يستطع الناس تصديقه بسرعة فشرعوا يستمعون تلفونيا من دار المنار

### في مصر الجديدة

عندما حضرت إلى دار المنار كان ابن عمي السيد عبد الغنى لا يزال في مصر  
الجديدة متنقلا ما بين الاسقف . القصر لاجراء اللارم بنقل جثمان الفقيد وحضر  
فضيلة الامام الجليل الشيخ عبد المجيد سالم مفتي الديار المصرية إلى دار المنار  
فجلس منتظرا وأمارات الحزن مادية عليه وهم بالذهاب إلى مصر الجديدة ولكننا  
لما اتصلنا بليبونيا بمصر الجديدة فهمنا أن كل الاجراءات تمت ولم يبق على  
الحضور إلا القليل من الزمن

### وصول الجثمان

جلسنا نتكلم في وقع المصيبة واستغرب ما حدث إلى أن وقفت أمام دار  
المنار ميامرة من سيارات نقل الموتى وحمل الناس فمشا فيه جثمان ذلكم العالم  
الكبير الذي طبقت شهرته العالم أجمع فانهمرت الدموع من العيون وكان يرافق





النفس جمهور من المحبين وبمقدمهم فضيلة السيد محمد الغنيمي التفتازاني وكانت  
دموعه قد بلغت لحيته وعيونته قد احترت من شدة البكاء والنحيب واشتد البكاء  
من جميع الحاضرين ولا سيما فضيلة المفتي

### فضل التفتازاني

وللسيد التفتازاني أفضال كثيرة فهو الذي حمل معظم المصائب على اكتافه  
فقد أسرع إلى دار الاستشفاء وإلى القسم وبذل مجهوداً عظيماً في كل منها ، ولما  
وصل إلى دار المنار عمل كل ما في قدرته للحصول على الاذن من ورثة المرحوم الشيخ  
محمد عبده بدفن غمي بجواره ففاز وسرعان ما أحضر التربة والحانوتية واتفق  
معه على بناء التربة في الليل حسب الشريعة الاسلامية وفاز أعظم فوز وبالجملة  
فالسيد التفتازاني أسدى لصديقه الراحل أعظم خدمة بعد وفاته ولا يزال يعمل  
لخدمة أولاده بصديق وقوة مما يسجل له بمداد الشكر الجزيل . حفظه الله وابقاه  
عونا للمهوف فهو أهل خير وفضل وممدن معروف (١)

### الاستاذ الطاهر

وفي أثناء ذلك كانت حديقة الدار قد امتلأت بالكراسي وازدحمت بالزوار  
وحضر الاستاذ محمد علي الطاهر على غير علم بالذي حصل فظن نفسه خطأ المنزل  
ولما أخبره بمضيمهم كاذب يضحك واخذ يقول لقد جئت لأزور رب الدار فحدثنا  
نفسى أنه إذا قدم إلى الشاي قاتنى ما عتذر عن شربه وأنه على أثر ذلك تنبؤهم  
إلى التلاجة فيحضر لي قاكمة من التي تعود أن يتعشى منها  
وبعد ذلك أخذ ينحوقل ويتأسف ثم انصرف إلى التليفون يخبر الدين يري  
أنه يحسن أخبارهم بالقجينة فجزاه الله خيراً

### الميت المجهول!!

وبما يصح التنويه به هنا أن المرحوم كان يركب سيارة مع تركين في  
خودته من السيوف لا يجيدان العربية وفي الطريق كان يحمل مصحفاً صغيراً يتلو

(١) وقد توفي رحمه الله ولا بد لنا من كتابة كلمة عنه والله الموفق



آيات الله طول الطريق الى ان أحس بتعب فطلب من السائق ان يوقف السيارة فوقفها وقاء بعد ما وضع المصحف في جيبه واستسمح للذين معه بالاضطجاع قليلا لانه متعب فاضطجع ولما وصلت السيارة إلى مصر الجديدة حاولا إيقافه فوجدا جسمه لا حياة فيه وكانت روحه صعدت إلى الملائكة الأعلى فعاجا به على الاسعاف ثم ذهبوا إلى دائرة البوليس فكتب البوليس محضراً بوفاة «شخص مجهول» في أول الامر ثم تدارك الخطأ ماذا وجد معه ؟

وكتب البوليس محضراً بالذي كان معه وسلموه إلى حسين رضوان الموظف في مطبعة المنار وقد حضر وسلمني ما أمضى على تسلمه وهو محفظة فيها جنيته واحد ونظارتان ونظارة كبيرة مقربة وعمامته ومصحف وفك أسنانه ولم تصل يد البوليس إلى كيس نقوده ولا إلى قلعه فقدا ولنا ندرى اين كان قد هما ؟ وقع المصيبة على حرمه

ويظهر اني كنت سريعاً في اخبار حرم عمي بالمصائب وكنت أظن أنها علمت به من ابن عمي قبل وصولي وكان غرضي أن أصبرها وبعد ما كلمتها بما قدمت نزلت لأرسل التلغرافات ولتدير ما يلزم فحضر إلي الخادم وقال إن الست أغمي عليها فوقعت في مشكلتين ، ولما صعدت وجدتها في حالة حزن شديد وبكاء وليس ثمة إغماء والحمد لله فهدأت نفسها بما حضرني من كلمات وكانت عندها الفسالة وقد تركت الغسيل وهي تنتحب وعلى أثر ذلك حضرت قرينتي فاشتد البكاء منها فزجرت قرينتي وقلت لها يجب أن تتحمل المصيبة بصبر عملاً بوصايا الفقيد وتركتها ونزلت لعمل ما يلزم

سمو الأمير سعود

وكان عمي رحمه الله قد دعا سمو الأمير سعود إلى دار المنار في مساء يوم الأربعاء ٢١ أغسطس الماضي لشرب شيء من المشروبات المسالمة يتيسر ان يقبل الأمير دعوة للغداء أو العشاء لارتباطه بمواعيد سابقة وقد خاطبه في ذلك عند سفره إلى أوروبا ويوم حضر منها وكان في طريقه



الى فلسطين والشرق العربي فوعده بالقبول وترك التدبير لسيادة الشيخ فوزان السابق معتمد المملكة العربية السعودية في مصر ولقد عني رحمه الله باصلاح مكتبه ومدخل داره استعداداً لاستقبال الامير والح علي اولاده بسرعة الحضور من سورية لاستقبال الامير ولكن مرض ابنه المعتصم أخر حضورهم . وقد عاد من سورية قريباً وهو في دور النقه والحمد لله

وحب عمي لآل سعود يعرفه كل الذين يترددون على دار المنار وحبه للامير سعود عظيم جداً فقد كنت كلما ازوره يحدثني عن مقابله للامير وشغفه بآدبه وخلقه وحيائه وصلاحه وتقواه وجمال وجهه، واذا سمعته يتحدث عن كل ذلك احسست بأن لعابه يسيل متحركاً بالشهد ولا سيما اذا حدثك عن الحفاوة التي لقيها الامير في أوروبا واجوبته لملوك أوروبا ورؤساء جمهورياتها وكبار رجالها وكيف كان يفاخر بالاسلام وما امتاز به من المزايا

### يود الانفراد بالامير

وكان رحمه الله يود الانفراد بالامير للتحدث معه في بعض الشؤون ولكن الامير اعتذر بضيق وقته وبأنه يود سرعة العودة لتغيير ثيابه والوضوء والصلاة ثم هو يود حضور حفلة وفاة النيل تلبية لدعوة سعادة المحافظ . وعلى ذلك قال للسيد : اذا بقيت مصمماً على السفر غداً فتحضر الى الذهبية في الساعة الرابعة صباحاً ونجلس معاً في تلك الساعة الهادئة وسأرسل اليك سيارة خاصة

لم يذق طعاماً

وقد جرت عادة المرحوم ان يستيقظ قبل الفجر للتهجد ثم يصلي الصبح في اول وقته وينام بعد ذلك قليلاً ولكنه في صباح الخميس انتظر السيارة بعد الصلاة فحضر الشيخ فوزان السابق فركب معه





الى الذهبية وخرج ولم يذق طعاما في داره  
ولما اختلى بالأمير وافضى اليه بما رآه لازما طلب منه الأمير  
ان لا يسافر معه الى السويس وطلب مثل ذلك من السيد محمد الغنيمي  
التفتازاني والح في طلبه حتى كاد رحمه الله يغضب منه ولكن ذلك كله  
لم ينفع وركب السيارة الى السويس وفي السويس اختلى مع الأمير  
مرة ثانية مدة طويلة وبعد تحرك الباخرة فضل الرجوع حالا الى عمله  
في دار المنار وفعلا ركب السيارة عائدا فوصل الى داره محمولا على  
النعش ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .  
استاذن القرينة

ولا يفوتني ان اقول إنه استاذن قرينته بالسفر فاذنت له في ذلك ولو  
استاذن طيبه الدكتور أحمد عيسى بك لما أذن له لانه يعلم أنه مصاب  
بتصلب الشرايين والروماتيزم وضعف القلب وكان قد نهأ عن  
اجهاد نفسه مدة طويلة ولكنه سمح له بالعمل بعد ذلك، أما السفر بالسيارة  
عن طريق السويس فانه ما كان يأذن له به ولكن هكذا شاء الله ولا راد لمشيئته  
كيف قضى ليلته

ولما حضر الى الدارجة هامدة وأنزلناه من النعش في الدور العلوي  
رأيت أنه لا يزال خائواً ومددناه في غرفة الاستقبال وكنت أظن أنه  
ربما يستيقظ قريباً لأن شكله لم يتغير مطلقاً وفي الليل دعوت حضرتي  
الدكتورين الفاضلين الدكتور شهنشرو والدكتور لهنسي أحمد لفحصه  
ولما فحصاه تصحنا لنا بوضع الثلج حول جسده خشية الخرور ورفع  
السجاد جيد التي تحته وحوله فصدعنا بالأمر حالا وبأسبحان الله لقد  
كتب له ان يحاط بالثلج وهو الذي كان يحب الثلج حتى في الشتاء !!

الديون باهظة

ولقد تبين أن الديون التي عليه باهظة وكان الناس يظنون أنه غني  
جداً ومثت لنا أيضاً أظن فيه ذلك ومجال الظن متسع فكتبته راحة





وهذا بيتاب الوحي المحمدي ، طبع ثلاث مرات في عام واحد ولقد  
نقد من طبعته الاخيرة نحو الف نسخة في زمن وجيز وهكذا الحال  
في كتبه وكتب الاستاذ الامام رحهما الله . واذا راجت الكتب فان  
دخلها لا يستهان به . ولكن يظهر أن عدم توفقه في الادارة وكثرة كرمه  
أفضى به الى هذه الحالة ، هذا اذا لم نقل غير ذلك . فاللهم وفقنا لوفاء دينه  
وألهم الذين له عليهم ديون وفاءها سريعا  
دعاء مستجاب

ولقد أتم رحمه الله تفسير سورة يوسف الى نهاية الآية ١٠١ التي  
هي خاتمة القصة وهي قوله تعالى علي لسان سيدنا يوسف عليه السلام  
(رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات  
والارض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين)  
فقال رحمه الله :

و تحول عليه السلام عن خطاب والده في بيان هذه العاقبة المثلى ،  
في مقام الشكر لربه وحمده وبما يناسب المقام من صفاته ، الى مناجاة ربه  
في الاعتراف بها والشكر عليها ، وسؤاله حسن الخاتمة في الدنيا الرافعة  
الي متمم السعادة في الآخرة : لشعوره بان ما خلقه له من الخير والنعمة  
قد تم كما فهمه أبوه ، وكل شيء بلغ حده في هذه الحياة انتهى فقال :  
(رب قد آتيتني من الملك ) اقصى ما يبغي لمثلي ويصلح له في غير  
قومه ووطنه ، فجعلتني متصرفا في ملك مصر العظيم بالفعل ، وان  
كان لغيري بالاسم والرسم ، فكان تصرفي مرضيا له ولقومه ، .. ولم يثر علي  
حسد حاسد ولا بغي باغ مما ذقت مرارته بمجرد تصور وقوعه علي تقدير  
صدق الرؤيا الدالة عليه ، (وعلمتني من تأويل الاحاديث ) ما أعبر به عن  
مال الحوادث ومصادق الرؤى الصحيحة فتع كما قلت (أنت وليي) الذي  
توليت ولا تزال تتولي أموري كلها في الدنيا وفي الآخرة لا حول لي في  
شيء ولا قوة (توفني مسلما) لك اذ تشوفاني بما تم لي وصية آبائي وأجدادي



وهي المشار اليها بقوله تعالى ( ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب : يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ) (والحقني بالصالحين) منهم واحشرنى معهم ، فهذا الدعاء العظيم ، بمعنى قوله تعالى في فاتحة القرآن ( اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين انعمت عليهم ) أي من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين ، فنسأله تعالى ان يجعل لنا خير حظ منه بالموت على الاسلام

انتهى كلامه رحمه الله واجيبت دعوته فظل يتلو القرآن الى آخر نسمة تنسمها من الحياة

### المنار

وهذا آخر مانشره في الملازم التي طبعت من الجزا الثاني من المجلد الخامس والثلاثين من مجلة المنار التي نرجو الله ان يوفقنا لاصدارها ثانية ذكرى لعله وآثاره

## فقيده العرب والاسلام

— ٢ —

### كان دائم العمل

ان كثيرين من شبان اليوم وغير اليوم أيضا يكثرون من التحدث عن كثرة أعمالهم اذا كان لا واحد منهم عمل منتظم في الحكومة أو في دائرة من الدوائر الأهلية وقد لا يتجاوز عمل الواحد منهم ست ساعات يعمل فيها ببطء وتؤدة وهو يستطيع انجاز عمله كله في نصف هذا المقدار من الزمن اذا أجهد نفسه قليلا

وأما السيد رشيد فقد عرفته من عام ١٩٠٧ وكنت مقبلا في منزله الى أواخر عام ١٩٢٢ فكنت أدهش من عمله المتواصل يستيقظ في الصباح مبكرا جداً فيصلي الصبح حاضراً ويكون قد تهجد قسماً من الليل قبل حلول وقت الصلاة ثم يستريح قليلا وبعد ذلك يجلس في مكتبه فيقرأ ويكتب ويظل على ذلك الى



أن يحضر له الفطور فيعجس الى المائدة وفي أثناء الفطور تناح له فرصة قراءة الصحف الصباحية وبعد ذلك يرجع الى مكتبه الى أن يحين وقت الغداء فيتغدى ثم يأوي إلى فراشه قليلا وبعد ذلك يصلى العصر ثم يذهب الى مكتبه للعمل وقد يستمر في عمله الى ساعة متأخرة من الليل وفي أثناء الليل يصحح كثيراً من المسودات التي جمعت من مجلته ( المنار ) او مؤلفاته المختلفة أو ما يطبع في مطبعة المنار من كتب النجدين او ماشا بهما مما يحتاج للدقة في المراجعة من جهة سند الاحاديث أو صحة النقل أو وجاهة الرأي

قلت انه ينام بعد صلاة الفجر والواقع أنه ينام احيانا واحيانا يخرج الى النزهة في تلك الساعة الهادئة وكثيراً ما يذهب الى مسافات بعيدة جداً ويصل احيانا الى الاهرام والناس نيام ثم يعود ماشيا أو راكبا وقد اتخذ هذه الخطة ولا سيما عندما سكن بجوار كوبري الملك الصالح ويسير في تلك الساعة حاسر الرأس وقد يكون الجو باردا

وفي نزهته هذه يصطحب معه مصحفا أو مسبحة فيتلوما تيسر له من القرآن أو يتسبح الله كثيرا . ولقد اشتهرت فسحته هذه وجعلت كثيرين من أهل الاحياء المجاورة يقلدونه فيها .

ولقد كان نشيطا في عمله في مكتبه وفي نزهته وكان يسير بقوة يعجز عنها الشبان، وأذكر أنني كنت اسير معه احيانا وهو في الكهولة وأنا في أول مراحل الشباب فما كنت استطيع السير بجواره فكنت اسير وراه بكل مشقة وعناء ولو أنه رحمه الله نظم عمله ووظف من يريحه من قراءة المسودات واشتغل في الوقت الذي كان يشغله بالمسودات بالغاليف ل زاد عمله نحو النصف ولكن محصوله العلمي أكثر مما خلفه مع كثرة وعظم فائده العلمية وحسن تنظيمه بواقفاته وابداعه .

### الاتقان في العمل

وله ذوق مشهور في اتقان كل شيء ويتجلى ذلك في مؤلفاته وحياته العامة





والخاصة . وقرأ مجلته المنار يعرفون له الفضل العظيم في وضع تلك الفهارس المتقنة للموضوعات والاعلام ولم يقصر فهارسه المنظمة على المجلة بل وضعها لتفسيره فوضع لكل جزء من التفسير فهارس منظمة تسهل على الباحث العثور على طلبته بسرعة

وعمل هذه الفهارس يأخذ قسما كبيرا من وقته لو يتيسر له العثور على من يعملها له لو فر جزءا من وقته

واذ كراتي عندما كنت في داره في شارع درب الجماميزو كنت لا أزال مراهما كنت اساعده في عمل تلك الفهارس مساعدة آلية فقد كان رحمه الله يكتبها متتابعة وكنت أتسلمها منه واقصها ثم أضع ظروفا عليها حروف المعجم فأضع في كل ظرف الموضوعات التي تدخل في حرفه ثم أرتب كل حرف ترتيبا منظما والصفا مرتبة ثم تقدمها للطبع

وقيل وفاته اراد أحد الاصدقاء عمل فهرس لمجلد المنار الاخير وعمله بالفعل ولكنني سمعت المرحوم ينتقد عمله بانه غير واف بالموضوعات المهمة كلها ولذلك لم يعتمد عليه فلم يطبع

هذا ولكثرة عمله كانت الفهارس تتأخر لانه ما كان يعتمد على أحد في عملها وهذا يرجع الى عظم دقته واتقانه في عمله رحمه الله

ولم تقتصر دقته على أعماله العلمية بل انه كان يحب الاتقان والدقة في ما كاه ومشربه وملبسه الى درجة يعرفها كل من خالطه عن قرب أو بعد وأما إتقان مطبخه فذلك حديث الجميع حتى ان السيد محمد الغنيمي المفتازاني طالما كان يتفكه بقوله : ان الواجب على وزارة المعارف العمومية ان تعهد الى بعثة من البنات بالتخصص في فن الطبخ في منزل السيد رشيد رضا .

وكان كرمه مضرب المثل ولا يزال كذلك في جميع البلدان الشرقية فقد كان حريصا على اضافة كل قادم الى مصر واما اصدقاءه فقد كانوا يذهبون الى داره من غير كلمة غير أنه في أواخر أيامه كان يواظب على صيام أيام مخصوصة منها الايام البيض ولذلك كان اصدقاءه يعنون بمعرفة أيام صيامه حتى



ذاما حضروا استطاعوا أن يأكلوا منه فيشبعوا أجسامهم بطعامه وانفسهم بعلقه ومعارفه -  
عطفه وكرمه

ولازلت اذكر عندما كنت يافعا و كنت في داره بشارع درب الجمايز  
وكان الوقت وقت شهر رمضان فكان اذا أحس ان الوقت أشرف علي الفجر  
ولم يبق مجال للأكل فكان يسرع الى ايقاظي ويحضري اللحم المحمر وما أشبه  
ويقف فوق رأسي بحثي على الاكل بسرعة فقالت مرة جدي والدته: انت محي  
الدين يجزع من رمضان كثيرا فقال لها ضاحكا: الله يحفظك ياوالدة أنت سمينة  
تغذين من شحوم جسمك وأما هو فنحيف يحتاج للغذاء حتى يستطيع  
النهوض والعمل

وكان كريما جداً بالمال ولا سيما في الاعياد والمواسم فكان يعطيني  
في العيد مالا يقل عن نصف جنيه ذهباً طبعاً عندما كنت صغيراً فلما كبرت  
صار ينفق أولادي بالنقود وكنت أراه يعطي كثيرين من الشبان الشرقيين  
وطلاب العلم نقوداً ولا زلت اذكر مرة أنه دفع لشاب عراقي جنيهاً ذهباً في أيام  
الحرب وكان بأثنا فامتنع عن الابخذ فالح بقوة وقال له انتي لا تصدق عليك  
وانما يمكنك أن تحسبه سلفة من محبي الدين وعند ما توسر ترده اليه وبذلك أخذ  
الجنيه وهو الآن محام وكان موظفاً بالحكومة العراقية في بغداد

ولطالما مد اليه كثير من العظماء أيديهم فردها مملوءة ولم يكن يذكر ذلك  
لاحداً وإنما سمعت هذا من الخادم الذي كان واسطة الدفع وهنا انقل للقراء  
كتاباً ورد الي من الشيخ محمد بن سياد أمين مكتبة الحرم المكي قال حفظه الله :  
عزيزي السيد محي الدين .

حزني على الاستاذ السيد مثل حزن الولد علي الوالد فان الله وانا اليه راجعون  
كان سمع نبأ وفاته رحمه الله ورضي عنه ليلة الجمعة التي قبض فيها في جده  
في الراديو وبلغنا الخبر الاخ محمد افندي نصيف صباحاً بالتلفون فاحسست  
بالصية ودب الحزن في نفسي غير أنني كابرته الناس فيه وانكرت وقع ذلك  
الخبر وكذبت الخبر باديء بدء ثم جعلت أتمنى ان يكذب الناس معي هذا



الخبر وهيئات ان يفعل الناس ماتمنيته وقد أرغمتهم الحقيقة على الاعتراف بالواقع  
 فاذا هم يكتبون به في جرائدهم ويتحدثون في انديتهم ويصلون على المرحوم في  
 مساجدهم فانا لله وانا اليه راجعون فاعظم اللهم لنا الاجر واحسن لنا العزاء والهمنا  
 السلوان ياسيد محي الدين في هذا العالم الكبير والاستاذ الجليل والمرشد العظيم  
 وتعمده الله واخاه الوالد المرحوم برحمته وقابلهما برضوانه وجعلهما في فسيح جناته  
 اذ كره الله حين كان يمدني وأمثالي من طلبة العلم المنقطعين في أثناء  
 الحرب العمومية بشيء من ماله الخاص وكان رحمه الله يمثل بعمله الصالح هذا  
 ما قيل في جده الاكبر صلى الله عليه وسلم : «إنك لتحمل الكل وتكسب المعدوم»  
 وأذكره رضي الله عنه حين انقذني من السجن بكفالاته الشخصية ونعمت ( يوم  
 اعتقلني الانكليز في اوائل الحرب العمومية اعتقالاً سياسياً ولولاه رضي الله عنه  
 لامتد اعتقالني الى أواخر الحرب كما وقع لكثيرين امثالي وكذلك كان يمثل بعمله  
 الصالح هذا ما قيل في جده الاعظم صلى الله عليه وسلم «وتعين على نوائب الدهر»  
 وكان رحمه الله يعمل حسبة لله لاعتن ايعاز من احد ولا عن مسألة  
 وتعرض فواحسرتاه على هذا البر المجسم الذي فقدناه وواحسرتاه وكان  
 رحمه الله ذا الجناحين يعلم علوم الدين ويفقه في أمور السياسة وما أعظم فقر العالم  
 الاسلامي الى مثله وما أشد الخطر على الثغر الذي كان رحمه الله مرابطاً عليه  
 يدافع عن بيضة الاسلام بعد فقدانه

\*\*\*

هذا ما كتبه عالم صوفي جليل وهو يكشف لنا عن ناحية كانت مخفية من  
 نواحي عظمة فقيدنا وما انشاء دار الدعوة والارشاد الاغرة في جبينه رحمه الله  
 فقد جمعت طائفة من طلاب العلم من بلدان الشرق أحدثوا أثراً محموداً في النهضة  
 الاسلامية العربية

الحزين

القاهرة

محي الدين رضا



# قصيدة الاستاذ

عبد الله عفيفي



تراخى الليل وانطفأ ( المنار )  
وحجب طلعة القمر السرار  
وقد اعيت فلم تجب الديار  
واذن فيهم الحادي فساروا  
وليس لصدة الزمن انجبار  
أما ليل بعدكم نهار  
وقد عز المزار فلا مزار  
أحالت نورها اليد الفقار  
واهون ملبس ثوب معار  
ونخرج لا شعار ولا دثار  
تهوى الدوح وانتهت شمار  
وطال بكانب ( الوحي ) السفر  
وبين حماة هذا الدين ثار ؟

مكانك لا يلج بك العثار  
وغابت في مغاربها الدراري  
أردد في ديار الحي صوتي  
أطاف بأهلها الساقى فقالوا  
وفرقت بينهم صدع الليالى  
أخلاي الذين سروا تبا  
برغمي أن يهز الشوق جسمي  
فراقده عالم كانت مناه  
نعمر ما نعمر ثم نظوى  
ونسلك للغميمة كل صوب  
رويدك يا زمان وما زويد !  
ثوت بالكوكب الهادي العوادي  
فوالهفاء هل بين المنايا



براع فيضه نور و نار  
إليه قيادها البيض القصار  
سنا ينهل أو تقع يثار  
رشيد لا يحور ولا يحار  
كتائب للضلالة تستثار  
فلا وهن ولا قلب مطار

رشيد ! وكنت اذ تدعى يلبي  
حسام من سيف الحق تلقى  
من الفردوس يسطع من شباه  
كريم لا يحور ولا يحار  
تجرد للجهاد فلم ترعه  
تلقاها بعزم أحوذي





فصال موقفاً ومضى حميداً  
ولم يلحق به دنس وعار  
\*\*\*

رشيد تفجع الاسلام حزناً	وناجيت يعرب وبكت نزار
قوى قد كنت من أمضى شباهاً	وكان لها بمقتاك ازدهار
إذا جئت (الامام) فقل سلام	من القوم الذين عليك ثاروا
همو عرفوك بعد هوى مضل	وهم بعد الثلاثين استناروا
ومن تثبت شريعته تساوى	للدعوة التلبث والبوار
وأفضل مصلح رجل حلام	بلام واصطبار وانتظار
ومن راض السريرة لا يبالى	أقبل الموت أم بعد انتصار
وما يخزى المجاهد أن يجازى	بسوء انما العار الفرار
سلام يا محمد من وفي	له من ذكرك النخب المدار

## تعزية الجمعية السورية العربية

بسان رفايل - ولاية مندوسه الارختين

لقد شق على هذه الجمعية خبر وفاة العالم العلامة الشيخ محمد رشيد رضا  
فكان لهذا الخبر المشثوم أشد تأثير في نفوس كافة مناحيها ، لما كان للفقيه من  
المنزلة السامية في عالم الثقافة والادب العربي . إن هذه الخسارة أحدثت فراغاً  
قل أن يسد . نظراً لعلو المقام الذي كان يقسمه الفقيدين أبناء أمته . بناء عليه  
فإن جمعيتنا هذه تقدم تعزيتها الحارة إلى كافة أبناء العرب في جميع الاقطار ،  
وبقلوب ملؤها الأسى نشاطر عاتلة الفقيه بهذا المصاب الفادح . سائلينه تعالى  
أن يعوض على الامة العربية ما فقدت ويسكن الراحل الكريم فسيح جناته .

رئيس الجمعية السورية العربية

سان رفايل « الارختين »



# مصائب المسلمين

في

أعظم علمائهم وأعقل حكماهم

-----

أما السيد رشيد أفضى نخبه وتولى ، أنزل ذك الطود الراسخ ، أطوي ،  
ذلك العلم الشامخ ، أموت العلم وتمضاهل الحكمة ؟ أتدرى أيها الناعي من نعمت ؟  
أتعلم أنك تنمي حجة الاسلام وعلامة الزمان وفخر الامة المحمدية بين الآنام ،  
ياهل المصائب ويا الفداحة الخطب فقد جاز الزمان واستبد ، وعبثت الايام بهذه  
الامة التي اناخت عليها الولايات بكلاهما ، أي كل يوم نمنى برزء جسيم ويموت  
رجل عظيم ، أي كل يوم نصاب في الصميم ؟

أيها الدهر الخوون لقد جرت في حكمك اليوم واشتدت قسوتك ، أطفأت  
سراجا وهاجا كان يهتدي به المسلمون في ظلمات هذه الحياة ، ويسرون على ضوته  
في دياجى الليالى الحالكات ، أتعمد الى ذلك النور فتخمد أواره وتشاهد هذا  
الحال فتتهتك أمثاره ، تول أيها الموت كيف تجامرت على اختطاف تلك الروح  
الكبيرة والاقتراب من ذلك الجسم المتأجج بحب الاسلام ، ألم يخيفك ذلك  
الاشتعال ، ألم تقف ولما نا حائرا أمام تلك النفس التي تسيل جزعا على تقطع  
المسلمين أوصالا فتفتت في كل طرفة عين من الحكم البالغة مالو وعاء المسلمون  
لأستعدادوا بحدم الدائر وحظهم المآثر ، ألم تستهوك تلك الحكم النيرات ألم تترث  
لتأخذ درسا في الرحمة والاخلاص ، ألم ترهيك تلك النفس التي كانت تغلي  
مراجلها في ذلك الصدر الرحب الفسيح الذي لم يتسع لغير الدين الصحيح قوعى  
أصوله وضبط قروعه ، ألم تفرعك تلك الحشرة و كاهانيرات ألم وصدى أوصاب  
على قهقر المسلمين وتأخرهم ، بالله كيف استطعت أن تحمل تلك الروح وقد  
ناب بمحملها العالم الاسلامي بأجمعه ؟ تالله اني لم أكن يوما لاشعر بفراع في جانب



المسلمين لا أرى من يسده كما أشعر في هذه الساعة ، وكل من يعرف الى أي درك وصل المسلم اليه في الانحطاط الديني والاخلاقي والادبي والسياسي وكيف أضاع حيثيته ومركزه يدرك أن السبب الجوهرى في هذا التأخر المشين إنما هو جهل المسلم بحقيقة دينه القويم ، ويفهم أن العالم الاسلامي لم ينجب عالما دينيا منذ أربعين سنة يصل الى درجة حجة الاسلام السيد محمد رشيد رضا ولذا فلا بدع أن تتفرح الجفون حزنا وتسيل الدموع أودية على نبراس الفضائل وسراج المعرفة ومنار السنة ونصير الحقيقة والصادع بالحق في وجه الباطل وستثبت الاجيال القادمة من هو السيد رشيد رضا لا أدري من أين أبدأ في سرد أعماله الخالدة، ولا ماذا أقول وانى لفقر من المعاني وعاجز عن التعبير أن يوفي الفقيه العظيم حقه غير أن الواجب يقضي علي أن أقول كلمتي التي إن دلت على شيء فلا تدل سوى على تقديري لخسارة العالم الاسلامي بموت هذا العلامة القدير والخبر الجليل ولا استطيع أن أحدد أعظم عمل قام به الراحل الكريم وكل أعماله عظيمة، فالمنار مجلة العلم والدين والحكمة ، والاخلاق والارشاد والسياسة، والقاريخ والاصلاح والدفاع عن حقوق المسلمين المهضومة والادب ، مجلة كلفت تيارات الزمان واستمرت تفسر من القرآن ما أشكل على المسلمين من آياته وتحلل من حكمه وبيناته، وتنشر إعجازه وغريبه وتقرر أحكامه التي وضعها الله لمبادئه وتأتي بفصول من أحاديث القرون العابرة للذكرى والاعتبار ، كم استورى الناس زنادها فأورت وطلبت الارتشاف من معينها فأروت، أفادت جميع المسلمين لافرق بين العرب والهنود والايرائين والأتراك والجاويين والافريقيين والافرنج والصينيين ، عرفتهم أصول دينهم وافهمتهم واجباتهم، وأنارت طرقهم ومهدت لهم السبل للسير في نور الهداية، وذكرتهم بمقظة رجالهم، وترجمت حياة الكثيرين منهم فخدمت العالم الاسلامي من أول يوم صدورها إلى اليوم الذي أغص الموت فيه عيني صاحبها فن لنا بمن يستمر في إصدارها ؟ أليس الخطب بربكم جسيم ، من سيدافع عن المسلمين إذا ما وصمه أعداؤه بالتعصب الذميم ونسبوا إليه السخافات الرذولة والخرافات المشثومة ، من شيخني لنا ذكر عظماء المسلمين





ويحل مشاكلنا الدينية من غير ان يعتصم بمذهب دون مذهب وبتقيد برأي دون رأي ؟ من هو المفتي اليوم وقد تولى رشيد واتقضت أيامه وفي الليلة الظلماء يفقد البدر ؟

لا أدري — أأبكي موت رشيد أم أندب إيباد أبواب المنار فقد مات بموت السيد رشيد علما ، ورشيد عالم يتدفق علما كالسيل الجارف في اندفاعه من أعالي الجبال وقدوعى كتاب الله وفهم أسراره ودرس درسا تحليليا سنة رسول الله ﷺ فعرف صحيحها ونبدغثها، فشرع يبحث عن أمراض المسلمين حتى شخصها وأخذ يصف لهم الادوية، فمنهم من واطب على الدواء فشفاه الله، ومنهم من أهمل فأخزاه ، كم ناضل وجاهد، كم جالذوكابد، وأخيراً مات فقيراً لم يأخذ من هذه الدنيا الفانية سوى الذكر الخالد والعمل الصالح ولكنه خلف للمسلمين تركة كبيرة وتراثاً ثميناً ضخماً، خلف لهم أعداد المنار لجميع ماضى من سني حياتها، وخلف لهم تفسير القرآن، ذلك التفسير الذي أتبع الفقيد في أبحاثه القيمة فيه أساليب العلم الصحيح، فأثبت أن القرآن صالح لكل زمان ومكان، وما تفسير عبده إلا نتيجة البحث والتنقيب في معاجم العلوم وكتب المعارف واستنتاجات العلماء الدينيين في جميع العصور الماضية مقرونة بالآراء، القويمة والافكار السليمة حذف منه الامراتيليات وأثبت المحمديات وأحيا به سنة سيد المرسلين فاستوجب من الله الرضوان وفسيح الجنان .

يأليت شعري أي تلميذ في هذا الوجود أخلص لاستاذة كما أخلص السيد رشيد للشيخ محمد عبده ؟ فلم تكن نخلو رسالة من رسالاته من نسبة الفضل فيها إلى الاستاذ الامام حتى توج كل ذلك في تاريخ حياته في كتابه الضخم الذي سيطلق على الايام ويحتازها إلى القرون القادمة شاهداً الى الابد على مروءته النادرة واعترافه بالفضل والجميل ، وأين التراجع التي عهدناها من ترجمة السيد رشيد لحياة استاذ الامام، فليست هذه الترجمة بتاريخ حياة فرد من أفراد الامة ولكنها خلاصة لتاريخ أمة بأسرها تمثلت في شخص الشيخ محمد عبده خاض فيها فقيدنا البحث وطرق المواضيع العلمية والاخلاقية والفلسفية والدينية والتاريخية وأنى



في المقدمة بكلمة عن موقف الشرق أستاذ أستاذ السيد جمال الدين الأفغاني  
وكانه وضع الناس حديث النهضة الحديثة في الشرق ورجلها وأسبابها وصورها  
في شخص الرجل الذي لا يفتقر عن ذكره، ولا يل التفكر في آرائه الصائبة،  
واستنتاجاته البقية ببقاء الزمان، ولقد كنت أقرأ هذا التاريخ يوماً في بربرة —  
الصومال وعندي صديق يستمع فوقفت فجأة وانحدرت دموع عيني كالوايل الهطل  
وبعد لحظة سألت الصديق عن سبب بكائي فأجبتني « إنما بكيت » كيف تصل يد  
الموت إلى عالم كهذا لا يستطيع الزمان أن يبقى حتى تنفذ مادته ، أقرأ بربك كتابه  
« نداء الجنس الطيف » فتعرف عظمة القيد إذ أثبت ما للمرأة في الإسلام من  
مركز ومقام، وأفهم العالم أن الإسلام لا يهضم حقوقها بل جعل لها من حماية  
الرجل وحماية الشرع ما يستطيع أن تعيش معها سعيدة موفورة الكرامة ، يالك  
من كاتب قوي الحججة ، سريع الخطر ، حاضر الذهن ، لا تعيقك عن إثبات الحق  
البراهين المقدمة تدلي بالآراء القوية والخفايق العقلية والنقلية حتى ترجع النفوس  
الظالمة إلى الحق وقد أرتوت بما أفهمتها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية  
والاستدلالات للمنطقية التي لا تقبل الجدل ولا النقض، ولكن واهالك يا رشيد  
واهاً فقد ذهبت وأخلت الديار، وأصبحت مع الأخيار في دار الأبرار، وابن نحن  
منك وقد بعد الدار وشط المزار والأسفاه على ذلك الرجل العظيم ، ذلك  
المعلم الخفاق ، فقد خفت ذلك الصوت الداوي الذي طالما رن ونينه في الأفاق،  
فاستفز الأرواح بعد خمولها، ووث فيها نشاطاً وأوجد فيها حياة ، ويشهد أبناء  
النيل أبي في قولي لصديق ، وتشهد الجزيرة العربية وتشهد جاوا والهند،  
ويشهد العالم الإسلامي بفضل عالم، قلبه السياز طالما صر فوق الطروس، فحفر  
النفوس، وزلزل العروش، وهذب المبادئ، وكون الأخلاق ، وطيب الأعمال،  
وأرشد إلى حسن، انساك ولوله يوافق السيد رشيد الأكتابه (الوحي الحمدي)  
لكفاه ذلك فخراً وأجالة إلى الأبد ذكراً، ولكن مؤلفاته أكثر من أن تحصى  
وهي أكثر من كثير أو تذكر في كلمة تأبين كهذه أكثر كلماتها زفرات، وجل  
بجلها أنات من قلب حزين يتدب حط المسلمين، ويعرف أنه كما احتفت جريدة



المؤيد في مصر نستخفي المنار وكالم يقم أحد بديلا عن عبد الكريم الزيني ولا  
عن محمد عبد الله حسن الصومالي ولا عن الهدي ولا عن عرابي باشا ولا عن جمال  
الدين الافغاني ولا عن مصطفى كامل وسعد زغلول والشيخ محمد عبده، فكذا  
نن يترجم أحد مقام السيد رشيد رضا، ولست أقول إن العالم الاسلامي لا يكتف  
رجالا أعلاما ونباريس أولي فهم وادراك، ولكني أقول إن النفوس متضائلة  
والأخلام حقيرة، وأنه لا يوجد رجل ينسج بنفسه في سبيل مبدئه الديني ويعرض  
صدره لسهام الانتقادات المرة الكرة تلو الكرة كما فعل السيد رشيد رضا ونحن  
في عدن كما نستنير بمنارة ونسترشد بعلمه، وطالما كتب رحمه الله المقالات وحرر  
الفتاوي لارشادنا، ولا يسمعنا الا ان نستمطر الرحمت من ندين العلي الاعلى على  
روحه الطاهرة آمين.

محمد علي ابراهيم لقمان

رئيس نادي الاصلاح العربي بـعدن

## تعزية جمعية الرابطة العلوية

في بتافيا بجاية

لقد انهلت القلوب جزا وامتلأت الجوانح أسى وحزنا، لما أن بلغنا نعي  
صاحب السيادة العلامة الكبير المرحوم السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار فقد  
تقد العالم الاسلامي فيه علامته الكبير وحبره النحرير وحاميا عظيما عن ذماره،  
وذائدآ عن حياض دينه وفناره، ومفخرة علمية كبرى بل تاج فخاره رحمه الله  
رجة الابرار وأخلفه علينا بنخيل خلف وعليه فلا عجب اذا اهتزت البلاد  
الاسلامية أسفا وروما وبكت الافئدة والعيون جمعا

وتقدم رقيق تعازينا في الفقيد لشعوب الاسلام والعرب عامة، ونخصص  
حالة الفقيد الشريفة المصونة بأرقها راجين من المولى جل وعلا أن يطر على ضريح  
الفقيد العظيم شآبيب رحمة ورضوانه ويسكنه فسيح جناته ويخلفه على العالم  
الاسلامي خلفا صالحا ويلهم الجميع لا سيما ذويهم الصبر والسلوان

عن الهيئة المركزية للرابطة العلوية

الكتاب الاول: السيد احمد بن عبد الله السقاف



## كلمة الدكتور عبد الرحمن شهبندر

في حفلة التأين

-----

ابتدأت النهضة في سورية دينية كما ابتدأت في معظم الاقطار الاخرى. سبب بدهي - وهو اعتقاد الناس أن بلاءهم من انفسهم فهم يخطئون ولكن دينهم. الذي يقدسونه لا يخطيء، وهم ينحطون ولكن العقائد التي توارثوها عن ائمتهم. لا تنحط، فلا بد لهم والحالة هذه من أن يرجعوا إلى دينهم إذا ارادوا أن يعودوا سيرتهم الاولى من الرقي والنجاح، ففيه المكنوز المحبوة التي تحقق لهم رغباتهم. وكانت الحلقة التي سارت أبعد شوط في هذا المضمار في سورية مؤلفة من الاساتذة الرحومين: الشيخ طاهر الجزائري، والسيد سليم البخاري، والشيخ عبد الرزاق البيطار، والشيخ جمال الدين القاسمي، والسيد علي مسلم وغيرهم، وكان من حظي ومن حظ الاستاذ محمد كرد علي ان يلتحق بهذه الحلقة المباركة فكان يطلق علينا للتشهير بنا اسماء مختلفة آخرها اننا (وهاية) وهي كلمة لم تمن في نظرنا يومئذ الا ما تعنيه اليوم في كثير من الاوساط في انها طريقة الرجوع إلى السلف والاعتماد على كتب المؤلفين أمثال ابن تيمية وابن القيم ومن حذا حذوهما من الأئمة (رحمهم الله)

معرفتي بالسيد رشيد ماما : وفي تلك الفصول طلعت علينا من القاهرة بحلة (المنار) فعرفنا ان لنا في مصر اخوانا ينطق بلسانهم الراحل الكريم، فكنا ننتظر وصولها بلمحة وشوق لنطلع منها على أخبار الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده واخوانه السلفيين المجددين

ومع كل المقاومات التي لاقيناها في الدولة العثمانية ولاقاها اخواننا في مصر فلا بد لنا من الاعتراف بانها لم تكن شيئاً مذكوراً بجانب ما لقينه رجال الإصلاح الديني في اوربا، ولعل من أسباب ذلك اننا ليس عندنا «أكبر وس» منظم له جيوشه وقواده ومصالحه الخاصة





أما معرفتي بالسيد رشيد عيانا فهي عقب الدستور العثماني في سنة ١٩٠٨ فقد جاء سورية زائراً بعد غيبة طويلة عنها ودعي إلىلقاء درس في الجامع الاموى فتآمر عليه الحاقدون على التجديد الديني والحرية والدستور وتآلبوا عليه بصورة كادت تنتهي بسفك الدماء فيما لفقوه واختلقوه عليه وزوروه انهم نسبوا اليه تحليل بعض المحرمات وتحريم بعض المحللات، ولولا تدخل كبار الاحرار لكانت ثورة رجعية حراماً، وهذا درس بليغ يجب الا ينساه من وضع الاصلاح الديني الاجتماعي نصب عينه مثلكم أيها السادة لانه يدل دلالة واضحة كيف أن اعداء الاصلاح لا يتورعون عن الاختلاق والتزوير في سبيل ما ربههم، وكيف انهم يتدربون بالدين للوصول إلى شهواتهم، وعلى كل حال فليس من الضرورة في شيء أن يكون أكثر الناس تشدقاً باسم الدين بافواههم هم أقرب الناس إلى الله بقلوبهم وعاليج السيد رشيد رضا الشؤون السياسية في حياته، فكان في ابان الحكم العثماني من انصار الامر كزية، وقارع الاستعمار مقارعة يشهدها بها كل من عرفه معرفة صادقة، وإن الخدمات الجليلة التي قدمها في الموضوعات الدينية متعددة وجوهرية فمنها سعيه المتواصل لاظهار الصلة القائمة بين المعقول والمنقول وأنها حليفان لا يجوز أن يفترقا، ومنها نشر الاخبار الصحيحة عن أخلاق السلف الصالح التي كانت سبب عزته ومناعته، أو نقص هذه الاخلاق في الحلف الحاضر. ومنها اهتمامه بالاخلاق الإيجابية - وهي الامر بالمعروف كما كان يهتم بالاخلاق السلبية - وهي النهي عن المنكر. ومتى عرفنا أن هناك تفاعلاً شديداً بين العقائد الدينية والعقائد السياسية واتصالاً وثيقاً أدركنا شأن الخدمات التي أداها السيد رشيد في النهضة العربية الوطنية، وستبقى مجلة المنار التي أنشأها بمجده وغذاها بمقله وعقل اساتذته وإخوانه سجل النهضة الدينية الحديثة، وإذا كان الموت درجات : موت يفرح له الناس وموت لا يتأثر به أحد من الناس فموت السيد رشيد رضا هو موت تهلع له قلوب الناس.



# تأبين الامام

السيد محمد رشيد رضا

بقلم سماحة السيد عبد الحميد كرامي زعيم طرابلس الشام

~~~~~

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا كانت الأعمال مرآة تنعكس فيها صورة أصحابها

وإذا كانت الآثار تنطق بقيمة أربابها

وإذا كانت الصفات الحميدة والبادية السامية والعقيدة الثابتة والایمان

الصحيح تدلّك على الرجل الموهوب صاحب الشخصية البارزة والعظمة الحقيقية .

فان فتيد الامة العربية المرحوم الشيخ رشيد هو ذلك الرجل العظيم والموهوب

الحكيم ، واني استشهد من الوقائع بأمرين

أما الاول فتلك الايات التي تركت دوياني جميع الاوساط وقد نقشها

صدر المجدد الكبير والفيلسوف الشهير الشيخ محمد عبده رحمه الله ومنها

هذا البيت :

فبارك على الاسلام وامنتحه مرشدا

« رشيدا » يعني النهج والليل قائم

فقلت جماعات ان الامام يعني بالرشيد فتيد اليوم

وقالت جماعات ان الرشيد تعود الاشتقاق العقلي فهي فعلت بمعنى الفاعل ،

وكيف ما كان الحال فان الفقيد لو لم يكن ذلك الرجل لما تبادر إلى أذهان الجماعات

أنه الرشيد المرجو !

وأما الامر الثاني فهو آثار الفقيد وتأليفه وإظهاره التعاليم الاسلامية الحقّة

بمظهرها الصحيح ووقوفه المواقف المشرفة في سبيل العروبة والاسلام ، فاذا ما كتب



ففي عقيدة وإذا جادل فليقنع أو ليقنع ، فهو إذن رجل اجتمعت فيه مزايا الرجل وحلاها بغزارة العلم ونبالة الخلق وسمو المبدأ وشدة الاخلاص وأصالة الرأي حتى كاد يتهمه البعض بالشدة، وما ذلك إلا لعدم محاباته لاحد في ما يعتقد أنه حق . وقد امتاز الامام الرشيد في ثقافته وعلمه، وتفوق بالوفاء والاخلاص، وكل من يعرف أكثر مني كيف كان وفيما باراً أميناً لاستاذ الشيخ الامام محمد عبده على لخص ، فعنده يتلاقى العقل بالادب ويجتمع المنطق وسداد الرأي ، ويتفق العلم مع الدين ، ويكفيه فخراً أنه وضع حداً لما علق من الريب في اذهان الناشئين ، ولكل ما كان يلققه الفرنجة خاصة من أعداء الدين ، وأن السيد رحمه الله قد عرف وهو غريب الدار في مصر أن يجعل الامة المصرية الكريمة تجمع على حبه واحترامه وتقديره ، وهما هي حقتكم اليوم ناطقة بذلك الاحترام ، معلنة هذا التقدير الذي أذكره بالخير والفخر لمصر قلب العروبة النابض ، مصر المضيافة الآخذة بمن يهبط بها من رجال الادب ورجال السياسة الى الذروة العليا فتغذيهم وتقويهم وتلمهم بما هو كامن فيها من سحر وقوة وجمال .

فاذا كانت أبناء العروبة والاسلام مدينين للعقيد العظيم بما ألف وكتب ونشر فان السيد رحمه الله مدين بمظمتهم لمصر الخالدة العاملة على تشجيع ذوي الرغبة في خدمة أمتهم وبلادهم بما قدمت له وبما نفعته به ومدين أيضاً للعالم الاسلامي بما أحاطه به من رعاية وتقدير وبحسن استفادته من علمه وفضله .

إن العروبة والاسلام المنجوعين بتقيدهما الخالد وبولدهما الامين الاير ولكن تعزيتنا أيها السادة هي في بقاء رجال مصر وكواكبها المنشورة في سماء العبقرية فذلك يخفف عنا أعباء المصيبة بتقيدنا الذي نسأل الله له الرحمة الواسعة ، والجنة الميمنة ، كما نرجو لبلاد العربية جماء وحدتها الشاملة ولمصر استقلالها الكامل لتعيد مجدها الغابر ، وعزها الدابر ، وفي ذلك أكبر عزاء ، وأفضل رجاء ، والسلام عليكم ورحمة الله





# عواطف ابن زيدان

## نحو فقيد الفضل والعرفان

~~~~~

لقد فقد الهدى اسمى فقيد  
فما دلفقده الاسلامُ حزناً  
ووداً (فؤاده) لو كان يفدى  
ولو يعطى. سواد العين فيه  
فقيد ماله خاف يضاهي  
إمام كان منه الشرع يجلي  
إمام شاد الاسلام حصناً  
إمام فاز بالقدح الملى  
إمام لا يجارى في المالى  
لقد أحيا الانام حياةً علم  
(بذيل) علومه الفياض روى  
فأصبحت المذاهب منه ثكلى  
وتعلن انه قد كان فرداً  
وأن له على الفقهاء طرا  
وأن له على الافكار فضلاً  
وأن له لدى العظام ذكراً  
إذا ذكرت ذور الإصلاح يوماً  
رسا بثباته فوق الرواسي  
ولم يعبأ بما قد كان يلتقى

بمعصر ليس فيه سوى (رشيد)  
وفقد (مناره) الزاهي المشيد  
فقيد بالطريف وبالتايد  
ليرجع هان في حق الفقيد  
جلالة علمه الهامي المديد  
ودين الله يسمو في صعود  
حسيناً صار رمزاً للخلود  
وخصل السبق والشأو البعثد  
وماله في المعارف من نديد  
وأرشدنهم إلى القصد السعيد  
عطاشاً في الصدور وفي الورود  
تقول لعينها بالدمع جودي  
يعز نظيره في ذا الوجود  
أيادي جدت خير العهود  
برد به أبا الفكر الشرود  
يرجع مثل ترجيع النشيد  
فان فقيدنا بيت القصيد  
وفي وثباته حتف العنيد  
من الازمات والدهر الشديد



وفضله ما عليه من مزيد  
ويغتر المميز بالوجود  
على طود تغيب في المهود  
مضى طبق المشيئة في العبيد  
يغر لدى المصاب إلى السجود  
بمثل فقيدنا الركن العميد  
على مشواه أنوار الشهود  
بما يرجوه من غان مجيد  
أم مطارف الذكر الحميد  
قاله وأمر بكتابه

أجمل فضله في الناس يوما  
وהל بعد الرشيد يطيب عيش  
فآه ثم آه ثم آه  
وأسكن لا مرداً لحكم مولى  
وהל يجدي سوى التسليم عبدا  
ويرجع عند ذاك إلى التأمي  
عليه رضى المهيمن ما تجلت  
وفي دار النعيم يقر عيناً  
ورحمة الله ربنا تلقى عليه  
ابن زيدان

خديم العلم والتاريخ

عن مكناس في ٢٥ رمضان عام ١٣٥٤ عبد الرحمن ابن زيدان

نقيب الاسرة المالكة في المغرب الاقصي

### وصف المقطم لحفلة التأبين

أقيمت أصيل أمس في دار جمعية الشبان المسلمين حفلة تأبين المرحوم السيد محمد رشيد رضا منشى المنار برئاسة فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الازهر .  
وكان في مقدمة الذين شهدوا هذه الحفلة أصحاب الفضيلة الشيخ عبد المجيد اللبان والشيخ ابراهيم حمروش والشيخ علي سرور الزنكلوني والشيخ عبد الوهاب النجار وغيرهم من شيوخ الازهر ورجال الدين .  
وحضر الحفلة ايضاً حضرات الشيخ فوزان السابق معتمد الحكومة السعودية وعبد القادر بك السكيلاني القائم بأعمال المفوضية العراقية وحمد الباسل باشا والدكتور نمر والسيد العالي والوجيه ميشيل بك لطف الله وانطون بك الجميل و خليل بك ثابت والدكتور خليل مشاقة والاساتذة خير الدين الزركلي وأسعد داغر وأمين سعيد وتوفيق بك هولوحيدر وغيرهم من أعيان السوريين واللبنانيين .

وجلس على المنصة فضيلة الاستاذ الاكبر رئيس الحفلة ومهدي بك رفيع مشكي سكرتيرها العام وبقية الخطباء مع آل الفقيد .



## كلمة رئيس المجلس الإسلامي الأعلى

بالقدس



بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الوطنى المفضال الاستاذ محمد على الطاهر المحترم

القاهرة — مصر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فقد تلقيت كتابكم  
الكريم المؤرخ في ٢٤ رجب ١٣٥٤ وفق ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٥  
والمتضمن قيام فريق من اخواتنا الاكارم بتأليف لجنة لتأين فقيده  
الاسلام الكبير منشىء المنار المرحوم السيد محمد رشيد رضا

انى أشار ككم فى القيام بهذا الواجب اعترافا بفضل الفقيد العظيم  
وما اثره الجليلة وجهاده المتواصل فى سبيل الاسلام والعروبة .  
وأشكر لحضرتكم اهتمامكم فى اقامة هذه الحفلة التأينية الكبرى  
لايفاء الفقيد الجليل حقه من الرثاء والتأين وتخليد ذكراه الحافلة  
بشتى المآثر والصفات .

واسأله تعالى أن يعوض الاسلام والمسلمين خير العوض ويجزي  
الراخل الكريم على ما قدم وبذل خير الجزاء .

وانا لله وانا اليه راجعون

والسلام عليكم .

رئيس المجلس الإسلامى الأعلى

محمد أمين الحسينى

٨ شعبان سنة ١٣٥٤



# السيد رشيد رضا

## كلمة الأستاذ محمد لطفي جمعة

كل من قرأ الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده تأليف  
المرحوم السيد محمد رشيد رضا ووصل الى صفحة ٧٩١ لا بد أن يكون اطلع  
على النبذة الآتية تحت عنوان ( إحالة الاستاذ الاستاذ محمد عبده بعض المستفتين  
على مریده المؤلف ) قال رحمه الله :

« واذكر من الاحياء المعروفين محمد لطفي جمعة كان كتب الى الاستاذ الامام  
وهو تلميذ في المدرسة الثانوية مکتوبات وأنه حضر ولقى الاستاذ واراد البحث  
معه في المسائل التي كانت تشغل باله وهو طالب ثانوي وقد وجدت كتابين  
للطفي جمعة رأيت أن أنشرهما لما فيها من الدلالة على بحثه في زمن التعليم في  
مسائل فلسفية وعلاقتها بالدين ومعرفة بمكانة الاستاذ وفضله والهامه الرجوع  
اليه فيما يهم، ووصفه التعليم في المدارس الثانوية، وقد قابلته ولا أذكر ما دار بيننا بالتفصيل »  
وبرجوعي الى الكتابين المذكورين رأيت تاريخهما ٢٤ فبراير سنة ١٩٠٤ وإذن تكون  
علاقتي بالمفتي الامام وتلميذه الرشيد ترجع إلى ٣٣ سنة، وفي الخطابين تصوير لخواطري  
في عهد الدراسة الثانوية وفيهما بحث في الله والمادة والكون وخواطر في النفس  
البشرية وخلق آدم وحواء الخ.

وإذن وجب على بوصفي من اسبق الاحياء إلى معرفته أن أفيد حقه من  
التأبين، وقد وقع حظي على موضوع علاقة المرحوم السيد رشيد بالمستشرقين وهو  
بحث غريب طريف لأن السيد لم تكن له علاقة حقيقية بأحد من علماء  
المشريات الا فيما يتعلق ببحثه أحيانا نادرة في آرائهم . وكان يقر بعضا منهم على  
النتائج الباهرة التي وصلوا اليها ولا سيما جولد زهر في كتابته على السنة المحمدية،  
وأقول إن دراستي لمؤلفات معظم المستشرقين الذين كتبوا عن الاسلام والتقائي  
بعضهم في أوروبا ومصر جعلتني أكون عقيمة ثابتة في أن الدين بحثوا في الاسلام منهم  
أبناء القرون الوسطى أمثال أديسون وباكون كانت تتأجج في صدرهم نيران الحقد  
والسكراهية واستمرت هذه النار في صدور بعض الذين بحثوا منهم في جانب





كبير من اعوام العصر الحاضر وهم اهل تعصب وحقد على الاسلام . ثم استجد عهد ادعى فيه بعض المستشرقين التزام الحياء وفيما كتبوه وقالوا انهم خالو الغرض وبريثون من سوء النية ولم يعودوا يوجهون الى الاسلام ونبيه شيئا من الذي اثبتته اسلافهم في كتبهم الخاطئة .

وينبغي ان اقول ان المستشرقين الحسني النية أدوا أعظم خدمة للاسلام وألقوا بمؤلفاتهم وجهودهم اضواء جديدة على أصول الدين الاسلامي الذي قلب العالم رأسا على عقب . وفي مقدمة هؤلاء نولدكه ويسنوك هيرجروينجيه وهما هولنديان ونيكولاسون وادوارد براون الانجليزيان وجولد زيمر النمساوي وليون كايثاني الايطالي وريتان ودي ساسي الفرنسيان

اما الآخرون الذين لم تتوفر فيهم النية الحسنة ولا الغيرة الصادقة الواجبة على كل باحث علمي فقد اتاح الله اقلامهم لنشر فضائل الاسلام على الرغم منهم وفي مقدمة هؤلاء مرغليوث الذي لطخ وجه العلم والتاريخ والادب بكتابه في حياة النبي لما حشره فيه من الاذكايب والباطل ، ويسرني ان اذكر أن بعض المستشرقين أمثال مويروسبرنجر وكايثاني قد سلكوا في النقد العلمي طرقا تختلف جد الاختلاف عن طرق البحث عند علماء المسلمين فوصلوا الى التسليم بصدق محمد وخلوص نيته والى التأكيد بصحة استعداده للوحي فعمدوا الى تفسير خفاياه ولكنهم عجزوا

أما المتأخرون من المستشرقين فقد استخلصوا اصول العقيدة الاسلامية وبحثوا اطوار نشوئها وترقيها وقالوا بأن بعض ما يعتقد المسلمون انه منزل من الله لم يكن غير نتيجة تطور بطيء أو تفسير لمسائل غامضة لم تكن واضحة في فجر الاسلام ونزعوا عن صورة النبي جميع ما أضيف اليها من الاساطير والروايات التي بدلت حقيقتها أو شوهتها

ثم تناولوا بالنقد الدقيق أقوال النبي وأعماله وحركاته وسكناته ووضعوا حدا فاصلا بين ما أوحى اليه وهو ثمرة الالهام وبين ما وصفوه بالمدركي نشأت في عقله على أثر اتصاله بالحياة اليومية وبعد أن استن السنن واشترع القوانين ووضع القواعد لتسيير الدولة الضخمة التي انشأها



فعلوا ذلك وهم يظنون أنهم يفصنون العنصر الا لاهي بعنايه الواسع عن العنصر  
الانسانى فقصروا العنصر الا لاهي على أعمال لا تحتل الشك ولا الجدل في نظرهم  
ورد العنصر الانسانى إلى أعمال الدولة وفي أثناء حياة المرحوم الاستاذ الامام  
كتب جبريل هانوتو مقالا في جريدة جورنال عن الاسلام فرد عليه المفتي رداً  
مفجراً ألزمه الحجة وارغمه على الاعتذار والتقلب في اعتذار كالافعى ثم نقل  
الاستاذ فرح انطون نبذاً من تاريخ ابن رشد من كتاب ارزست رينان ونسب  
فيها الى الاسلام أنه ضيق العطن حيال الفلسفة وأن غيره من الاديان أوسع صدراً  
للحكمة فانبري الشيخ محمد عبده للرد على رينان بادلة تاريخية وبراهين محسوسة  
حتى أزال أثر ما نسب الى رينان ومعظمه راجع الى اخطاء  
في الترجمة وقع فيها الناقل بحكم العجلة وقلة الخبرة . ومن غرائب المصادفات  
أن السيد رشيد وفرح كانا من بلد واحد وصلا إلى مصر في يوم واحد أما  
الموقعة الكبرى بين المرحوم السيد رشيد رضا والمستشرقين فهي رده عليهم  
في درسم للسيرة المحمدية وتفسير الوحي وهو سلم بأن علماء الافرنج درسوا  
تاريخ العرب قبل الاسلام وبعده على طريقتهم في النقد والتحليل ودرسوا السيرة  
النبوية المحمدية وفلوا فلما ونقشوها بالمناقش وقرأوا القرآن بلغته وقرأوا  
ما ترجمه به أقوامهم وكانوا على علم محيط بكتب العهدين القديم والجديد وتاريخ  
الاديان ولا سيما الديانتين اليهودية والنصرانية وبما كتبه المتعصبون للكنيسة من  
لافتراء على الاسلام والنبي والقرآن فخرجوا من هذه الدروس كلها بالنتيجة الآتية:  
أن محمد كان سليم الفطرة كامل العقل كريم الخلق صادق الحديث عفيف  
بالنفس قنوعاً بالقليل من الرزق غير طموح بالمال ولا جنوح الى الملك ولم يكن  
بما كان يعني به قومه من الفخر والمباراة في تحبير الخطب وقرض الشعر، وكان  
مقت ما كانوا عليه من الشرك وخرافات الوثنية ويحتقر ما يتنافسون فيه من الشهوات  
كالخمر والميسر وأكل المال بالباطل ، وبهذا كله وبما ثبت بعد النبوة جزموا بأنه  
كان صادقاً فيما ادعاه بعد استكمال الأربعين من عمره من رؤية ملك الوحي وإقراءه  
بأن وانبأه بأنه رسول من الله لهداية قومه فسائر الناس .

أما المستشرقون الماديون فرأيهم أن الوحي الهام يفيض من نفس النبي  
لوحي اليه لا من الخارج وليس فيه شيء جاء من عالم الغيب الذي وراء عالم  
لمادة والطبيعة الذي يعرفه جميع الناس، فان هذا شيء لم يثبت عندهم وجوده، وهذا



وهذا التصوير الظاهر الوحي قد سرت شبهته إلى كثير من المسلمين المرتابين الذين يقلدون الماديين

وقد أخذ المرحوم السيد رشيد على عاتقه الرد على هؤلاء الماديين في الصفحة ٧٨٨ من المجلد السادس من المنار سنة ١٣٢١ أي منذ أربع وثلاثين سنة : فرد على من شبهوا النبي محمداً بالأنيسة الريفية الجميلة جان دارك راعية الغنم بأنها لم تقم بدعوة إلى دين أو مذهب وأنها كانت مصابة بتوبة عصبية قصيرة الزمن معروفة السبب وهو بغضها لاعداء وطنها الانجائز وتعيينها قائدة لجيش ملكها وهجومها بعشرة آلاف جندي ضباطهم ملكيون على عسكر الانجائز الذين كانوا يحاصرون أورليان فدفعتهم عنها حتى رفعوا الحصار في مدة أسبوع وذلك سنة ١٤٢٩ ثم زالت خيالها الحماسية فهوجمت في السنة التالية ١٤٣٠ فانكسرت وجرحت وأسرت وحوكمت وأحرقها رجال الكنيسة الذين قدسوها بعد ذلك بخمسةائة سنة بالتمام فصارت سنة ١٩٣٠ القديسة جان دارك .

قال السيد جمال الدين الافغانى لبعض مجادلى النصرانية انكم فصلتم قيصا من رقاع العهد القديم والبستموها للمسيح عليه السلام وقال رشيد رضا للمستشرقين الماديين إذ—كم فصلتم قيصا آخر ما فهمتم من تاريخ الاسلام لامن نصوصه وحاولتم خلعها على محمد

والف السيد رشيد كتاب الوحي الحمدي ليرد على موثيقه ودر فنتجهم واضرابهما فنفى اسطورة اجتماع النبي ببجيرا الراهب في مدينة بصرى بالشام الذي قيل انه علم النبي

واثبت ان محمد ألسا خرج الى الشام مع عمه كان عمره تسع سنين وكل ما جاء فيها ضعيف الاسانيد الا رواية الترمذي .

وهذه ليس فيها اسم ببجيرا وفيها غلط في المتن وليس في شيء منها ان النبي سمع من ببجيرا شيئا من عقيدته او دينه .

وتناول مسألة ورقه بن نوفل احداقارب خديجة وحاول بعضهم إيهام القراء أن محمداً أخذ عنه شيئا من علم أهل الكتاب، والحقيقة ان ورقة كان عند بدء الوحي اعمى ولم ينشب ان مات، وتناول المرحوم هذه النقطة في تفسير آية





الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل وهـ الآية ١٥٧ من سورة الاعراف .

والاسلام سلمان الفارسي وغيرها ..

ولكن نار العقيدة ونورها تشتعل وتضيء في صدر المرحوم عند ما يرد على المستشرق الذي قال : إن محمداً كان يجد في التيجنت طمأينة لنفسه فكان ينقطع كل رمضان طول الشهر في غار حراء بجبل ألى قبيس . وهذه التجوم في ليالي الصيف في صحراء كثيرة البريق حتى يحسب الانسان أنه يسمع بصيص ضوئها وكأنه نغم نار موقدة .. ومحمد في ريب من حكمة الناس ويريد أن يعرف الحق الخالص قال : جولد زيهر في كتاب «السنة المحمدية» المكتوب باللغة الالمانية والمترجم الى معظم لغات أوروبا .

ليس الاسلام سبب انحطاط الشعوب المتمسكة به ، ولكن سبب انحطاطها ضعف عقولهم واخلاقهم وخطأهم في فهم احكام دينهم فقد أخطأ المسلم في فهم معنى التوكل والندرك كل الامور الى الحوادث واخطأ علماءهم في فهم ما جاء من انهم خير أمة أخرجت للناس فظنوا الخير مقرونا باسم الاسلام ولفظه لا بروحه ومعناه ، وفي هذا مخالفة صريحة لأوامر الدين وأمثلة السنة المحمدية المفادة من أقوال النبي وأعماله .

وكذلك اخطأ المسلم في فهم معنى الطاعة لأولي الأمر والالتقياد لهم فسلم جميع اموره للحكام وتركهم يتصرفون في اموره وظن ان الحكومة يمكنها القيام بجميع شؤونه بدون معاونته أو اشتراكه .

وهذه العيوب وغيرها راجعة الى طبائع الشعوب التي تدين بالاسلام وما ورثته من الاجيال الوثنية السابقة ، وقد مرت بها اليهودية أو المسيحية وتركت بعض آثار فيها ..

وبالجملة فالأمة المنتسبة للاسلام وتكون منحلة أو مغلوطة ليست أمة مسلمة إلا لفظاً وهي في الغالب وثنية تلبس ثوب الاسلام ، لأن بحوثنا المستفيضة أثبتت لنا ان الاسلام يرفع شأن المنتسبين اليه ولا يمكن ان يخفضهم بل تخفضهم اخلاقهم وعقولهم .



كل مطلع علي آداب الافرج يعلم أن علماء المشرقيات عنوا بغرس دوحه  
 يانعة للعلوم العربية فلما اينعت استثمرها النابون منهم أمثال ديوجيه، وجريه  
 ونولديكه، وساسي، وريتان، وكايتاني، ونيكلسون وبراون وجولدزيهروويلهاوزن  
 وقد شادوا للعلوم الشرقية والآداب العربية مجداً لا يدانيه في مجال التأليف  
 الاجلال مباحثهم، هؤلاء كلهم علماء انطوت مواهبهم العقلية علي حذق النقاد  
 ودقتهم، وقد أطاف كل منهم سحابة تطلعه حول جميع الامور من عال ودون  
 حتي كشف لنفسه منها مبدأ .

واتفق نولديكه، وليون كايتاني، ودي جوجيه، وويلهاوزن، وجولدزيه  
 ويكلسون علي صحة سيرة رسول الله التي الفها ابن اسحق ورواها ابن هشام ولم يكن  
 هذا التصديق اعتباطاً إنما نتيجة بحث واستنباط واستقراء وقد ظهر لهم أن ابن  
 اسحق المتوفى في منتصف القرن الثاني كان ثبتاً في الحديث والمغازي ودرس  
 علي أعظم العلماء المعروفين في زمنه والف سيرته واتبع فيها طريقة الاسانيد  
 وقد رأينا كتاباً خاصاً باخبار الرجال الذين روى عنهم ابن اسحق مطبوعاً في  
 هولندا سنة ١٨٩٠ أما السيرة ذاتها فقد طبعت في أوروبا سنة ١٨٦٠ وترجمت  
 إلى بعض اللغات الأوربية، وابن هشام الذي روى عن ابن اسحق كان  
 مشهوراً بعلم النسب والنحو وتوفي بمصر في أوائل القرن الثالث

ان فريقاً منها من المستشرقين يستعملون علمهم وأدبهم لاغراض سياسية في  
 الممالك الاسلامية والشرقية فهم يتقنون اللغات ويندسون بين ظهرانيهم ويقفون  
 علي أخلاقهم وعاداتهم ونظمهم واسرار دولهم، فمن هؤلاء هيرجرونيجه الذي أقام  
 في مكة وفي جاوى مسلماً وجورج شيل أقام في مصر ومكة مسلماً، وشارل  
 بيرتون حج والف في كتاب العرب وشعائر الاسلام كتاباً، ولين مؤلف كتاب  
 « المصريون المحدثون » .

وكانت الحاجة الي هؤلاء الناس ماسة وأعمالهم لا وطنهم مشرة عندما  
 كان أهل هذه البلاد الشرقية والاسلامية متمسكين بادابهم حريصين علي  
 حياتهم القومية .



أما الآن فقد أصبح كل شيء معروفا ومعلوما ومباحا بل أصبح المسلم في هذه الأيام حجة لغيره من أهل الأديان والملايخ الأخرى وفتنة له يضل بها عما أقام الحق من أعلامه، فإذا قيل إن الإسلام خير الأديان بل هو دين الله جاء في أكمل صورة يبعثه خاتم النبيين وأيدنا هذا القول بألف دليل — رأينا آلة واحدة تهدم كل ما بني من الأدلة وهي « لو كان الإسلام ديناً صحيحاً ما وجدنا أهله المستمسكين به في زعمهم على ما نرى من فساد الأخلاق وسقوط المهتم وضلال العقول » حتي أصبحنا فتنة لغيرنا

فلما كانت سنة ١٩٠٠ كانت الحال النفسية التي يعانها محمد علي أشدها فابهظت عاتقه العقيدة بأن امرأ جوهرياً يتقصه ويتقص قومه . ونسي النهار والليل والحلم واليقظة وقضى ستة أشهر في هذه الحالة ثم جاءه الملك !!  
وقد حنق المرحوم السيد رشيد علي هذا التصوير لبداية الرسالة فقال : إن هذا المستشرق أرخى لخياله العنان ونزع من جواده اللجام ، ونحسه بالمهاز فعدا به سبحانه ، وجمع به جمعا ، وقد حثت حوافره له قدحا واثارت له نقعا واذن لشاعريته أن تصف محمد آ عند الغار بما تحدثه في نفسه مشاهد نجوم الليل . وكل ما كتبه أوجله غير صحيح وتصل حمية المرحوم وحماسته عند ما يكتب  
« فمن أين علم هذا الأفرنسي أن محمداً نسي الليل والنهار ، والحلم واليقظة ، وأنه كان يقضي الساعات الطوال جاثيا في الغار أو مستلقيا في الشمس وأنه قضى ستة أشهر في هذه الحال — قد افترى في الأخبار ليستنبط منها أنه صار صلوات الله عليه مغلوبا على عقله غائبا عن حسه ، وأننا ننقل هنا أصبح الأخبار في خبر تحشته في الغار الليالي ذوات العدد من شهر رمضان في تلك السنة لافيا قبلها لتفنيد مفترياته وللإستغناء بها عما نقله من الخلط في صفة الوحي  
وخلاصة رأي الشيخ رشيد في الوحي وهو أهم مسألة عاجلها في حياته حتى جعلها آخر ما ألف ونشر قال :

« إن استعداد محمد للنبوة والرسالة عبارة عن جعل الله روحه الكريم كمرآة صقيلة حيل بينها وبين كل ما في العالم من التقاليد الدينية والآداب الوراثية والعادات المكتسبة إلى أن تجلي فيها الوحي الإلهي بأكمل معانيه ، وأبلغ مبانيه لتجديد دين الله المطلق الذي كان يرسل به رسوله إلى أقوامهم خاصة بما يناسب



عالمهم واستعدادهم وجعل بمثة خاتم النبيين به للبشر عامة دائمة لا يحتاجون بعدها الى رحي آخر، فكان في فطرته السليمة وروحه الشريفة ، وما نزل عليها من المعارف العالية، وما أشرق فيها من نور الله ، الذي تلوته عليك من آخر سورة الشورى : هو مضرب المثل في قوله تعالى في سورة النور (الله نور السموات والارض مثل نوره . )

فزيت مصباح المعارف المحمدية يوقد من زيتونة لا شرقية ولا غربية ولا يهودية ولا نصرانية بل هي الهبة العلوية

## كلمة المجاهدين السوريين

في الصحراء بوادي السرحان

أرسلنا المجاهد الكبير سمادة محمد عز الدين باشا الحلبي من النبك حضرات أصعاب السعادة رئيس وأعضاء اللجنة الموقرة لتأيين الأستاذ الكبير المرحوم الامام العلامة السيد محمد رشيد رضا - القاهرة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فانا نشاطركم الأسى على رزء الفقيد العظيم العلامة السيد محمد رشيد رضا رحمه الله فلقد فقدنا به ركنا عظيما من أركان العرب والانسلام وعلما فذا من أعلام العلم والتقوي ، وبطلا مقداما من أبطال نهضتنا الذائدين عن مخياضها والمتغابرين في سبيل إعلاء شأنها ورفع كلمتها وكيف لا يكون رزؤه عظيما وهو العلم المفرد بعلمه وصلاخته وأخلاصه لأتمته ووطنه وهيبات أن يجود الزمان بمثله ، أن الزمان به ليخيل .

فلو يمكننا فداؤه لقدمناه بالنفوس وبكل غال ورخيص وبكل جبان لم نجد جدوة في الجهاد الوطني الصحيح ولم يكن على غرارهم بعزة النفس وحب الحرية والكرامة واثن كرمته الامة قائما تكرم به البطولة والصدق والاخلاص . رحم الله الفقيد رحمة واسعة وجعل خاتمه خير خاتم السلف والهمنا جميل العبر والسلوان ونحيا الله الفائزين بحملته تائيدته من عظماء الامة وكرامها الشعاعيين بشعوره الخي وانا لله وانا اليه راجعون . عن النبك - وادي السرحان ٧ و ١٣٦٦

باسم مجاهدي الصحراء وأحد أصدقاء الفقيد محمد عز الدين الحلبي





يُؤْتِي الْحَاكِمَةَ مَنْ يَشَاءُ  
وَمَنْ يُؤْتِ الْحَاكِمَةَ فَقَدْ  
أُوْتِيَ قَبِيرًا كَثِيرًا وَمَا  
يَنْزِلُ إِلَّا أُولُو الْأَرْبَابِ

المجلد الخامس

أشبه ١٣١٥

فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ  
الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَمْرَهُ  
أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهُمْ  
وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَرْبَابِ

قال عليه الصلاة والسلام ان لا سلام صرى « ومنا » كمنار الطريق

٨ محرم سنة ١٣٥٠ ٣١ مارس سنة ١٩٣٦ م

# المستشرقون والاسلام

بقلم الدكتور حسين السراوى

مفتش صحة مصر القديمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله

وصحبه وسلم



## من احمد نسيم الشاعر

الى الدكتور حسين الهراوي

قف وقفة بين اجلال واكبار      واحد دقاع طيب الحى والدار  
 جلى « حسين » بشوط راح ينهيه      شأن الجواد اذا جلى بمضار  
 ما أنفك يهدي الى الاسلام منكروه      والحق ابلج لا يخفى بانسكار  
 يقظان ما هدأت يوما شقاشقه      كالفضل يتبع نهذاراً بهدار  
 في كفه قلم لو شاء أترعه      سم الاساود او شهداً لمشتل  
 صرق الحسد مبري له جدل      يرضى النبي ويرضى الخالق الباري  
 يراعه كقناة الخط يرهبا      سنان كل أصم الكعب خطار  
 تجري على الطرس آيا حين تقرأها      يجري دم الرشيد بالبادي وبالقاري  
 قويمه في ارتياد الحق أشرعها      لاأخذ بالحق لا للأخذ بالثار  
 تدفع الصدق من حيزومها صيباً      دفع الخضارم تياراً بتيار  
 من عترة رسول الله مشرقة      ملء النواظر من زهر وأقار  
 الله أنزل في الاحزاب أنهم      من أهل بيت كرام الحليم أطهار  
 ذا ارتضوا نزعات الاصر مائة      ولا أرتدوا برد آثام وأوزار  
 ولا تقطع أمر الله بينهم      ولا أصيب بنقص بعد امرار  
 أعظم بهم في مجال الدين من نفر      مهاجرين ذوي عزم وأنصار  
 قم يا حسين فاطمي كل مشمة      من الضلال تلقى زندها الواري  
 عجل لهم قطعهم خزا إذا حسروا      عن أوجه سفرت سوداء كالقار  
 مدوا بأيديهم البطل فاندحروا      قهراً أمام متين الابد قهار  
 لولاك لانقضت في الكفر ناشئة      كادت تفضل بمحساد وكفار



سر في طريقك وادمعهم بمحرقة  
 مستضعفون إذا ذلوا فإن قدروا  
 شريعة الله والمختار هازئة  
 مستشرقين أثاروا نعم حملتهم  
 يخفون تحت ستار البحث كيدهم  
 قوم أحق بلبس النعل مشرقة  
 تمسب وأكاذيب ملفقة  
 ما بالهم تقدوا القرآن وانصرفوا  
 واجهل الناس من يني عقيدته  
 وكيف تطلب منهم رشدة وهم  
 أن أبصروا الخير أخفوه وإن ظفروا  
 ولالذين استباحوا البغي ساهرة  
 في كل يوم ترى منهم أبا خطل  
 ضلت براعته في نفس باطله  
 بشرآة بالخزي في دنياه ممتطياً  
 لا تضر الله داراً بات ساكنها  
 إن كان العلم تضليل وشموذة  
 بقي ندوبا ذات آثار  
 جاءوا بمكر خفي السكيد كبار  
 بمقتدين على الاسلام أغرار  
 حتى كأنهم طلاب أوتار  
 وهم على دين قسيسين أحبار  
 ولبس منطقة شدت بزئار  
 من مقدعين وقح للنقد أشرار  
 في تقدم عن أصحابج واسفار  
 على شفا جرف من زينه هار  
 في الدين عمي قلوب عمي أبصار  
 بالشر أبدوه في جهر وإسرار  
 مشبوبة الوقد من ناس وأحجار  
 يقول أذعن غير مختار  
 كما يضل السرى في ظلمة الساري  
 متن الضلال وفي أخراء بالنار  
 ولا سقاها حيا وطفاء مدرار  
 فالعلم أقبح مدعاة إلى العار



حسين هل لك في حمد برده  
 كأنه باقة في روضة أنف  
 جادت عليها العزالي فعي زاهرة  
 قصيدة تضرب الدنيا بسنبيكها  
 فم الزمان إذا أدلى بأخبار  
 شتى الازاهير من ورد ونوار  
 وكل فاضرة الاكام معطار  
 فتنبه الذكر في يد وأمصار





أني تسر ترك الآفاق مشرقة  
 ضمها بمروتك الوثقى معطرة  
 حسبي بمدحك أعلاء وتزكية  
 جزاك ربك في آلائه نعماً  
 أعدك الدين للجلى إذا اشتجرت  
 دين من الله جللى كل واجبه  
 كالشمس ما أشرقت ببيضاء مسفرة  
 وبعد فانظر الى نفسى وما احتمات  
 همرت فيهم فضاغت مدة سلفت  
 سدوا عن الشدو آذاناً مصلمة  
 ان أنكروك فلا تحزن فقد نكروا  
 ككوكب مستفيض الضوء سيار  
 كأنها وردة من ورد آذار  
 في الشريف تعالى شعر مهيأ  
 موصولة بعشي بعد ابتكار  
 اعداد ليث قوي الزند زار  
 يوم استهل بأضواء وأنوار  
 تختال ما بين أشراق وأسفار  
 من حاسدين لاهل الفضل أغمار  
 عدتها بينهم من شر اعماري  
 ليست قضيبخ لورق فوق أشجار  
 من قبل فضلك آياتي وشعاري

احمد نسيم



## الفصل الاول

### أسباب ونتائج :

يحدثنا التاريخ أن جزيرة العرب عامة ومكة خاصة ، لم تكن قبل الاسلام مستعمرة لأحد ، ولم يفتحها فاتح قط<sup>(١)</sup> وكان العرب مدى تاريخهم أحرارا . وكذلك يحدثنا التاريخ أن العرب قبل الاسلام لم تكن لهم ثقافة ، أو دور تعليم ، ولم تكن لهم مدنية ولا تاريخ مكتوب غير ما كانت تتناقله الألسن راوية عن راوية ، وتلك هي ثقافة الفطرة . ولم يكن للعرب هيئة اجتماعية ، أو نظام حكومي بالمعنى الذي نفهمه الآن . وجل تفاخرهم كان بانتصار قبيلة على أخرى ، أو بتخليدها ، فكانوا أشتاتا من القبائل لا تجمعهم إلا ميادين الحروب أو أسواق التجارة أو مواسم الحج . ومن البين أنه لم تكن هناك أية فكرة أو ظن بينهم لجمع شتاتهم وتوحيد مجتمعاتهم قبل الاسلام .

ومن وسط هذه القبائل المفككة أو من أسحق الامكنة فيها سطعت أشعة الاسلام ، وفي مدى عشرين عاما من حياة النبي العربي الكريم ﷺ ، تكونت أمة تشعر بوجودها الادبي وتقوم برسالتها في الأمم المجاورة ، فتكتسح المعتقدات البالية ، وتقضي على ملك الفرس والرومان وترثه .



وليس لهذه النهضة الكبرى ، والثورة الفكرية العظمى سوى مصدر واحد هو القرآن ، وأداة واحدة في تأدية الرسالة هي شخصية سيدنا محمد ﷺ ، ومهما يكن من الظروف التي ظهر فيها الاسلام ، وأحوال العالم في ذلك الوقت ، فإن ظهور الاسلام من أجذب وسط في العالم ، ومن أوحش صحراء ، ومن أبعد الامكنة التي يظن أن العالم ينتقد على يدها - هذا كله - يعد معجزة لا شك فيها وإذا كانت النهضة العربية ومصدرها الاسلام وحده تعد آية فإن اكتساحها للعالم والمعتقدات وتكوين دولة تراث الرومان والفرس في مدى ثمانين عاما بعد سرّاً ليس من السهل أن يعود ، ومن المستحيل أن نجد له مثلاً في التاريخ (١) خصوصاً إذا لاحظت أن هذه الثقافة الجديدة قد هضمت الدول كلها وطبعتها بظابع خاص هو الطابع الاسلامي

بل المثير للدهشة والمعجب أن تظل هذه الثقافة الى الآن راسخة ثابتة رغم العواصف التي واجهتها ، والحروب التي عملت على فنائها



والتاريخ يحدثنا عن تنازع البقاء الدولي بين الشرق والغرب ، ويصف لنا من الحوادث مدها وجزوها ، وكيف بسط الشرق سلطانه وساد ، ثم كيف قاومه الغرب وردده واكتسحه أو كاد

وعلى الرغم من كل هذه التقلبات ، فالاسلام ديننا وقانوننا وثقافة اجتماعية وأخلاقية ، ثبت لكل هذه الموجات والعواصف والتقلبات ثبات الصخر على الشاطئ ، فذهبت كلها بذهاب الزبد على سطح الماء

والواقع أن أعداء الاسلام لم تهدأ تأثيرتهم ، ولم يفت في عضدهم بقاء الاسلام

(١) فتوحات الاسكندر و نابليون استغرقت زمناً يسيراً ولكنها ماتت بموت أبطالها



تقوياً مكنياً على الرغم من الحروب والدعائس في البلاد الاسلامية التي أثاروها ، بل كان ذلك غماً زاد المسلمين يقيناً وثباتاً واستمساكاً بدينهم ومحافظة على يقينهم ، لأن الاسلام يحفظ القومية ، ويشعر الناس بواجبهم نحو أنفسهم ، ويجمعهم في دائرة واحدة من العاطفة ، ويوجههم كلهم إلى قبة واحدة ، هذه القبة التي تنفي ازاءها القوميات والشعبيات ويتساوى فيها الناس أجمعون من جميع الاجناس والأوساط .

أضف إلى ذلك أن الاسلام هو أول مطلع للتفكير الحر ، والتحليل من قيود التقاليد ، وهو الذي يحث على الاسفار وجوب القفار والمشي في مناكب الارض ابتغاء الرزق . وهو في تعاليمه ينافي الاستعمار ، وينافي الخضوع لكائن من كان إلا للواحد الديان .

وفضلاً عن ذلك فإن الاسلام عطف على الأديان الاخرى ، وطبع الشعوب التي انتشرت فيها بطابع آخر هو الطابع العربي . فترى معتنقي الأديان السابقة له والذين يعيشون في البلاد الاسلامية تجمعهم بالمسلمين رابطة الطابع واللغة ، ويعطفون على الاسلام بداعي العروبة ، والعروبة هي الطابع الثاني للإسلام لغير أهله . بما سنه من المعاملة الحسنة ومصاهرة أهل الأديان الاخرى وتقوية روابط الامر ، ونشر روح الوثام بين الجماعات ولذلك اختلطت الانساب وتنوسيت ، ولكن الشائع في البلاد الاسلامية هو الأصل العربي سواء كان الشخص مسلماً أو غير مسلم . فأصبح المؤرخون في حيرة من تسمية هذا الامتزاج وتلك الثقافة ، فطوراً يسمونها الاسلامية وطوراً يسمونها العربية .

تلك حقيقة ، وذلك واقع ، ولم يخف عن الغرب ، وليس في حاجة إلى دليل . وليس من المستطاع انتزاع تلك العواطف من أفئدة الناس ، وليس من الممكن استئصالها بحملة عسكرية ، أو انشاء محكمة تفتيش أندلسية جديدة لمحاربة آراء الناس ولغاتهم وضمائرهم وعلاقاتهم .





فالمسألة كلها فكرية وعلمية ، ومحاربتها يجب أن تكون على أسلوب نشأتها :

ثقافة وغزوة فكر

من أجل هذا نشأ الاستشراق في بلاد الغرب ، وأخذ جماعة من الغربيين

يعكفون على لغات الشرق وتاريخه ودينه دراسة واستذكاراً وحفظاً وبحقيقاً

وتعلقاً في البحث .

هذا هو منبع المستشرقين ، وهذا هو مصدرهم ، وتلك هي الغاية التي

يعملون لها .

والباحث في هذه الموضوعات لا يعدم موضوعاً جديداً علمياً ، ولا يعدم

كتاباً قيماً مدوناً ، يعيد نشره ، ويحيي ذكره ، ليصبغ نفسه بصبغة العالم البري .

ومنها اصطبغ اسم المستشرقين بصبغة علمية

غير أن النواحي الأخرى التي عكفوا عليها وهي غزوة الفكر الشرقى في

قوميته ولغته ودينه كانت واضحة جليلة في أعمالهم لأنها الهدف الأول والغاية القصوى

والمستشرقون هم من أساتذة اللغات الشرقية في الجامعات وطلبتهم من أبناء

وطنهم ، وهؤلاء الطلبة يعدون أنفسهم للعمل في المستعمرات في الشرق ، وكان

لابد من المحافظة على قومية هؤلاء الطلبة . ولا بد للعناية بتربيتهم أن لا يكونوا

أداة عطف على الشرق أو مصدراً لاذاعة محاسن الاسلام ، ولادراك ذلك لابد

من تصوير الشرق بصورة بشعة قبيحة في أخلاقه وعاداته وآرائه ، ولا بد من

تصوير الاسلام في صورة منفرة ، وأن يكون هؤلاء الطلبة حرباً على الشرق

والاسلام .

كما لابد من أن يقوم هؤلاء المستشرقون بدورهم في تغذية جمهور أممهم بمثل

تلك التعاليم بنشر مؤلفات يصفون الشرق فيها بصورة مشوهة . ويصمون الاسلام

بكل الخنازي التي هو منها براء



ولذلك أصبحت الهوة بعيدة بين عواطف الغربيين والشرقيين ، وأصبح

التفاهم أبعد منالاً مما يجب

وقد تأثر الشرق نفسه بتلك الدعاية ، وكأنه من هذا التجريح والتشنيع  
شعر بضيقه أمام الغرب وألقى فريق من ضعفاء النفوس سلاحهم ، فاعتقد  
الشرقيون أنفسهم أن عاداتهم وأخلاقهم وقوميتهم وشعوبهم في مستوى أدبي  
وعقلي أقل من المستوى الاوربي ، وأصبح الشرقيون لا يثقون بأنفسهم في  
التفكير ولا في العمل الحر ولا في إدارة الاعمال ، وأصبحت تراهم إذا قرأوا  
في الجرائد أي جريمة عادية أو خبراً صغيراً ثاروا وقالوا إن ذلك مستحيل  
حدوثه في الغرب ، ولذلك أخذوا يقلدون الغربيين في كل شيء ، في المعنويات  
وفي الماديات

أما في المعنويات فقد شاهدنا اختلاط الالسن في الامر والبيوت ، ونبد  
اللغة القومية في الطبقات المتفرجة ، وكذلك في الزي النسائي ، واستعجات  
الاخلاق ، وضاعت تلك المودة القوية وصلة القرى ، وأصبح الشخص ينظر  
إلى أسرته المصرية الصعيمة من أعلى إلى أسفل ، يحاول خدع نفسه بأنه غربي ،  
وأنهم شرقيون ، ورأينا تياراً جارفاً من الادب الغربي يكتسح التفكير الشرقي  
والقومية الشرقية ، وانتشرت القصة العربية ، وهي قصص لا تخرج عن معاني  
الحب الساقط ، والفاظ الخنا ، وخيانة الزوجة ، وتهوس الشباب ، وسقوط المرأة  
التي يقابل الزوج زلتها بالعفو والصفح والغفران

كان هذا من أثر الدعاية أن العربية ينقصها أدب القصة ، فلا العربون هذا  
الفراغ بقصص لا تلتئم والشرف الشرقي ، ولا الخيرة الاسلامية ، ولا الآداب  
القومية . ثم هجم جماعة المبشرين على معادل الاسلام ، مزودين بالمسال والعلم  
والرجال ، فأصبحنا نرى المخازي والاغراء والقبائح ترتكب باسم الاديان ،



وأصبحت الاسرة الاسلامية يقتنص بعض أفرادها بالمال أو بالأغراء أو الاستهواء أو التنويم المغناطيسي باسم الدين . وترى ذلك متجلباً في دور التعليم الاجنبية ، وفي المستشفيات الاجنبية التي تحمل على بابها بالخط العريض انها بيثة ووكر للمبشرين في ثوب علمي شفاف . طرق لا يقرها عقل أو ذمة أو ضمير أو وجدان أضف إلى ذلك أن كل بلاد شرقي استعمر كان لا بد له من طلائع تجوس المديار ، وتستكشف الآثار ، وتكتب التقارير .

وكان لا بد لهذا الجاسوس أن يلبس ثوب العالم بلغة البلاد ، وأن يصطنع بحث العلمي .

وفي حالة دخول الجيش الفاتح لا بد لقيام صلة بين الاهالي والجيش المهاجم . والتاريخ يحدثنا أن هؤلاء كلهم من المستشرقين .

أما في حالة السلم فلا بد من وضع سياسة لمعالجة هدم الاسلام وتفريق كلمة أهله ، وإعداد النفوس لقبول التغييرات التي تدخلهم تحت النير

هذه مسائل علمية محضه ، ويقوم بها المستشرقون

فلتغيير الدين يجب أن يقال إن الاسلام دين مخترع ملفق ، ولهذا الرأي شيعة من المستشرقين ، وللأسخريه من الاسلام يجب مهاجمة شخصية النبي الكريم ولهذا أيضا شيعة من المستشرقين

ولتفكيك روابط العرب يجب أن يفهم الناس أن العربية الفصحى لا تصلح لشيء ، وأنها لغة قديمة وأن اللغات الدارجة أنفع منها

ولتفكيك روابط القومية والهبة الاجتماعية الشرقية يجب أن يمتزى كل شعب إلى أصله ، لأن العرب لم يكن لهم فضل في ثقافة أو تاريخ

ولا ضعف الروح القومية وقتل الاعتماد على النفس يجب أن يفهم الشرقي أنه غير مؤتمن الجانب ، وأن الاختلاس غريزة فيه ، وأن الشرف بعيد عنه ،





وأن بلاده وتربيتها لا تصالح إلا للزراعة ، وأن عقله غير مكون تكويناً تجارياً ، وهذا كله ليحتسكروا التجارة والصناعة ويتركوا للبلاد المستعمرة العمل الزراعي الشاق الذي لا يدر إلا الخير القليل

\*\*\*

كل موضوع من الموضوعات التي ذكرناها تخصص لها فريق من المستشرقين وقد أصبحنا نعرف وجهة تخصص كل واحد منهم ، ويمكننا أن نعد أسماء المحخصصين لكل موضوع من هذه الموضوعات كما سيمر بك في هذا الكتاب ، وكل هذه الموضوعات ذات مرمى سيئ ، وليست من الحقائق العلمية في شيء ، ولذلك فإن هؤلاء الناس قد ألبسوا موضوعاتهم الثياب العلمية ، غير أنه لم يتعرض لهم أحد بنقدها وإظهار ما فيها من غش وخداع وتلبيس ، حتى إن كثيراً من القراء قد خدعوا بها ودخلت الخيلة عليهم

ولذلك يجب تحرير الفكر الشرقي من تلك الغزوة التي طال أمدها وسثمنا تكرارها ، ويجب أن نبرهن هؤلاء الناس أنهم خادعون ، وأن الاخلاق الغربية لم تبلغ إلى الآن المستوى الشرقي ، وأن الزخرف البراق من المعاملة والطلاء الخارجي للمعاملات العادية لا يغير الواقع فالبلاد الغربية كالبلاد الشرقية فيها أخط الاخلاق وأشنع الجرائم من كل نوع

وليس الفكر الشرقي بأقل في مستواه من الغربي ، وإنما في استقلال المواهب نتيجة التربية الاستقلالية التي امتاز بها الغرب ونتيجة لازمة للحرية الشخصية والمساعدة الحكومية التي حرمتها الشعوب الشرقية ، إلا أن أول دعامة في تحرير الفكر الشرقي أن يعرف أسياد استعباده فيقف دونها حائلاً ، ويطلع على الصواب فيستزيد من مناهله ، ولا يقبل التفرير ، وأن يواجه هؤلاء المستشرقين بحقيقتهم ويعلم أن بضاعتهم منقوشة ولا أغراض غير بريئة ، وهي بضاعة زائفة صنعت في



معامل التفرير ، ولذلك عمدنا إلى الرد على بعض المستشرقين في هذا الكتاب وجعلنا الرد في أسلوب علمي ليعرف القارىء الحقيقة

والذي دعانا إلى وضع هذا الكتاب هو تلك الحادثة المشهورة التي اضطرب

لها عتلاء المصريين ، فانه لما صدر الرسوم الملكي بتأليف المجمع اللغوي الملكي بالقاهرة ، ووجدنا اسم قنسنك من ضمن أعضائه نشرنا شيئاً من مباحثه ،

ورددنا عليه ، وانبنى على ذلك خروجه أو إخراجهم من المجمع اللغوي وحلول

غيره مكانه ، وبذلك انفضح جانب عظيم من أعمال المستشرقين وحققتهم مما

سيتجلى عند قراءة هذا الموضوع في الصفحات المقبلة

أضف إلى ذلك أن هذا المبحث الذي خرج من أجله قنسنك كان بعض

الناس سرقة ونسبه لنفسه في كتاب ادعى أنه بحث في الشعر الجاهلي ، وبذلك

اتضح آفة أخرى من آفات المستشرقين هي أن بعض الناس من المسلمين

يجارونهم في تفكيرهم ويقتبسون آراءهم بغير نسبتها إليهم يقال إنهم من العباقرة

وفوق ذلك فقد عثرنا على بعض سفسطة المستشرقين من أن محمداً كان

على علم بالاديان السابقة وأنه اتصل في سياحته للشام بأهل العلم بما دعاه إلى وضع

قرآنه وتلك الفرية قد اتخذت سبيلها في التفكير الشرقي ورددنا على ذلك في

حينه كما سنزيده شرحاً في الفصول القادمة

والخلاصة أننا نريد تنبيه الناس إلى طلائع الاستعمار ، ومصدر تغذية المبشرين

وأدوات أذلال الشعوب الشرقية وتغريقها . وتشتيتها . وثبت أن هذا كله

من المستشرقين .

ولا ندعى أننا ندافع عن الإسلام بهذا السكتيب . فنحن أهون أن تكون

لنا هذه المنزلة الرفيعة . ولكننا نريد أن نهتك سترهم ونظهر حقيقتهم دفاعاً عن

قوميتنا . وعقولنا . وقديماً قال عبد المطلب أما الجمال فسادافع عنها ، وأما البيت

فله رب يحميه



## الفصل الثاني

### عجل قبل البعث

من البين أن مجيء القرآن ، وأثره في النهضة الفكرية العالمية كما رأيت - مسألة مدعشة حقاً .

وقيام شخص واحد هو سيدنا محمد ﷺ هذه الدعوة الناجعة التي اكتسحت العالم مسألة موجبة للحيرة ومعجزة بلا مرأى .

والمستشرقون يقفون أمام هذه الحقائق ذاهلين ، ويحاولون الدخول إلى هذا الصرح العالي من باب التشكيك والتضليل أو باب الاستنباط والقياس . والتاريخ يعلمنا ويعلمهم أن حياة العظماء لها طريقة في البحث والدرس ولها طريق مألوف وهو الابتداء بدراسة الوسط الذي نبغ فيه الرجل العظيم والظروف المحيطة به . ثم دراسة طريقة انتزاعه للسلطة أو قيامه على قيادة الأمة . ثم يأتي بعد ذلك دور تكوين الشخصية وأثر الثقافة المحلية والعالمية في نفسه وأثر هذه الثقافة في أعماله .

وقد أرادوا أن يطبقوا كل هذه النظريات والمباحث على حياة النبي الكريم ﷺ كما يدرسون مثلاً حياة نابليون والاسكندر وغيرها .

وأول ما صادفهم من الحيرة والفشل أن الوسط الذي عاش فيه سيدنا محمد ﷺ كان وسطاً فطرياً ساذجاً . ولكن هناك في محيط ذلك الوسط وجد بعض النصارى واليهود .

ووجدت ظروف بسيطة في حياته ﷺ من سفره مرتين إلى الشام يمكن أن يبنوا عليها القصور العالية من الأوهام .



ولا بأس من أن يجهلوا من هاتين المسألتين - وجود نصارى ويهود في الحجاز وسفروا إلى الشام مرتين ثانياً - موضوعاً للتشكيك والتضليل ولذلك نقبس لك أسهل طريقة وأبسط تضليل من كتاب درمنجهام - الذي نشر في السياسة الاسبوعية ورددنا عليه لانه كان أول مثار للبحث (١) ( والواقع أن محمداً منذ الساعة الأولى بل قبل أن ينزل عليه جبريل بالوحي . كان أشد ما يكون نفوراً من الوثنية التي نشأ ونشأ أهله من قريش فيها وأشد ميلاً لهذه المماني الروحية التي يتحدث عنها النصارى واليهود من أهل الكتاب . في أنحاء شبه جزيرة العرب ممن كان يتصل بهم في أثناء ذهابه إلى الشام وإلى اليمن في القوافل قبل أن يقوم بتجارة خديجة وبعد أن قام بها وهذه المماني الروحية في اتصالها بنفس محمد ﷺ المتوثبة منذ صباها للكمال . هي التي دفعت به إلى تحننه بفار حراء شهراً أو أكثر من شهر ان الله تعالى رضي للناس الاسلام ديناً مع بقاء الأديان السابقة . للقرآن وحده مندجة في هذا الكمال الروحي - أي الاسلام - اندماجا أشار اليه القرآن في قصص أصحاب هذه الأديان وما جاءوا به من الحق من عند ربهم وأشار اليه حين أراد أن يثبت محمداً ﷺ في أمر ما جاءه كما جاء في سورة يونس ( فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين )

وفي هاتين الفقرتين ملخص لآراء المستشرقين الذين يظنون أنفسهم أهلاً للبحث والاستنتاج دون أن نرميهم بشيء من سوء النية . ولعل ذلك أهدأ أنواع ضلال المستشرقين

ولما تسربت هاتان الفقرتان في الصحافة المصرية وعلى أيدي باحثين مسلمين





رأينا توضيح هذه الطريقة واظهار ما فيها من خطأ في تطبيق ما يقال عن عظمة  
العرب على حياة نبي عربي عاش في بيئة خاصة وفي محيط لا زال يتمسك بعاداته  
وأخلاقه إلى اليوم .

ولسنا نتهم هذا الرأي بأقل من أنه استنباط غير موفق ورأي خاطئ .  
نتيجة الجهل والخطأ في الحكم

فأنت ترى من هاتين الفقرتين أن سيدنا محمداً تعمق في درس الأديان  
وتلقى مبادئها على الرهبان في سياحاته وأن ذلك العلم هو الذي دفعه إلى التحنت .  
أما أنه خالط الرهبان وتشبع بمبادئ الأديان السابقة فذلك ظن أبس له  
من مؤيد ولو أنه كان كذلك لكان في كل عمل من أعماله دليل على ذلك وقد  
أحصى القرآن الكريم كل ما وجهه أعداء الاسلام وأعداء محمد ﷺ من التهم ومنها  
الكذب والسحر والشعر . وكل ما شئت من صنوف السب والشم والتهمك .  
والضرب بالحجارة والتحدي للقتال كل هذا قيل وليكن واحداً منهم لم يجرؤ أن  
يقول له إنك تعلمت هذا العلم على فلان . ولو كانت هذه الجملة قبلت لكانا على  
الأقل وجدنا عليها رداً في القرآن

ولو أن نفس محمد عليه السلام اعتنقت ديناً أو مالت لأي دين قبل الاسلام  
لوجدنا لذلك أثراً واضحاً في الحديث وقد سألنا الناس كل أنواع الأسئلة بلا  
خجل . وكان يرد عليهم بالصدق والأمانة التي اشتهر بها . ولم يرد ما يؤيد هذا  
الزعم ولعلك استنبطنا وكنا محقين في هذا الاستنباط أنه عليه السلام كان خالي  
الذهن من جميع الأديان وأنه اشتق طريقاً في العبادة لنفسه كما سنين ذلك في  
التحليل النفسي لحياة



أما الرجل والاسفار في التجارة أو مع عمه فقد كانت رحلته (١) الاولى مع عمه إلى الشام وهو ابن تسع سنين ولم يكن هناك مجال ما اتلقى هذه العلوم فليس شمة جامعات وليس للرهبان حلقات درس كما أنه لم يكن يومذاك جماعة من المبشرين الذين نراهم اليوم يقررون بالناس ، وكل ما حصل من الراهب بحيرا أن تنبأ لهذا الغلام مستقبل ديني وتوسم فيه استعداداً خالصاً لهذه الرسالة الكبرى والرحلة الثانية كانت وهو ابن خمس وعشرين من مكة إلى بصرى ومدة هذه الرحلة كانت ثلاثة أشهر

إذن فلتمش في هذا الطريق نفسه ، وانر واستنبط ما يمكن استنباطه ، ولتعرف عادات العرب وأخلاقهم

فأول ظاهرة خفيت عن المستشرقين من عادات العرب أن صغارهم لا يجالسون كبارهم ، ولا يمكن شاب حديث السن أن يجلس في مجلس الكبار ولا يناقشهم ، ولا يباح له أن يتحدث في مجالسهم

ولم يخبرنا التاريخ أن: محمداً ﷺ شذ عن هذه القاعدة ، وهذا دليل على أن كبار الرهبان وغيرهم لم يكن لهم من وسيلة لقلب عقيدة هذا الفتى كما يفعل المبشرون من أذئاب المستشرقين في هذه الايام

وأما الرحلة نفسها فيجب أن نلم بعمل التاجر الذي تكون مهمته من نوع عمل سيدنا محمد ﷺ والعادة الجارية في بلاد العرب إلى يومنا هذا هي أن يقوم التاجر ببضاعته حتى يصل إلى المدينة التي سيبيعها فيها

ثم يذهب إلى منزل وسيط التجارة فيمكث في منزله بضعة أيام حتى يصرفها الوسيط ويعطيه الثمن ثم يعود قافلاً

(١) تحقيق الطريق ومسافته وعادة العرب هذه رجعتنا فيها إلى فؤاد باشا الخطيب وزير خارجية الحجاز سابقاً ورئيس ديوان شرق الأردن الآن



فعمل التاجر في هذا السبيل ينحصر في المحافظة على التجارة في أثناء الطريق  
ومساومة الوسيط و حمل الثمن إلى أصحاب البضائع  
والمسافة بين مكة وبصرى تقطع على ظهور الابل في نحو أربعين يوما ذهابا ومثلها  
إيابا، ومدة إقامة التاجر في بيت الوسيط هي المدة التي تبقى من ثلاثة الأشهر التي  
قضاها سيدنا محمد (ص) في تلك الرحلة

فالوقت كله يقطع في الطريق وكانت رحلة واحدة ، فأى عقل إنساني أو  
غير إنساني يمكنه أن يستنبط أن سيدنا محمداً يمكنه أن يتعلم كل ما أتى به أو كل  
العلوم التي وردت عنه في وقت كهذا ؟  
وأي شخص أدعى للسخرية من مثل هذا الاستنباط الملقق القائل أن سيدنا  
محمداً في أسفاره تعلم من الأحبار

أضف إلى ذلك ما استنبطه فريدريك شولتهنس عندما جمع ديوان أمية بن  
أبي الصلت وطبعه سنة ١٩١١ (١) وأظهر في مقدمة هذا الديوان مقدار ما بذله  
عن الجهد في جمعه من كتب السير ومن شوارد أخبار الكتب ورأى أن أمية  
هذا كان قد ترهب ولبس المسوح ونظم قصصا مصدرها التوراة والإنجيل وكان  
يطعم في النبوة إذ أشيع وعرف أنه سيبعث نبي في زمنه  
وبعد ذلك بعث محمد عليه السلام . وأخفت آمال أمية فناوأ الإسلام  
وجاهر بعداوة نبيه .

ليس في الأمر غرابه فليس أمية بأول رجل في مكة أو بلاد العرب عرف  
شيئاً عن التوراة والإنجيل وليس هو أول من عادى الإسلام والتوراة والإنجيل  
والقرآن بين أيدينا شاهد بذلك وفي هذه الكتب توافق في بعض النواحي  
التاريخية واختلاف في نواح أخرى فليس من المستغرب أن يعرف شاعر عربي





شيئا عن التوراة والانجيل وينظمه شعراً ولكن المستغرب حقا أن يقول شوانهيس هذا إن محمداً عليه السلام استقى تلك المعلومات من المصدر نفسه الذي استقى منه أمية .

وليس أدل على الجهالة والتضليل في هذا القول وعلى التعصب الاعمى وقلة الخبرة من أن القرآن ليس بقصصه ولكن بأحكامه وبقانونه وبأعجازه ، وبآثره الاجتماعي والفكري . فهل اجتمع كل هذا في احد ؟ كلا . ولكن مستشرقاً يظن نفسه في منزلة علميه يطلق لنفسه العنان ويصدر الاحكام فيتلقفها طاعن من طاعن ومبشر عن مستشرق للتشكيك في مصادر القرآن

ولو طالعنا هؤلاء فيما زعموا ، وبحشنا عن كل حكم من احكام القرآن ومصدره . ورأينا حكما منها من السند والآخر من الهند والآخر من فارس ومن مصر ومن أتيننا وروما للزم لهذا النبي الكريم آلاف الاسفار والاشتغال بالجامعات عدة قرون قبل أن يأتي بكتاب لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله . لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

مثل هذا التفكير المزري يقول به المستشرقون وتهضم عقولهم أن محمداً أتى بما أعجز الانس والجن في سفره الى الشام ثلاثة أشهر منها ثمانون يوماً ذهاباً وإياباً وعشرة اقامة

ولكنها طريقة من طرق التشكيك وضرب من الهوي لا نشك أن القارىء عرف مغزاه



## الفصل الثالث

### التحليل النفسي لحياة محل قبل البعث

نحن ننكر إنكاراً تاماً أي أثر للأديان السابقة للإسلام في نفس سيدنا محمد ، وسواء سمع بها ورآها أو خالط أهلها وتعرف بهم ، فإن ذلك لم يترك في نفسه الشريفة أي أثر ، ولم يملق بذهنه من مبادئها وتعاليمها ما يجعله يفكر فيها أو يفضل أحدها أو يقلدها

وليس أدل على ذلك من أنه لم يرد في القرآن الكريم الذي أحصى كل التهم التي وجهها أعداء الإسلام لنبيه الكريم ما يؤيد هذا الزعم (١)

ومسألة التحنث في الغار والطواف بالكعبة وتوزيع الصدقات هي نوع التعبد الذي كان يتخذه عليه السلام قبل بعثه

فإذا قلنا إن التحنث في الغار له ما يشبهه في الأديان الأخرى فالطواف بالكعبة لا علاقة له بأي الدين النصراني أو اليهودي الذي يتعمل جماعة المستشرقين الأسباب ويخترعون الوسائل للقول باقتباس الدين منها

واقدر طبقنا حياته الشريفة على علم النفس الحديث لتعرف أي سبب دعاه إلى هذا النوع من العبادة إذا صرفنا النظر عن العامل الإلهي إلا كبر في توجيهه إلى هذه الوجهة

ولكي يمكن فهم هذا الموضوع سنقدم للقارئ مقدمة وجيزة في علم النفس والتحليل النفسي لكي يتفهم معنا تطبيق حياته على علم النفس والوراثة

(١) بل وجد فيه وصفه بالأمي ووصف قومه بالأميين ، ووجد فيه (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك ، إذا لارتاب المبطون )



لقد قسم فرويد العقل ثلاث مناطق

١ — العقل الظاهر . أو الواعي . أو منطقة الوعي

٢ — الذاكرة

٣ — العقل الباطني . أو غير الواعي . أو منطقة اللاوعي

فالعقل الظاهر أو منطقة الوعي تحتوي الأشياء التي يدركها العقل في وقت

معلوم ، وهي التي تهيمن على الإنسان في حالة صحوه وعمله

والذاكرة تحوي الذكريات الماضية أو مامر على الإنسان أو حفظه

والعقل الباطني يحوي الأشياء الممنوعة من الظهور بوساطة الوقيب العقلي

وفيها جميع الغرائز الموروثة ورغبات الإنسان التي تدفعه إلى رغباته المتعددة

ولكن يمنعها من الظهور قوة حاجزة تسمى بالرقيب ، لان كثيراً من رغبات

الإنسان لا تتفق والوسط الاجتماعي

والغرائز الموروثة في الإنسان تتجلى فيه من السنة الثانية من عمره باظهار

رغباته ككل الاطفال ولكنه يجد المقاومة لتلك الرغبات من الوسط المحيط

به والذي يختلف باختلاف السن والوسط

فان الوالدين أو المربين والأساتذة هم الذين يتولون ارشاد طفل في مدى

سنه الاولى وبذلك يبتدىء التصادم بين غريزته الاجتماعية والغرائز الاخرى

كالبهيمية والانانية، فبطبيعة الحال يصبح مضطرباً حياً في استمرار الالفه بينه

وبين المجتمع ( إلى اتباع خطة مواجهة للواقع فيتنازل قهراً عن الأشياء التي يريد

هو ويستعجنها الناس .

ومن العناصر الاساسية لنظرية فرويد أن الرغائب والميول التي تقمع وتبعد

الى العقل الباطني أو غير الوعي لا تمحي بل تبقى حية ولها أثرها في حياة الشخص

وتؤثر تأثيراً واضحاً من مظاهر الوعي بطريق غير مباشر فاذا كانت هذه الغرائز



المفعوعة سيئة أمكن تهذيبها بالقوة الدافعة المرافقة لتلك العناصر الفطرية التي في العقل الباطني وتوجيهها إلى طريق نافع يساعد على تقدم الشخص ويكون تأثيرها في الوعي نافعا . هذا ما يحصل في الاحوال المادية ولكن لنقص في التربية وخصوصاً المنزلية قد لا يحصل التهذيب في تلك القوة الدافعة وقد تستعمل في الاضرار بالتطور العقلي من الطفولة إلى المراهقة، مثال ذلك إذا تعلق الطفل بالديه — خصوصاً اذا كان وحيداً — فيكبر وليس لديه أي اعتماد على النفس وتكون النتيجة رسوخ هذا الميل عنده فلا يقوي على احتمال صعوبات الحياة وحده فاذا اضطر إلى ذلك اضطرراً أصابه الحنين وكانت عملية القمع — أو تخفيف لوعة فراقه — مسألة شاقة ومؤلمة وذلك لأنه بعد أن تعود الاعتماد على والديه يرى نفسه قد كبر وأصبح في سن خاصة لا تتفق ومركزه وكرامته أن يكون عالة ويتسبب عن ذلك ظهور أعراض مرضية في العقل الظاهر كالبكاء والحزن وكذلك قد تصيب الشخص في حياته وهو صغير صدمات مؤلمة يضطر إلى قمعها في العقل الباطني ولكنها تبقى فيه طول الحياة، وقد تظهر أعراضها في ظروف مختلفة إذ لم يستطع الرقيب قمعها تماماً فاذا فشل الرقيب في قمع هذه الصدمات تماماً ظهرت بشكل أفكار تجول في خاطر الشخص أو أعمال لا فائدة منها هذه مقدمة سطحية جداً في علم النفس يمكنك أن تتفهم منها النتيجة الباهرة التي وصل إليها فرويد وهي أهمية الغرائز في أحداث ظواهر عقلية خاصة في تصرفات الشخص في الحياة

وبنظرية العقل الباطني وأثره تفسر الاحلام وتحلل نفسية الاشخاص، ومهما يكن من تناقض الآراء بين علماء النفس فإن الجميع (فرويد وبنج واولر) يعترفون بأن العوامل الخلقية والوراثية لها كل الاثر في الأمراض النفسية . وكفايات الشخص





أما قوانين الوراثة فلم يوضع لها إلى الآن حدود وقواعد ثابتة يمكن تطبيقها بسهولة . وهي وإن كانت تفسر لنا الأحوال النفسية التي بين أيدينا إلا أن اختلاف طرق الوراثة في سلالة واحدة لا زال محتاجاً إلى تفسير وشرح كأن يكون الاخوان الشقيقان مختلفين في الأخلاق .

إلا أن ذلك لم يمنع المشتغلين بتأصيل الحيوان من تتبع سلالة الهجين وإمكانهم أن يستخلصوا منها بالتناسل سلالة نقية . فانه من الممكن ومن الأمور العادية جداً أن نحصل على جوارح عربي أصيل من أم وأب هجينين بتقوية الدم العربي في كل سلالة وذلك بالانتقاء الأقرب إلى الأصل الذي تريده .

هذه مقدمة لبحث التحليل النفسي لحياة سيدنا محمد قبل البعث، وسنرى أنه يستنبط منها أنه كان في ذاته وشخصيته وحدة كمال مستقلة ولم يكن في نفسه أي أثر للاديان الأخرى وأنه كان نسيج وحدة .

فقد رأيت مما شرحناه لك أن العوامل النفسية في العقل الباطني هي الغرائز النفسية الكامنة أو التي قامت وإن لها أكبر الأثر في تصرف الشخص .  
فلنطبق ذلك على حياته الشريفة .

فسيدنا محمد كان يعيش في وسط عبادة الاوثان . أو ما تقدم الاسلام من الاديان، فكانت هذه هي القاعدة الأساسية في المجتمع الذي كان يعيش فيه ، فإذا كان محمد ﷺ قد ورث في نفسه عوامل نفسية تخرجه على كراهيتها كان له أن ينتمى أو يبحث بها، ولكن عمليات القمع بوساطة الرقيب العقلي وغريزة الاجتماع وآداب العشرة نهته أن يعادي الناس ، فإذا كان شأنه مع نفسه؟ هذا ما سوف ننتظره من نتيجة التطبيق العلمي على ما أثر من حياته الشريفة في كتب السير المعتمدة .



## الحمل و الطفولة

إن سلسلة نسبه الشريف تنتهي الى اسماعيل و ابراهيم من جهة الوالدين وهو نسب معرق في النبوة . والعمل على تطهير العقائد . وسئل النبي عن نفسه فقال — أنا دعوة ابي ابراهيم — ( ابن هشام ص ١٥٥ )

ونسبه صلى الله عليه وسلم بانتهائه الى اسماعيل و ابراهيم ونوح المعترف بنبوتهم من الاديان الاخرى يجعلنا نطبق قوانين النفس والوراثة الاخلاقية على شخصه الشريف . ولو كانت قوانين الوراثة واضحة تماما ومحدودة في حدود علمية تامة — اسكان في تطبيقها أكبر لذة علمية . ولكن الناس يعرفون منها اليوم قوانين ونتائج لا شك في صحتها فيقولون عن السبع أنه يموت عطشا ولا يبلغ من ماء ولغ فيه الكلب .

وينقلون عن أبناء الملوك المعرقين قصصا طويلة ونوادير عن الانفة واحترام النفس فلا ننظر من مثل ذلك النسب الا وراثة غرائز أرقى من مجموع مستوى الناس على الأقل مما كان يتجلى في آبائه وأجداده . فانهم لم يشتهروا بالثروة والغنى . ولقد ولد عليه السلام في إملاق ولكن آباءه اشتهروا بالشرف والنخوة وعرف عن أهله شدة المراس والصلابة فيما يعتقدونه حقا . ولم يرث عليه السلام من آبائه إلا شرف النفس . وهو ما نعبر عنه باللسان العلمي بالغرائز والالهامات الراقية العالية .

يدلنا على ذلك أخلاقه قبل البعث ! وقار وحشمة . واحترام لنفسه ولم يرتكب زلة أدبية مما كانت تبيحه عادات الجاهلية . فلم يسكر ولم ينهب ولم يقتل إلى غير ذلك مما كانوا يعدونه من خروب الشهامة . وكانت أخص صفاته احترام النفس والغير . فلم يعتد على أحد ولم يطلب عنده حق لغيره .

كان هذا قبل النبوة . وقبل أن توجد عداوات وحزازات . شهدت بها يوفود أعدائه عند ملك الروم . وهذا أرقى انواع الغرائز والالهامات .



ولتشمش قليلا بعد ميلاده . فراه ولد يتيم الأب ولم يلتصق بأمه بل بعث الى الصحراء .

مسألة غريبة في هذه الحياة الخافتة . فقد علمت ان الالتصاق بالوالدين فيه مضیعة للاعتماد على النفس . وفيه معنى من معانى الرخاوة في الطباع وقد يكون في الالتصاق باحدهما مفسدة للأخلاق .

ولقد تبين من أمه طفلا فلم يكن له أمل في الاعتماد على أحد من الناس . اعتمادا قد يقتل من عزمه . أو يفسد من طباعه . ولننظر الى اليتيم وأثره في النفس .

أنا شخصا جربت ذلك ، فقد ولدت يتيم الأب وفي كفالة الأم وقد أورثني ذلك عوامل نفسية مؤلمة . ما تحدث بها الا أمضني الحزن والألم .

ان أول ما يشعر به اليتيم متى شب هو الاقرار بالواقع والاستسلام للقضاء والقدر . والرضا بما قسم له من نصيب محزن . لفقدان عطف الآباء . والمرشد الخبير في أوقات حرجة من ظروف الحياة التي تحتاج الى قرار حاسم من مطلع خبير . ويكون الدافع النفسي موجها الى الخضوع والوحدة . لا الى حب السلطان والمظاهر البراق . كما تعود النفس الخشونة وعدم العطف . فلا يعود اليتيم التذلل .

ولا المرح وهما اهم خواص الطفل في سن الصغر ، وذلك كله نتيجة الاخفاق في اشباع رغبات الطفل . والفشل المتوالي في نوال كل شيء يتلطفه أو يتطاع اليه أضف الى ذلك نوعا من الشفقة المؤلمة ، ونوعا من العطف أقتل للنفس من العقاب الصارم ، ذلك هو الحنان الذي يستجدي كأنه حسنة أو نافلة ، اذ ترى

قوما يظنون انفسهم على شيء من حسن الصفات يعطفون على اليتيم عطفا هو أشبه بالصدقة منه بالعطف ويشفعون عطفهم بالإشارة الى انهم فعلوا ذلك لیتيم

الشخص .

دعيت مرة الى مهرجان زواج ، وانا غلام صغير فوزعت الحلوى على الرجال





والغلمان وكان كل والد يحضر لنجله نصيبه من الحلوى ، وخرجت من الاحتفال وليس معي غير دموع تفرق ، فلم أصب من الحلوى قليلا او كثيرا ، ولم يلاحظ اخفاقي انسان ، فآليت على نفسي بعدها ان لا أذهب الي مهرجان (١) وتوفيت احدى قريباتنا وانا غلام ، وكانت تحبني لفرايتها من المرحوم والدي وكنت في نحو العاشرة من عمري ، فانسللت وحدي من المنزل لامشي في جنازتها اعترافا بهذا الحنان الذي كانت تظهره نحوي ، وبكيت عايتها كثيرا لانها ما كانت تراني حتى تذكر والدي وتبكيه ، وكانت هذه السيدة أصيبت بشلل ، فكانت تهتز في بكائها الى درجة اني كنت اشعر ان نوبة اغواء تعريها فاذا افاقت قبلتني فيتبال وجهي من دموعها

رأيت وفاء لها ان أسير في جنازتها وان اشيئها الى مقرها الاخير بتلك الدموع التي أرهقتها لذكرى أبي

ودفنت ، ووقفت على قبرها أبكي ، وكنت ألاحظ ان الناس ينصرفون في مركبات أعدت لهم ولم يدعني انسان لمركبته ، وبعد قليل ، وكانت الشمس قد قاربت المغيب ، وجدتنى وحيدتين المقابر ، لم يعرني أحد اهتمامه ، ولم يسأل عني سائل

هناك عرفت ان لا نصير لي في الدنيا ، ولا من يسأل عني ، وضربت يدي الى جيبني فوجدتني خالي الوقاض ، فافترشت الارض انتظر ما قدره لي الله لولا ان أسعفت بكماله حمار أعرج ، يسوقه امامه وسط القبور ، وهو يغني بصوت مهذج وأوصاني الى البيت على أجر اتفقنا عليه

(١) ولعل أمثال هذه الحادثة هي التي جعلت عليه السلام يرضى بالواقع. فلم يذهب الى سمر ولم يحضر ناديا



بعد تلك الحادثة لم أكن أذهب الى مكان الا بعد ان أفكر في طريق العودة وحدي .

هذه العوامل كلها توزت في الطفل شيئا كثيرا من الحسرة والاعتماد على النفس ، وتعلمه الحياة ومعناها وهو طفل فيعوض بنفسه ما فاته من عون والده ولذلك لم أشك في رواية بحيرا حين قال عن النبي ﷺ ( ما ينبغي لهذا الغلام ان يكون أبوه حيا ) لان مثله يجب ان يكون أستاذ نفسه ولا فضل لاحد عليه .

على ان هناك عاملا نفسيا قويا يختلج في نفس اليتيم وهو ذلك الشعور الذي يتولاه بانه ضحية القدر وانه بريء مظنوم في العالم ؛ فقد مرح الطفولة وابتسامتها العذبة ، وسرورها المستمد من عطف الوالدين وارشاد الوالد . فينظر الى العالم بالمنظار الاسود ، ويفكر في الانتقام من العالم لو استطاع الى ذلك سبيلا .

هذا سر من اسرار بعض النفوس ، فغريزة التخريب والهدم كامنة في النفس ولكن عوامل الضعف قد تكبر هذه الغرائز ولا يجمعها غير التربية والوسط ، ولم يكن محمد ﷺ في وسط يساعده على تكوين نفسه ولكن الظروف هيأت له ان يكون رقيق القلب وكأني بهذه الظروف ليست بنت المصادفة ولكنها إلهام وتوفيق من قدرة أقوى ، فكيف تهذب نفسه وكيف صار باراً بالعالم والفقراء واليتامى . وكيف استطاع ان يعرف نفسه وكيف تربت نفسه على العظمة ، ولم تفقد كبرياءها مع اليم والاملاق

ان ( نشأته راعي غنم ) هي السر في انتصاره على افكار ثورية تمليها الطبيعة البشرية وغرائز الهدم والتخريب وشعوره بظلم الحياة بفقد والديه

فلما كان غلاما تحمل مسئولية رعاية الاغنام التي هي مضرب المثل في الوداعة ، وهي لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا . وهي أجوج ما تكون لرعايته



من الذئب الذي يهاجمها

ولقد توفرت في هذه الصناعة كل العوامل التي يحجبها اليتيم كما أسلفنا من العزلة عن الناس اتقاء ما يصيب اليتيم منهم من إهمال وعدم عطف والزهد والاعتكاف حتى لا تتأثر النفس بضعفها في الحياة . فهي نوع من التربية النفسية لنمو غريزة المسؤولية ورعاية الضعيف والعطف على الوداعة . والشعور بالسلطان . والاعتماد على النفس

وان محمداً ﷺ يشعر وهو يرعى الأغنام بأنه ملك صغير له رعيته وعليه واجبه . وأهم هذا الواجب هو حمايتها ، من الذئب أو من اللص ، وهو في أثناء ذلك يمشي في الأرض ويفكر في الطبيعة بين السهل والوادي ، والجبل والصحراء ، يبحث عن رزق أغنامه ورزقه ، أليس ذلك يصرفه عن البطش بها ؟ أليس يعرف أنه مسئول عن ضياعها ؟ أليست هذه مسئولية تربي في نفس كنفه الشريفة كل تقدير للواجب وتعمده أن يكون راعياً كبيراً ؟ يرعى الناس فيما بعد .

« ٥ »

## حياته وهو غلام

في حياته عليه السلام أثر واضح للغرائز النبيلة ، وان عقله الباطني كان أنشط من عقله الواعي ، والهامة الطبيعي أشرف من الهامات الناس كافة

لقد عاش في وسط ليس للتربية القويمة أي أثر فيه . وقد يكون الوسط العربي في بلاد العرب اليوم مشابهاً له ، أي إن الغلمان لا يجالسون الكبار ، فلم يكن له فرصة التربية العملية تلقينا أو مشاهدة ، ولكنه كانت تربيته غرائزه الخاصة اذا صرفنا النظر عن القوة الالهية التي نعتقد أنها كانت مشرفة على أفعاله .

يتجلى لك ذلك في حوادث جمة نسوق لك منها حادثتين : الاولى ما ذكره



ابن هشام وغيره نقلا عن الحديث الشريف :  
لقد رأيتني في غلمان قريش تنقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان وكلنا  
قد تعرى وأخذ أزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة فاني لا قبل معهم  
كذلك وأدر اذ لكمني لا كم ما أراه لكمة وجيعة (١) ثم قال : شد عليك أزارك،  
قال فأخذته وشدته علي ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وأزاري علي من  
بين أصحابي

والحادثة الثانية هي الحادثة المشهورة اذ أراد أن يسمر بمكة وتتمتها كما جاء  
في قوله عليه السلام : فخرجت لادنى دار من دور مكة فسمعت شئاً وصوت  
دقوف ومزامير فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : فلان زوج فلانة لرجل من قريش  
فلهوت بذلك حتى غلبتني فممت

فما هو التعليل النفسى لهاتين القصتين اذا صرفنا النظر عن العامل الالهي  
الا كبر - فان هذا الهاتف وهذه الكلمة هما نشاط العقل الباطن نشاطا غير معتاد  
نتيجة الغرائز الشريفة التي أخفاها الرقيب العقلي على حكم البيئة التي يعيش  
فيها عليه السلام ، فسمعه صوتا وشعر به لكمة وهذا كثير الحصول في الامراض  
العصبية اذ يرى الشخص أو يسمع أو يشعر بأشياء لا وجود لها نتيجة العقل  
الباطنى وكذلك تعلق الحادثة الثانية بمغالبة دافع السر بغيره الاقتصار والرضا  
بالواقع ، ومواجهته ، فشغل حتى نام

وايس هناك فرق بين العقل والجنون الا قوة الرقيب فاذا ظهرت الغرائز  
التي لا تلائم المجتمع سمينا ذلك مرضا ، واذا ظهرت الغرائز التي ترقى المجتمع  
وتسمو بالشخص الى منزلة رفيعة ومثل أعلى سمينا ذلك شخصية فذة وعبقرية ،  
وعزونا ذلك الى الغرائز الشريفة الراقية التي لم يستطع الرقيب التغلب عليها  
بحكم الوسط ، فالوسط الذي كان فيه عليه السلام يبيح للاطفال تعرية سوءاتهم  
أما غريزته فكانت أرقى من ذلك ، ولذلك نشط عقله الباطنى ونهاه عن العري  
ويمكنك أن تؤول كل تصرفاته وهو طفل على هذا النحو فلا تجد هناك

(١) يظهر أن الرواية بالمعنى والا في استعمال وجيعة نظر





الا تعليلا واحدا وهو أن غرائزه كانت نبيلة غاية النبيل مما اشتهر به من الامانة والكياسة إلى غير ذلك من جميل الصفات

## محل تاجر

هذه الصناعة هي الصق الصناعات باخلاق الناس ودراسة نفوسهم وفضل السياحات عظيم في تربية الشخص الخلقية . وقد ظهرت لك غرائزه في أمانته . ولتذكر الآن المناصر الجوهرية في هذا البحث وهي صلة محمد ﷺ بالاديان الاخرى وهل هي التي أثرت فيه في التحنث بالغار أم لا ؟ يقول لنا جماعة المستشرقين إن صلة محمد ﷺ في سياحاته بالاديان الاخرى عرفتة الشيء الكثير عن تلك الاديان ودراستها ويخيل إليك انها كانت دراسة عميقة كدراسة الطالب الذي يتخصص في علم الطب والحقوق مثلا . ومثل هذه الدراسة لا بد ان يلزم الطالب فيها باب أستاذه مدة طويلة جدا . من الزمن . نوازي على الأقل مدة دراسة تلاميذ سقراط . ولكن ظهر لك انه لم يصرف في الرحلة الثانية غير ثلاثة أشهر منها نحو ثمانين يوما في الطريق . ويلوح لنا ان هذه الرحلة لم يكن الغرض منها سوى التربية النفسية . وتحمل مشاق السفر والمحافظة على الامانة التي عهد اليه القيام بها وهي توصيل التجارة والعودة باليمن . كما بينا ذلك مفصلا في الفصل الثاني الذي مر بك .

ولقد ادعى درمنجنام وغيره انه عليه السلام ذهب إلى اليمن ولم تؤيد كتب السير هذا الزعم . ولكنها أضيفت فقط للتحويل .

## دين محل قبيل الوحي

فلنتظر ما ذكره ابن هشام ونستنبط منه دين محمد قبيل الوحي وهل تعبد له صلة بالاديان الاخرى أم لا ؟

لم يرو لنا أحد من المسلمين وأعداء الاسلام شيئا عن دين سيدنا محمد قبل الوحي . بل كل ما قالوه هو انه ﷺ ( ابن هشام صفحة ٢٢٤ ) كان يجاور في حراء في كل سنة شهرا وكان ذلك مما محتث به قريش في الجاهلية والتحنث لغة هو التحنث



وقال عبيد — صفحة ٢٢٥ — فكان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه فاذا قضى ﷺ جواره من شهره ذلك كان اول ما يتدىء به اذا انصرف من جواره الى الكعبة فيطوف بها قبل ان يدخل بيته

هذا هو كل ما كان يفعله عليه السلام من التعبد قبل بعثه ولنطبق ذلك على علم النفس ايضا .

لقد نشأ محمد عليه السلام في الجاهلية التي كانت تحترم الكعبة وقد اوجدت الظروف التي طرأت على بناء الكعبة فرصة انقسام القبائل على حمل الحجر الاسود فكانت فرصة سانحة له اعطته ميزة الفصل بينهم وان يكون رداؤه محمل الحجر وان يكون له ميزة وضعه بيديه الشريفتين مكانه

فالهامات محمد ﷺ الطبيعية وغرائزه لم تجعله ينفر من الكعبة وهو يجهل ما سيكون لها من الشأن على يديه مستقبلا . وليس في التوراه والانجيل ما يدل على ان هذا هو بيت الله الذي بناه ابراهيم . فهو علي حكم البيئة التي نشأ فيها لم يشذ عن احترام الكعبة . ولكنه نفر مما حوت من أصنام . مما كان المجموع يدين به نقف هنا وقفة قليلة لتأمل هذا الفرق الهائل بين احترامه للكعبة ونفوره من الاصنام .

قال كعبه كما رأيت لاتمت بصلة لليهودية ولا للنصرانية . ولكن العرب كانوا يحرمونها احتراماً متوارثاً وكانوا يعرفون أنها بيت ابراهيم ولقد روى الكلبي في كتابه ( الاصنام ) أن منشأ هذه الاصنام هو شدة تعلق ابناء اسماعيل بالكعبة فكانوا كلما كثروا ورحلوا إلى جهة أخذوا حجراً من الكعبة ووضعوه في مكانهم الجديد وطافوا به تبركاً

ثم دار الزمن بهم فعبدوا ما استحبوا ونسوا مكانوا عليه فانت تربي من هذا ان احترام الكعبة موروث في ابناء اسماعيل ومنهم محمد ﷺ ولكنه نفر من الاصنام .



وهذا فارق كبير . وتاريخه عليه السلام يكاد يحوي كل صغيرة وكبيرة من تعبدته . بل كان يسأل بعد الاسلام من كل شيء . ولم نجد في عمل من أعماله دليلا هلى اتصاله بالاديان الاخرى

ولكن هناك أمر واحد تمحك فيه جماعة المبشرين بعد أن غداهم به فريق المستشرقين تلك هى القبلة الاولى وزعيم هذه الفرقة هو ستوك هرجرونيه وفنسنت طريد المجمع اللغوي المللكي . وسنبين هذه الشهادة عند الكلام عن هذا الرجل الذي وقفنا معه موقفا خالدا في هدم المستشرقين . على ان ذلك كان بعد البعث ولا شأن له بموضوعنا الآن . وعلى ان الاعمال الثلاثة التى كان يدين بها قبل البعث هى المجاورة فى القار وإطعام المساكين والفقراء فاذا انتهى ذلك الشهر طاف بالكعبة سبعا

فهل هذه الاعمال تمت بالصلة لاي دين من الاديان السابقة ؟

إذا كان هذا التعبد ان صح تسميته بهذا الاسم مصدره الغريزة والالهام وحده فهو على حكم الوراثة من جده الاعلى ابراهيم واسماعيل قد شق له طريقا وحده

ولم يقل لنا المستشرقون ومن جرى مجراهم أنواع هذه الصلة التى قالوا عنها بل اكتفوا بهذا الوضع للتشكيك لاغيره والا فاني انحدي من يقول بأن هذه الاعمال التى كان يقوم بها محمد ﷺ متخذة من الاديان السابقة اللهم الادين الحنيفة دين الاسلام وملة ابراهيم، ومحمد بغرائزه والهامه شق له طريقا وحده ولم يتشيع لدين ما قبل بعثه . وإلا لكان الكافرون من أهل زمانه حاجوه بما كان يعترف به أو يعمل به وليس فى القرآن إشارة ما إلى ذلك مع انهم حاجوه بكل انواع الحجج وطعنوه بجميع انواع المطاعن الا هذا . فهل ماخفى عن معاصريه اكتشافه المستشرقون فى آخر الزمان ؟

سبحانك هذا بهتان عظيم





## الفصل الرابع

محمد ﷺ وروح الاجتماع عند البعث

رأيت في الفصل السابق ان دين محمد ﷺ وتصرفاته قبل البعث كانت كلها من منبع الغرائز والالهامات العالية

وقديما قال الحكماء ان السر في عدم انجابه ذكرا ان أي ولد يخرج من صلبه كان محتوما ان يكون في درجة من النقاء يصل بها إلى درجة النبوة . وموت أولاده المذكور كان قضاء وقدرآ لانه معد لتلك الرسالة العظمى التي ختمت به ويقول لنا درمنجنام ان موت أبنائه قد زرع عقيدة زوجته السيدة خديجة في الاصنام . واتى لنا بقصص كلها خرافية جديدة بان نهملها (١)

والآن نقف وجها لوجه مع جماعة المستشرقين كلهم الذين كتبوا ويكتبون عن حياته كرجل عظيم . ونريد ان يتمشى معنا القاريء في هذا الفصل انري هل كان محمد ﷺ رجلا عظيما فحسب أم نبيا ورسولا ؟ ولو جدت عبقرية عظماء الرجال في عصره وفي بيئته كانت تقوم بما قام به أم لا ؟

رأى الباحثون من المؤرخين أن العالم كان في وقت البعث في حالة انحلال أدبي وسياسي عم شطري الكرة الأرضية

في الشرق كانت الصين والتبت تمزقهما الحروب الداخلية، والهند كانت

(١) يقول درمنجنام ان نسب زعزعة عقيدة السيدة خديجة في الاصنام انها كانت تقدم النذور والحلي لتلك الاصنام طلبا لحياة أبنائها المذكور من سيدنا محمد ولما لم تفلح هذه القرابين تزعزعت ثقتها وأغرت سيدنا محمداً بهدم كيائها

على ان الواقع ان أولاده الذكور كلهم ماتوا بعد الاسلام فلو كان استتاج درمنجنام حقيقيا وينطبق على نفسيته عاتق السلام لسكان موت ابراهيم آخر انجاليه سببا في ثورته عليه السلام على العالم أجمع . ومع ذلك فكل ما قال معاصرو النبي عند موت أولاده المذكور أن الله قلى محمدا فتزلت سورة (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى)



في فوضى أخلاقية نتيجة انتشار المذهب البرهمي الذي يعد من أركان هبة البنات  
الابكار للآلهة وأن يقوم البرهمي في دور الآلهة في الاستمتاع بالعداري مما لا  
يزال له أثر حتى اليوم ، وبهبة البنات للاستمتاع الديني في المعابد ويطلق عليهن  
اسم فتيات المعبد

وكان شمال غربي آسيا في حالة ركود وغموض ، وشمال افريقيا في حالة  
جراثي لها من الظلم الفاضح على ايدي فلول الرومان التي فقدت سمعتها  
الادبية ولم يبق منها الا بقية أنفاس تتردد كما تتردد آخر أنفاس المشرف على الموت  
وكانت اليونان تعاني ما تعانيه بقية البلدان لتبعيتها للدولة البيزنطية . التي  
كانت مشتبكة في حروب مع الفرس الذين كانت جنودهم تعيش في أرض الروم  
خساراً حتي انحلت أمة الفرس نفسها

\*\*\*

ومن هذا يتضح لك أن العالم كان في غمرة انحلال أدبي وسياسي ومادي  
وأخلاقي ولا يمكن نجاته الا بقوة خارقة تهديه سواء السبيل ، على أن العالم لم يكن  
خالياً من بذور الإصلاح فقد كانت اليهودية معروفة . والنصرانية لها بابوية  
زوما . وما زال هذان الدينان منتشرين للآن . كما توجد انقاض المدينتين اليونانية  
والرومانية .

هنا نقف بالقاري . قليلاً لنستعرض الآراء التي يقول بها منكر رسالة محمد  
ﷺ ونتمنى معهم قليلاً في استنباطاتهم ليري إذا كانت تهي لهم مثل تلك الدعوى  
قال المشرقون ومن لف لف لفهم إن محمداً كان على اتصال علمي بالاديان  
الآخري . وأنه استقى معارفه ومعلوماته من سياحته في الشام وباحتكاكه بمن  
يحضرون إلى مكة للتجارة . وقد زاد الغامزون اللامزون بأنه كان يحسن القراءة  
والكتابة ( مرجوايث ) بدليل الآية الكريمة ( اقرأ وربك الأكرم )



وادعوا أن هذا اعتراف بأنه كان يعلمها . وأنه قرأ عن كل شيء .  
إن تصديق مثل هذا الكلام فيه كل العبث بالعقل البشرى ، أما سياحاته  
في الشام فقد سبق عنها الكلام في الفصلين السابقين  
وهناك رأي آخر يقول به بعض المستشرقين وهو أن محمداً كان يقتدي بموسى  
عليهما السلام وأن دعوته كانت لحب السلطان .

يقول هذا القول المستشرق مرجوليث في كتاب تاريخ العالم العام ونقول  
رداً على هذا إن غرائزه وإلهاماته كانت واضحة تمام الوضوح واتهرقات الشخص  
في صفه دأبل على غرائزه وميوله . ولم يكن في غرائزه عليه السلام ما يؤخذ منه  
حب السلطان وحب المال والملك أو غرائز الهدم والافساد وحب الظهور وهي  
أظهر الغرائز في حياة الاطفال الذين يرجح أن يكون لهم شأن في المستقبل بل  
بالعكس كانت غرائزه العاملة هي التواضع والوحدة ونفي الخلاف، ولم يعرف  
عنه انه استغل سلطانه في الاستفادة المادية وهي أهم ما يطمح اليه العظماء .  
كذلك لم يشتهر بالشعر ولا بالدعاية لنفسه وهما أقوى التأثيرات في عصره .  
وفي كل عصر مما كان ينهي . له أن يجمع حوله جماعة الانصار يعذبها العدة المستقبل  
الذي يتهيأ له لو انه شخص ذو مطامع

هذان هما الرأيان السائدان في كتب المستشرقين وهناك رأي ثالث  
يستنبطه بعض المشتغلين بالفلسفة الحرة وهو أن محمداً عليه السلام كان على علم قليل  
بالاديان السابقة غير انه رأى أن العالم محتاج للاصلاح المعنوي والنفسي وان  
لا وسيلة لاصلاح المجتمع الا بهدم الجرافات والمعتقدات الزائفة فبدأ بالدعوة  
لهدم كل هذا .

وانك لتجد في هذا الرأي أثراً واضحاً للثقافة والتعليم الراقى، فاصحاب هذا  
الرأي ما حكموا به هذا الحبكم بالإلزام للاطلاع على تاريخ العالم الذي لخصناه لك  
في أول هذا الفصل ثم درسوا المعتقدات التي كانت شائعة في ذلك العهد وكذلك



تعلموا الموازنة بين الاديان ثم درسوا التاريخ السياسي والاقتصادي للامم كلها حتى القرن العشرين ولذلك كان هذا الاستنباط لا بعد استنباطا بل بعد تقريراً لما حصل . ووليد الاطلاع على الاسباب والنتائج وهو تفسير لسر الدعوة التي قام بها الاسلام .

فهو كان يتسنى لرجل عاش في الجاهلية الاولى أن يعلم كل ذلك على غير معلم في صحراء جرداء قحلة ؟ وهل من الممكن لعقل بشري أن يسمع كل هذا التحصيل والانتاج والتشريع وحده من غير معين من الاساندة أو الجهاذة . مع ما علمنا علم النفس اليوم أن للعقل طاقة وللذاكرة احتمالات لا يمكن تجاوزها من غير أن يختل توازنها اختلالاً عصبياً .

فأصحاب هذا الرأي يعرفون المقدمات والنتائج باجمعها فينسبون له عليه السلام قوة لا يتسنى لاحد من البشر ادراكها في ذلك الوقت الذي بدأ فيه الوحي وهنا سر اختلال هذا المنطق — وهذا الرأي . ففرق كبير بين أن تدرك الامر من أوله وبين أن تعرفه بعد نهايته بأربعة عشر قرناً . وان تعرف أسباب نجاح الدعوة وتضيف اليها استنباطاً من عندك . بعد ان تقرأ كل ذلك في كتاب واحد مأخوذ من آلاف المصادر .

ولو أدت دعوة محمد ﷺ إلى نتيجة عكس ما أدت اليه لما عدم أصحاب هذا الرأي الف حجة على خطئها وعدم ثقافة الداعي لها بما سنشرحه فيما بعد .

وهناك رأي آخر وهو على ما فيه من تهاون جدير بالذكر والتمحيص وهذا رأي أصحاب الفلسفة الحرة ايضاً . وهو أن ليس لعظماء الرجال حاجة إلى التعليم وان أكثر العظماء لم يكونوا من المتقنين بل يكفي للنجاح فكر صاف وقلب طاهر جبار وعزيمة صادقة واخلاص حر عميق وإيمان ثابت

وانا لنقف برهة أمام هذا الرأي لنقلبه وننقذ علي كنهه لان نواحي عظمة





الرجال متعددة . فإذا صدق هذا القول عن رجل سياسي يقيم ثورة أو يهدم عرشاً . أو يفتتح دولة ، أو يستأثر بسلطة فانه لا ينطبق على صاحب دين أساسه قوة الحجّة وسلامه المنطق ، ويتناول التاريخ القديم والحديث في زمنه فينفي ويثبت ويناقش ويجادل ولا بد لهذا كله من ثقافة وإطلاع لا وسيلة للالمام بها .

فإذا كانت الالهامات والاخلاص والايمان وحدهما هي مصدر كل هذه المعلومات فانه لا نشك ان مسافة الخاف بين منكري النبوة والمؤمنين قد قربت إلى أدنى حد لان الالهامات التي تتحدث بالغيب وتعلم المجهول ومحيط بتاريخ الاوائل والاواخر وتنفي وتثبت بطريق القطع ولصواب هذه الالهامات هي فيض من قبس الرحمن ورسالة من تملأ الاعلى

وليس الصدق الصرف والاخلاص الحر والايمان ثابت الذي لا يتحدث به صاحبه ولا يكتسب به شيئاً من حطام الدنيا بل احتمال مرارتها لهداية البشر وانقاذ الانسانية — ليس ذلك كله — الا مرتبة من مراقب النبوة .

وهناك مسألة جديدة بالنظر والتفكير وهي أن الاسلام ليس للزهد والاخرة فحسب . بل نظم أعمال الانسان في الدنيا لتكون وسيلة الى الآخرة . وشرع من القوانين في الحياة المدنية ما ينظم الهيئة الاجتماعية . وعلاقات الافراد والامم . وهذه ليست طريقة عظماء الرجال رجال الدول . أو رجال السيف . بل المعروف عن كل عظيم انه استعان بالاحكام العسكرية ليمنع حرية الناس في حدود القوانين التي يضعها لصالح الدولة أو الفكرة التي يقيمها وهذا هو الامر الشاذ في دعوة الاسلام . فلقد كانت مبادئه عامة

ولنتقل الآن إلى مسألة أخرى جديدة بالنظر والبحث وهي اننا لو فرضنا محمداً ﷺ رجلاً عظيماً فحسب هل كان يتبع تلك الخطة التي اتبعها في نشر دعوته ؟ وهل كان ينتخب لها ذلك الوسط والزمن اللذين قام فيهما ؟ وهل كان من صالحه أن يقوم بهذا النوع من الدعوة لله



لقد أجمع المؤرخون أن مكة كانت وثنية حقا . ولكن ما نضرر الذي يصيب العالم من عبادة الاوثان أو الاحجار مادام ذلك لا يؤثر في حياتهم ومعاشهم . وهذه أمة اليابان مثلا تغفلت في الوثنية إلى العهد الحديث ومع ذلك طفرت إلى المجد طفرة واحدة فالضرر الذي يحصل من عبادة الاوثان إن هو الاضرار في نوع من انواع التفكير الصحيح . وإذا كان الدين هو معرفة حقيقة الله فقط من غير أن يكون وراء هذه الحقيقة مبادئ أخرى تنفذ البشرية من برائن الاوهام واستغلال العقول لتساوت جميع الاديان . وهذا أديان نيكاد تلمس التوحيد ولكنها خالية من روح المنطق فتري في هذه الاديان أن البقر معبود مقدس . ويعبد روثها بركة وتشرب أبوالها في حين تعد فريقا من الناس نجسا لا يصح لمسه ونجمل هذا الفريق من الناس محكوما عليه أن يعمل في الاقدار والاوساخ . فما الفائدة التي تعود على العالم من مثل هذا غير العبث بالانسانية .

وهناك بعض الفرق التي اخترعت لها مذاهب في الاديان السماوية ورجعت بالانسان القهقري الى انواع عبادة الاصنام والاشخاص . فيوزن صاحب المذهب بالذهب كل عام ويؤخذ هذا الذهب من اتباع مذهبه ، ومن هذا يتضح لك أن التوحيد هو تحرير الفكر من كل شيء ، ولنرجع إلى ما كان سائدا في مكة . قالمهم والواضح أن اليهود — اتباع الدين الالهي الاول — كانوا يستغلون أموال هؤلاء الوثنيين بالربا الفاحش إلى حد استعباد الناس ودفعهم بيناتهم للبغاء تسديداً للديون الباهظة التي جررها الربا الفاحش .

وقد كانت حالة العرب الوثنيين من الفقر والاملاق والبؤس والتشريد مما يستوقف النظر العادي . وكانت مصيبتهم الاقتصادية والادبية مما يبعث على التفكير في هدم اليهودية لا الوثنية . فاذا أضفت إلى ذلك أن مكة ليست بلداً زراعياً بل واد غير ذي زرع تكتنفه الجبال والصعاري علمت أن كل أرزاق



الناس كانت من التجارة ورعاية الماشية في الاماكن البعيدة .  
ومكة على حالها الا ان أهون بكثير من مكة قبل الاسلام . فورد مياهها  
الا ان متوفر من [ عين زبيدة ] الذي جر اليها بعد الاسلام وكانت قبل بلقعا  
جافا .

وإذا عرفنا أن محمداً ﷺ كان تاجراً فان هناك مسألة لا بد أنه كان يعرفها .  
وهي أنه رأى بعينه وسمع باذنيه . مصدر الم الناس وفقرم هذا الفقر الذي يقاسيه  
أهل وعشيرته من الربا والاملاق نتيجة طغيان أصحاب رؤوس الاموال من  
اليهود الذين استأثروا بتفسير القوانين بمكة ، فاذلوا بهذا التشريع أعناق العرب  
ودفعوهم دفعا إلى استثمار اعراضهم في البغاء (١) .

فالرجل العظيم الذي يوجد في مثل هذه الظروف لو كان غير محمد ﷺ  
ونصب نفسه للدفاع عن المظلوم ونصرة الضعيف فانه كان يتخذ طريقا مباشرا  
للقضاء على أصل الداء من منابته والتاريخ يدلنا على أن عظماء الرجال الذين عاشوا  
في مثل تلك العهود وجروا جهودهم لا قصر الطرق فقاموا بالدعوة للاشتراكية  
ومحاربة أصحاب رؤوس الاموال ، أو البشفية أو غير ذلك مما تراه مفصلا في  
كتب التاريخ عندما يستأثر بعض الناس بالامن ويستبدوا بالنفوس ، ولعل  
دراسة أعظم الرجال تدعونا الى تأييد هذا الرأي — فنبليون مثلا لما رأى الثورات  
تمزق فرنسا لم يقم بدعوة الى الزهد بل عمل على حصر السلطة في يده من طريق  
الحرب والقيادة ، وانتظم في سلك الجنود حتى وجه الانظار الى مهارته كفائد  
وأظهر نفسه وكبر من شأن عبقريته بفتح ايطاليا ثم عمد الى كل الطرق التي تجعله  
قنصلا قامبراطورا

ومحمد علي باشا . عمل مثل هذا أيضا

(١) نعم إن البغاء كان فاشيا في الاماء وكى يشترين للاتجار باعراضهن وفي  
ذلك نزل النهي في القرآن ( ولا تكررهن فتياتكم على البغاء إن أدرن تحصنا ) وقلنا  
كانت تزني حرة



وكان أسهل طريق أمام سيدنا محمد ﷺ أن يستغل عبادة الاوثان ولم يكن فيها  
وفي مبادئها شيء عن الربا ، فاذا جمع القلوب حوله وقبض على ناصية السلطة  
خرب نفوذه على ما حوله واستغله في الإصلاح وأول ما يوجه نظره هو الحالة  
الاقتصادية والاجتماعية من طريق مباشر يمنع كل ما كان يشكو منه الناس .

والمطلع على تاريخ العرب في الجاهلية يرى أن الدعوة كانت بمهدة لمثل  
هذا الرأي ، وما كان عليه الا أن يستثير عواطف الناس في سوق من أسواق  
العرب ويدعوهم الى دعوة اقتصادية صرفة فيلتف حوله جماعة من أشداه السواعد  
ومفتولي العضل ويهاجم بها بيوت اليهود فيأخذ أموالهم ويطردهم ويحرر الناس  
من رقهم المادي . ويدلنا على صحة هذا الرأي ما نراه متجليا من روح الكراهية  
للاصحاب رؤوس الاموال . وانتشار الدعوة الى الرفق بالمظلوم فقد كانت  
الشعراء والخطباء مهدت فعلا الطريق الى مثل هذه الدعوة وتألف فعلا أنصار  
لمن يقومون بمثل هذه الدعوة بذلك على ذلك اشتات من قصائد وأشعار جاهلية  
في وصف هذه الحالة كقول بشر بن المغيرة عن اليهود :

وكلهم قد نال شيعا لبطنه وشبع الفتى لمؤم اذا جاع صاحبه

وقال الاعشى :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراكم غرثى يتن خائضا  
كما يدلك على ذلك عادة وأد البنات في طبقة الاشراف ضنا بهن ان يكن  
في يوم من الايام موضع استغلال للبقاء

فن من عطاء الرجال يكون في مثل تلك الظروف ولا يقوم بحرب مباشرة  
ويستغل هذا الشعور الملتب ويضرب في الصميم بنهب اليهود وقتلهم ، هذا هو  
الرأي الذي توخيه الظروف ، معاداة اليهود وكراهيتهم وطردهم ، ولكن جماعة  
المبتدئين يقلبون الحقائق ويقولون ان محمدا أراد استغلال اليهود وهذا هو  
النطق المعكوس والكلام الهراء الذي لا يقوم عليه برهان ، فالعلل التي كانت





تشكو منها الانسانية لم تكن متجهة إلى العقيدة بل الى انواع المعاملات الدينية والاجتماعية .

اما أن يقوم محمد ﷺ ويفكر في طريق شاق ملتو ويبدأ بمعادة أهله في عقائدهم . ويسفه جيرانه وقومه في آرائهم ويهزأ بعقليتهم فأول ما يقابل به هذا النوع من التفكير في تلك الظروف هو تلك تهمة التي اتهموه هم أنفسهم بها أنه مجنون . لان هذا يشير إلى الرأي العام عليه وما كان يقول به عاقل حكيم — لو كان عليه السلام مستسلماً لنفسه وحدها من غير قوة عليا تؤيده وتوحي اليه وتدفعه دفعا الى هذا الطريق الشائك المملوء بالخطا طر .

كما أن مكة البعيدة السحيقة لم تكن أصلاً مكان مثل هذه الدعوة لان الشخص العادي الذي ينظر الى اصلاح العالم لا ينتخب أقل البلدان عمراناً لدعوته . وماذا يكون رأي العقلاء لو قام رجل في أقل قرى الصعيد شأنا ليدعو دعوة اصلاح سياسي أو عمراني في مصر كافة . أو في العالم أجمع ؟

ومن المدهش أن الدعوة من أولها انبثت على مبدأ واحد هو الدعوة لله وحده . أليست هذه طريقة ملتوية ؟ وما الذي جعله يتمسك بدعوته هذه بعد أن سعي اليه زعماء العرب وأهله يولونه رياستهم ويعرضون عليه السلطان المطلق في الامر والنهي فإني ولو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في يساره ؟

لقد كان في استغلال شعورهم هذا ملكاً كبيراً ودولة يطرد بها معمار ألم العرب وشقاؤهم . وكانت فرصة ذهبية لجمع القلوب حوله وضرب الرايين واصحاب زؤوس الاموال ومفسدي الاعراض

لنقف قليلاً ولنتدبر . ألم يستغل كل عظماء الرجال مثل هذا الظرف ؟ ألم يخلق نابليون ومحمد علي وكرومول وغيرهم مثل هذا الظرف ؟ وان تاريخ عظماء الرجال يخبرنا أن أول عمل يقومون به هو استغلال عواطف الناس لامداداتهم في عقائدهم وأخلاقهم .



أما ان يبدأ شخص ما بمعاداة الناس وتهديتهم كلهم . وضرب كرامتهم وعزتهم وعقولهم . فضرب من السياسة لم يعرف قبل سيدنا محمد ولم يعرف بعده . وهذا تاريخ سيدنا موسى وسيدنا عيسى أمامنا وإنا نرى ان دعوتهما تخالف هذا كل المخالفة . ولكل نبي ظروف وآية -

والخلاصة :

- ( ١ ) ان نفسية أي رجل عادي عاش في ذلك الزمن ما كانت تتخذ من وسائل الإصلاح مثل هذا الطريق الشاذ
- ( ٢ ) ان أسهل الطرق لاستغلال الشعوب لم يكن قاعدة . بل كانت القاعدة تهدى الناس أجمعين وهذا ضرب من الاعجاز
- ( ٣ ) ان الذين يتعرفون بالالهامات العالية في نفسية سيدنا محمد ﷺ يتربون من الحقيقة لو عرفوا أن هذه الالهامات فوق مستوى البشرية
- ( ٤ ) الذين يحكمون اليوم على السيرة الشريفة بإسبابها ونتائجها لو عاشوا في ذلك الزمن لكان لهم رأي آخر .





## الفصل الخامس

### التوحيد هو روح الحرية

كان بودي أن أجعل مقدمة البحث في التوحيد ملخصاً لنشأة فكرة الأديان في العالم وأن أتناول بالتحليل كل دور من أدوار التفكير الإنساني الأول على ثقافته الضئيلة ليعلن على سر الوجود ويتفهم تلك القوة المسيطرة على العالم فتسير به على هذا النمط المحكم الذي أدهش عقل الإنسان منذ تكوينه إلى الآن.

الا أن هذا البحث يعد من قبيل المعلومات العامة في التاريخ القديم وكثير منها معروف وفيه الدليل على أن فكرة الإنسان في وجود قوة أكبر من قوته تكاد تكون في قدمها وعهدا كهبد الإنسان على ظهر البسيطة وإن العقل أدرك بفطرته أن هذه القوة موجودة ولما أعيتته الحيل في حسمها ولمسها جهد أن يدركها من مظاهرها وأثرها في الحياة فعبد النيل لأنه يقوت الشعب ويعود بالخير والبركات ويعبد النار لأنها مصدر قوة عظمى وبشر بضررها فعبدها خوفاً منها. وعبد الحيوانات المائية كالناسيح لأنه ظن أن الروح القوية أو روح القوة تحل فيها وقدس الأبقار لأن في لبنها قوة له، ثم عبد أشخاص الأبطال في صور من تماثيلهم لأنه رأى فيهم قوة إنسانية فوق قوة الإنسان العادي، ثم فكر في أقوى المؤثرات في العالم فعبد الشمس وحدها.

كان الإنسان في كل هذه الظروف يتلمس إيجاد سر الوجود والعثور على

معرفة الحقيقة لروح الحياة

يقول بعض المشتغلين بالفلسفة الحرة أن الإنسان لم يبحث يفرزته عبثاً عن

مصدر تلك القوة إلا لأنه ضعيف في كثير من أوقات حياته وقليل الحيلة فيما ليس



من قدرته . وقليل الادراك لظواهر الطبيعة التي تبهر نفسه فهو في حال المرض لا يقوى بنفسه على محاربة الداء وفي حال الجذب لا يقدر على انزال الماء من السماء . فلجأ من ضعفه أن يستمد العون من قوة أخرى تحيلها انها أكبر منه سلطانا على الوجود ورمز لها بتماثيل يسجد بين يديها يستمد العون منها ولو تمسنا قليلا مع هذه النظرية والغرض لخرجنا منها بنتيجة لا تقبل الشك وهي اعتراف الانسان اعترافا صريحا بعجزه منذ القدم إلى يومنا هذا في حل سر الوجود بعقله المطلق . وفكره الشخصي مما علت ثقافته . ومهدت أمامه أسباب العلم .

وهذه النتيجة هامة فليتكزها القاريء لانا سنعود إليها فيما بعد . غير اننا نشير الان الى أن اعتراف الانسان صراحة بعجزه وضعفه جعله ينظر الى العالم نظرة فلسفية من غير أن يشعر ، فقد اعتقد أنه لم يوجد . لا يكون ضعيفا ذليلا . فتناهى في طلب الذل والتقصيف والزهد والخنوع ، فاخذ يتلمس طرق ارضاء خياله عن القوة المسيرة للعالم من طريق اذلال النفس وقتلها بانواع شتى من التعذيب ترى صوراً منها في الاديان القديمة التي ما زالت آثارها باقية حتى اليوم كفقراء الهندوس الذين يتعبدون بالجلوس على المسامير أو رفع ايديهم الى أعلى حتى تجف أو تقعد أو غرس شص من الحديد في ظهورهم أو يعلقون على الاشجار . وقد تعالى لانسان في زعمه هذا منذ القدم حتى قدم الدم الانساني قربانا لاستجلاب الرضا .

وقد يقال إن العالم تطور كثيرا ووجد فيه من العلماء والفلاسفة من أرشده الى معرفة شيء عن النفس الانسانية ومع ذلك لا نشك أن فطرة الانسان قد جعلته يفكر في القوة التي أوجدت هذه الكائنات وكانت فكرة الدين جزءاً من عقلية الانسان ، ونرى ذلك متجليا عند استكشاف ( كورتس ) لأمريكا الوسطى





وتوغله في بلاد المكسيك لأول مرة حيث حدثنا عن وجود ديانات فيها لا تختلف كثيراً عن ديانات العالم القديم ووصف لنا المذابح البشرية قربانا للآلهة، ما يدل على ان فكرة الدين واحدة في العالم القديم والجديد متأصلة وجزء من تكوين الانسان، وان كان الطريق للعبادة مرسوما على قدر تفهم الانسان معنى الحياة كما يوحى اليه ضعفه وعجزه والتماس معرفة تلك القوة العظمى التي أوجدته وصيرت العالم بذلك النظام البديع الذي بهر نفسه

واذا تثبت تاريخ هذا التطور وجدت أنه حتى بعد ظهور أديان سماوية استمر تعذيب النفس واحتمال الاذى وكانت منتشرة في أوربا في البلاد التي يفتحها المسلمون حيث يحدثنا التاريخ ان بعض المتقشفين أخذوا يعذبون انفسهم تقرباً لله بأنواع من العذاب كربط الساق حتى يتفتقر ويفسد ويتساقط منه اللود، وكعدم الاستحمام وعدم تغيير الملابس حتى تتساقط من نفسها، وكالجوع باستمرار حتى الاشراف على الموت أو غير ذلك من ضروب الاحتمال للآلام (١)

(١) جاء في صحيفة ٦٠٣ من كتاب ديانا الغريبة — أن المسيحية في القرنين الاولين منها كانت تعد تعذيب الجسم أرقى صفات التقى فالقديس هيلاريون لم يحلق الا مرة في العام في عيد الفصح. ولم يغتسل أبداً حتى صار جسده كالخجر الخفاف ولم يغير ملابسه حتى تتساقط من نفسها

والقديس مكار يوس كان يحمل دائماً ما نين رطلا من الحديد و ينام في مستنقع لكي تلدغه الهوام. والقديس يوزيبس عاش ثلاثين سنة في بئر جافة وكان يحمل مائة وخمسين رطلا من الحديد. إلى غير ذلك من أنواع التعذيب

our wonderful world p. 603

والحكيم العربي يقول: اعمل لدياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، وجاء في الآثار: ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض لنفسك عبادة الله، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى



وفي كل ظرف من هذه الظروف نرى ظاهرة أخرى في تفكير الانسان وهي ان هناك واسطة بين الانسان وتلك القوة القادرة التي نخيّلها فاستغل قديما جماعة الكهنة في مصر ذلك حتى نازعوا الملوك سلطانهم وفي البلاد التي ما زالت في الوحشية الاولى أقامت أمثالهم مقام السحرة أو غير ذلك مما يطول شرحه وفي الهند نوى سلطان كهنة المنبوذين يكاد يشاطر الرجل رزقه وأنهم يعيشون عائلة على الناس من قبيل الاستهواء الديني

\*\*\*

بعد هذه المقدمة الوجيزة لتاريخ فكرة الدين نعتذر عن عدم الاطالة لان هذا الموضوع من المعلومات العامة التي يستطيع الباحث ان يجدها في الكتب المتعلقة بهذا الموضوع ولعله يستطيع اذا اطّلع عليها ان يلم بها إلماما تاما وان يعرف أن التوحيد في الله كان معروفا حتى قبل ظهور الاسلام لان هناك اديانا سماوية سبقته ولكن كبار عقول الفلاسفة حتى بعد ظهور الاديان أخذوا يتلمسون اسبابا منطقية ليقتنعوا انفسهم بوجود خالق

ويطول بنا أيضا شرح هذا . إلا أننا نشير إلى أنهم انقسموا ثلاث فرق

(١) فريق نظر إلى الاديان بفكره القاحص فقط ثم اقتنع

(٢) وفريق فرض الشك وأراد أن يقتنع نفسه من طريق التشكيك في كل

ما أمامه من الاديان

(٣) وفريق ترك كل هذا وأراد أن يبحث عن سر الوجود بنفسه . فاما

الفريق الذي اقتنع بنفسه يبحث الاديان التي أمامه فلا مناقشة لنا معه

وأما الفريق الذي أخذ يتشكك ليقتنع نفسه من طريق الشك فعلى رأسه

[ديكارت] وهذا المذهب أقل حافيه أنه جنى على زعزعة المنطق وأن الرجل

يفرض نفسه مثلاً أعلى في الكمال العقلي فيريد أن يقتنع نفسه بنفسه لا من طريق



تفهم الشيء بذاته بل طريق التشكيك فيه . وهذا لا بد أن تعترض الشخص أمور أكثر تعقيداً من أن يخطئها بنفسه ولنضرب لك مثلاً ديكارت نفسه لا يعرف شيئاً من العربية فلا يمكن أن يعرف إعجاز القرآن . وديكارت لا يعرف شيئاً من علم الفلك فلا يمكنه أن يفسر الآيات التي تعد إعجازاً في علم الفلك . كما توجد آيات أخرى تعد إعجازاً في الطب لا يمكنه فهمها .

ومن عيوب العقل الانساني انه كثير لذهو بنفسه وأن الفيلسوف يظن نفسه بطلاً في كل شيء . مع ان ديناً كالدين الاسلامي تناول كل أنواع التفكير والتشريع وهذا أكثر من ان يحكم عليه انسان واحد .

أما فريق الماديين فليس من موضوعنا مناقشتهم لاننا نرى في القرآن إعجازاً يقنعهم وان الاسلام يتمشى مع العلم جنباً الى جنب وان في آيات « خلق الانسان من علق » و « خلقناكم من طين » و « خلقناكم أطواراً » لادلة اذا تفهمها هؤلاء الزاعمون لخرقوا ساجدين إلا اننا لا نتكلم في هذا البحث الآن . وانما نقتصر على الاعجاز النفسي في الاسلام . على اننا نرى من وجهة أخرى ان الموضوعات العلمية الفنية تتمشى جنباً الى جنب مع الاسلام فأول آية من آيات القرآن الكريم « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم »

فأنت ترى أن أول نداء للاسلام كان على دعائيتين . الله والعلم . وترى كثيراً من آيات القرآن آيات على العلم تفهم دقائق الحياة وعناصرها . وتركت للعقل البشري حريته في البحث والاستقصاء . وتركت للفكر والسمع والبصر والافتدة سبيلاً لمعرفة الله عن طريق العلم : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » ولقد قامت الدعوة الاسلامية على مناقشة الحجج بالحجة والبرهان بالبرهان .



والظاهرة الغريبة جدا أن الاسلام لم يجعل قاصلا بين المرء وربه وجعل الناس كلهم سواسية . ان أكرمكم عند الله اتقاكم . وما محمد لارسول قد خلت بين قبله الرسل وهو انسان كجميع الناس لولا انه نبي كريم وهذا ترى أن التوحيد ضرب الحجر على العقول ضربة قاضية . وضرب استضعاف المرء لنفسه ضربة قاتلة . وساوى بين الناس جميعهم ، كما هدم كل أساس للأفكار الخيالية في التقرب من الله بطريق تعذيب النفس — ان هذا الدين بتين فارغل فيه برفق كما ضرب الوساطة بين العبد وخالقه ضربة لا قيام لها

انظر وتأمل هذا النبي الكريم . على جلاله وعظمته وعلى مكانته عند الله والناس لما رأى رجلا مقبلا يرتعد رهبة قال عليه السلام [ خفض عليك أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة ]

في هذه الحادثة وحدها : وفي هذا الحديث وحده كل معاني الحرية وكل معاني المساواة وكل معاني حكمة الاسلام في الحرية الشخصية

ولنذكر لك أثر التوحيد في تكوين النفس ، وكيف تطور الفكر الانساني بمبدأ التوحيد ، ونبئت عند الناس فكرة الحرية الشخصية والدينية منذ الساعة الاولى التي قرع سمع العالم هذا النداء الاسلامي

لقد كان طبيعيا أن تصادم هذه الدعوة الحرية بكل معانيها بالمعتقدات التقليدية التي سبقت الاسلام . وهي عبارة عن اعتراف الانسان بضعفه اعترافا صريحا — كما تقدم — واققراره بمحدود ضيقة لعقله لفهم تلك القوة الهائلة المسيطرة على العالم وعبادة البطولة والابطال والقوة في رموز من التماثيل يستلهمها وقت الضيق ، ويتقرب منها عند الحاجة ، فقام نزاع شديد بين هذه التقاليد الموروثة في الجمود الفكري

ورأى الناس الدعوة لله والعلم عن طريق الفهم والحجة والبرهان والعقل فنشبت معركة هائلة بين العقل والقوة ، ومظاهر القوة مادية محضة قلباً المكذبون إلى ايذاء النبي وصحبه وانزال العذاب بهم مما يشيب لهوله الولدان ، بالضرب وبالحرق ، وبالكى ، بكل انواع الوحشية





ذلك لأن عقول هؤلاء الناس لم تكن في أدمغتهم ، ولكن في أيديهم وفي أدوات اعتدائهم ، كما رباهم على ذلك هؤلاء الناس الذين استغلوا ضعفهم الفكري ، فاستغلوا عواطفهم لاستدراج الامول منهم .

ولقد صبر محمد ﷺ وأصحابه على الأذى والعذاب ، وهذا الصبر والثبات في موضعهما ضرب من ضروب تطور الفكر الانساني من حال إلى حال ، فالناس قبل الاسلام كانوا يحتملون العذاب تقرباً من الله ، ويحتملون الأذى الفكري من غير فكرة معينة عن الله ولكن أصرار المسلمين على عقيدتهم ، واحتمالهم الآلام في سبيلها ، هو دفاع عن حرية الرأي والعقيدة دفاع عن حرية التفكير ، دفاع عن الحرية بكامل معانيها ، فصاروا يقبلون العذاب في مقاومة العادات والاخلاق الموروثة ، وفي سبيل تحرير الفكر .

وهناك ظاهرة غريبة . أغرب ما يتصوره العقل . فقد مضت ثلاثة أعوام على دعوته ﷺ ولم يتبمه الا ثلاثة عشر شخصاً وهذا يدل على مقدار جمود الفكر في تلك الايام . وإذا قست ذلك بما يحصل في زمننا هذا لوجدت فرقا كبيراً . فان حرية التفكير الآن تجعل كثيراً من الناس يعتنقون المبادئ الحديثة أياً كانت . حتى المبشرين والمستشرقين نجد لهم أتباعاً وأنصاراً على ان الغريب في هذه الظاهرة في ثبات أصحاب النبي على الأذى انه لم يكن يديه شيء ما من حطام الدنيا ولم يكن لديه من المفريات ما يغريهم لهذا الاحتمال . ولو كان رجلاً عظيماً فقط كما يدعي المستشرقون لغير من خطته وحبب دعوته الى الناس بتغيير وجهتها لا قرب طريق الى عقولهم .

ولكن هكذا كان ، فالادان التي سبقت الاسلام كان لها زعماء من رجالها قد استغلوا العقول ، فقتضوا على التفكير قضاء يكاد يكون مبرماً ، ولذلك كانت رسالة محمد ﷺ شاقة في بناء التفكير الانساني من أساسه على مبادئ صحيحة هي توحيد الله ، وأما ما بقي من الدنيا فقد صار مباحاً للعقل والفكر في حدود

المنطق الحكيم



واقدر رأيت فيما قدمنا من أحوال العالم وقت البعثة ان العالم كان في حالة جهود فكري وركود سياسي وأدبي وان المرأة كانت في الدرك الاسفل ، وان الرأسمالية كانت طغت علي العالم وملكت أزمته ، ولم يكن هناك وسيلة لانهاض العالم من عثرته

فلما دوت كلمة التوحيد والعلم والتفكير ، عرف العقل مكانه ومقامه ومركزه في الوجود ، وعرف الناس انهم كلهم سواء لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، وان لا سلطان على العقل ولا رئاسة للعقائد ، وان الثواب والعقاب ليس بيد انسان كائنا من كان والجنة لا تباع ولا توهب ، وان طالب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة « اطلبوا العلم ولو بالصين »

وهكذا تحررت العقول وعرف الناس قدر أنفسهم ، وانه لا فارق بينهم ولا شيء يسيطر على افهامهم ، غير العلم ووحى الضمير عن طريق الفهم والحجة هذه هي المبادئ التي لا توافق الاستعمار ، والتي يعمل المستشرقون منذ القدم على مقاومتها ، وهي التي قال عنها « سيكارد » ان الاسلام في روحه الخاصة يتنافى مع لمحتنا فيجب التقليل منه بين الشعوب الخاضعة لما

هذه هي المبادئ التي جعلت للاسلام أعداء من المسيطرين على البلاد الاسلامية فربوا فريق المستشرقين لكي يناهضوها

وهذه المبادئ هي الحرية والاخاء والمساواة التي تمخضت عنها الثورة الفرنسية بعد عشرات السنين من الهول والمذابح البشرية وبعد اثني عشر قرناً من ظهور الاسلام ، وبعد أن قررها القرآن حقاً من حقوق الانسان ، وجعلها أساس العقيدة ، وفرضها على الناس ديناً وإيمانياً قبل ان تكون مبادئ

تم انظار إلى قرارة الآلام البشرية التي ولدت في الثورة الفرنسية ما سموه حقوق الانسان في الوجود والحرية الشخصية والفكرة



على أن هذه الثورة لم تكن إلا لانزعاج حرية الناس من أبدي العاشين بها .  
 ووازن بين ذلك وبين المبدأ الاسمي الذي وضعه القرآن في الحرية الشخصية  
 والمساواة بين الناس حتى النبي نفسه لم يدع سلطاناً ولا سيطرة وأنه لا ملك  
 لنفسه شيئاً إلا ما شاء الله ( قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله .  
 ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير  
 وبشير لقوم يؤمنون )

أليست هذه هي مبادئ المساواة بأوسع معانيها . خصوصاً إذا أضفنا  
 إلى ذلك آية ( ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول  
 أني ملك )

قلنا ان الانسان الاول اعترف صراحة بضعفه وتمثل القوة العليا في الاشياء  
 البارزة القوة والفائدة كالشمس وفي الابطال فصورهم تماثيل يتذكروهم بها ويتقدم  
 إلى هذه التماثيل بالقرايين والخشوع والاستئلال وكان أول معجبات التوحيد  
 هو هذا أيضاً ليكون الفكر حراً من مؤثرات الاشباح التي تلوح دائماً للعين  
 فتؤثر في العقيدة . وحرية الفكر . ولئن كان في الاديان الاخرى شيء من ذلك  
 فان من قاموا بعداوات التماثيل (١) سمو ابطالاً الاصلاح الفكري الديني وهذا  
 جزء قليل من أجزاء التوحيد وعنصر من عناصره . أفلا ترى بعد ذلك التأثير  
 النفسي للتوحيد وأثره في حرية الفكر والصراحة في تحرير الفكر من كل قيد  
 يؤثر فيه ؟

وهلا ترى معنى ان أثر تكريم بعض الاشخاص باقامة أضرحة وقباب عالية  
 من قبيل الذكرى التاريخية فقط بين المسلمين قد جر السذج والحمل من الناس  
 إلى الاعتقاد بأمور تتناقى وديلتهم ؟



اذن قالتوحيد الصريح أساس المساواة بين الناس . وجعلهم كلهم طبقة واحدة وهذا هو الاخاء الانساني للشعوب جميعها ولم تتمخص الاجيال كلها عنه إلا بعد الحرب العظمى في جمعية الامم وان كانت هذه الفكرة لم تبد صريحة للآن . إلا ان التربية والتهذيب والرقى الفكري سيسجر العالم إلى انباديء الاسلامية على رغم من يتبجحون بانكاره وعلى رغم أنف الجود الفكري الذي طغى على العالم . بتأثير قوم يستفيدون ويستمدون نفوذهم من تقييد العقل وتضليله وعدم تحريره

ويقول بعض المشتغلين بالفلسفة الحرة — لماذا يعتمد الانسان على الدين في فهم الفضيلة والاخاء ؟ ولماذا لا يبلغ ذلك بالتعليم وان يعمل الخير لانه عمل انساني وان يأنف من الشر لانه عمل وحشي ؟

وهذا القول على ظاهره مسحة من العقل ولكن منطقته ناقص وغير سليم ، لان العقول البشرية تتفاوت في تقديرها للخير والشر . وما تراه بعض الامم خيراً يراه غيرها شراً في العادات البسيطة ، وقدر بك ان الامم التي لم تتمدن جعلت الذبائح البشرية قربانا للالهة عملاً خيراً . وقد تدهش اذا علمت ان الرقى والتعليم مهما كان تقدماً لم يغيرا شيئاً من عقائد البوذيين في الهند . وان اكبر الزعماء كغاندى على علمه وفضله بقول ان الزلازل غضبة من الله . ولا مانع من الاعتقاد بذلك ، وان كان لها أسباب طبيعية معروفة ، وقد يكون ذلك من باب موافقة أقدار لاقدار . ولا زالت المرأة التي في حالة النفاس قدرة تعامل بالاهمال في أقدر مكان . ولا زالت القابلة التي تولدها تدخل عليها بأقذر الثياب ولا يزال للكهنة على كل شيء ضريبة حتى أصبح ربع السكان من الكهنة الذين يعيشون على هذه الاموال . وكذلك نرى في حياة المرأة حتى في اليابان أمراً لم تألفه النفوس في جميع أصقاع الارض وهو تقديم صاحب البيت





زوجته هدية لضيقة اذا بات في منزلة (١) . مع ان اليابان من أرق البلاد مدنية وتعلما ، وهذا يدلنا على انه لا يوجد ضابط للتعليم ولا حد للعادات

ومن هذا كل الدين الاسلامي عالميا يضع حدود الغرائز والعادات ويضع قوانين لمعنى الانسانية ومعنى البشرية ، وان العالم الآن مدين بنشاطه الحاضر الى تحرير الفكر الذي أوجده الاسلام ولو كره المبطلون

وهنا قد يعترضنا انسان فيقول لنا ان تحرير الفكر كل جزء من الفلسفة اليونانية ومن ضمن تعاليم سقراط وفلاطون وارسطو . ثم يكرر لنا الاقوال التي نقرأها دائما في الكتب الغربية من ان العالم مدين بحرية الفكر لليونان .

وان فضل العرب لم يكن الا نقل الثقافة اليونانية وتسليمها الى أوروبا الحديثة وان العرب أنفسهم مدينون للفلسفة اليونانية ونحن ندلم ذلك حق العلم وليكننا نقول ان حرية التفكير شيء ومبادئ العلوم الطبيعية والمنطقية شيء آخر ، وان دساتير اليونان القديمة ومناقشاتهم الجدلية كانت ضربة من التجارب الاولى كان بعضها ناجحا وكثير منها كان خطأ صريحا كما ترى في علوم العناصر المكونة للعالم ، والامزجة البشرية ، فالفلسفة اليونانية هي مبادئ العلوم ، ولكن حرية الفكر وتحديد الايمان على وجهة واحدة ، وجعل العلم مرتباً بالايمان ، وان لا حرج على العقل أن ينشط من عقاله ، وان تكون هناك شريعة بالقدر الذي يكفل الفضيلة ويحجوا الضعف ويساوي بين الناس في حقوقهم المدنية والدينية — فهذه أمور لم تكن معروفة من قبل في أي شريعة أو دين .

أضف الى ذلك ان الفلسفة اليونانية قد خدمتها أوروبا ، وخدمها العرب

(١) وأبطلت هذه العادة حديثا من كثرة نقد الاوروبيين «جولة في ربوع



قبلهم خدمة جليلة فباحثها مستفيضة ولها المكتب الكثيرة المؤلفة بروح الانصاف والتضخم والتكبير والشرح والتفسير فكانت هذه دعاية لتلك الفلسفة قد غطت على سمعة فلسفة أجل منها وسأعطيك مثالا ترى منه أثر هذه الدعاية فأنت تعلم أن الاسلام وان كان ديننا تاما إلا انه في الحقيقة تشريع يعامل الفرائز الطبيعية ونزعات النفس في حدود العقل والحكمة وترى أن مدارس الحقوق في العالم الغربي تدرس القوانين الرومانية ونظام التشريع الدستوري في اليونان والبرلمان دزسا مستفيضا ، وأما التشريع الاسلامي على ما فيه من جلال فليس موضوع دراسة علمية فنية ولا يعرفه أحد من المتشرعين الاجانب . أفلا ترى معي الآن أن الدعاية للقانون الروماني والدستور اليوناني أكبر من قيمتهما باقاياس على القانون الاسلامي المدني والجناحي ودستور الشورى والحكومة الديمقراطية ؟

أليس هذا من قبيل تمصّب أوروبا لاصلها اللاتيني حتى في الدراسات الخرة ؟ وقل لي كم متشرع في مقارنة القوانين يعرف ما في الاسلام من قانون مدني وجعله موضوع بحث في رسالة خاصة

انست ترى معي أن دراسة حرية الفكر الاسلامية على مبادئ التوحيد موضوع جدير بالنظر والبحث المستفيض ؟ ألم يكن للتوحيد ذلك الفضل العظيم في جمع القلوب فكون وحدة بشرية بين الممالك المختلفة التي دخلها العرب ولا زالت هذه الوحدة باقية الى اليوم على غم تلك الخلاوت التي يوقد لظاها المستشرقون والمبشرون وخلق مسائل الاقليات الدينية ؟ ولم يكن الفضل في كل ذلك الا لفكرة التوحيد التي متى اقتبستها الافهام واستوعبتها الافئدة كانت كلها في اتجاه واحد نحو الوحدة الانسانية والنهضة العقلية التي لا تفهم رجمية

ان المستشرقين والمستعمرين يفهمون ذلك حق الفهم ولذلك هم يعملون

على مقاومة الاسلام

وانتحدث لك الآن عن طرق تضليلهم



## الفصل السادس

### أثر التوحيد الاجتهادي

لم يكن الفضل في مبادئ الاسلام للشخص من . قد علمت أن محمداً عليه السلام كان يضع نفسه موضع الانسان ، لا موضع صاحب السلطان ، وكان هو وحده المثل الكامل في البذل ، وفي العدل ، فلم يستغل يوماً مركزه ودعوته العظمى لنفسه ولا شيء من حطام الدنيا بل كانت دعوته خالصة لله ، ولتحرير الفكر ، فلم يأخذ نصيباً من غنيمة يزيد على نصيب سواه ، ولم يدع لنفسه شيئاً خارقاً ، ولم يقل ان صلته بالله تعالى تزيد على صلاة العبد — وكلنا عبيد الله — ولم يفضل الناس الا بأنه رسول الله ، وهذه منزلة اختاره لها الله سبحانه وتعالى وكان أصحابه عليه السلام ينظرون اليه هذه النظرة أيضاً ولذلك قال أبو بكر حين توفي عليه السلام ودعش الناس للخبر : ( من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت )

وفي حياته عليه السلام لم يكن مستبداً برأيه في أمور الدنيا بل كانت أمور المسلمين شورى . وكان أصحابه يختلفون معه في رأي ، والتاريخ يدلنا على أن سيدنا عمر اختلف في الرأي مع سيدنا محمد ﷺ في نحو عشر مسائل وعزز الوحي رأي عمر دون رأي رسول الله ، أشهرها : مسائل قتل أسرى بدر ، ومسألة الحجاب ، ومسألة الخمر ، ومسألة الاستغفار للمنافقين ، الى غير ذلك

هذه الحقيقة ترشدنا الى مغزى كبير ، وغاية كبرى من مغازي التوحيد والنظر الى ان الاسلام لا يجعل سلطاناً على النفوس والعقول والافهام الا الله



وحده . وما دون ذلك فالجميع سواء وآراء الناس كلهم قابلة للشورى والفحص ولو كان الرأي لرسول الله نفسه

وليس بعد ذلك وضوح لتقديس حرية الفكر ، التي هي دعامة من الدعائم لاصلية في الإنسان وهذا هو . أظهر معنى من معاني الاسلام

ولكن جماعة المستشرقين يعمدون الى القاموس ويتفهمون منها معنى كلمة الاسلام . ويقولون عنه ما قال مرجوليت ان معناه ( الدل والخضوع ) ومع ذلك لا يقولون انه استسلام لله ، بل يقولون انه — الخضوع فقط —

ولقد رأيت في فصل التوحيد ان المعنى الذي تعبر عنه كلمة الاسلام هو معنى تصديق به صفحات الكتب الضخمة ، وان له معنى روحيا واجتماعيا كما سبق ذلك .

ولذلك كان أول اثر من آثار توحيد الله وترك المعتقدات القديمة هذا التوحيد بين القلوب في قبائل العرب ، وهذا التوحيد في الاخاء بين الشعوب المتفرقة ، وهذه النهضة الكبرى التي جمعت الامم كلها تحت طابع واحد حين افتتح العرب الاقطار وورثوا ملك الفرس والرومان وانك اذا تصفحت التاريخ اعلمت ان الامم الفاتحة الغازية لا تخرج عن واحدة من ثلاث

١ — أمة تتخذ الحرب صناعة وحرفة وموردا للرزق كالأتراك الاقدمين

في فتوحاتهم فلا يعمرون ما يفتحون

٢ — أمة تجارية كالفينيقيين وانجلترا تغزو الممالك لفتح اسواق لتجارتها

٣ — أمة تطلب السعة من الارض لضيق اهلها بها فتغزو البلاد طلبا

لنفق جديد يعيش اهلها فيه

وهناك من الامم من يفتتح الممالك خبايا في الفتح ، كالاسكندر و نابليون





وأمثالهما وهؤلاء تموت فتوحاتهم بموتهم

ولم يحدثنا التاريخ ان أمة من الأمم فتحت الممالك لاجل بث فكرة أو نشر مبدأ غير العرب بعد الاسلام ، فالعرب قاموا بفتوحاتهم لنشر المبدأ والفكرة وتعميم الوحدة البشرية

يتجلى لك ذلك من كتب رسول الله ﷺ للملوك والامم كاسرة ، ولم يكن في هذه الدعوة غير نشر فكرة التوحيد ولم يكن عايه السلام من زخرف الدنيا بحيث يحاكي من كاتبهم في الارستقراطية والمظامة ولكنه كان يدعوهم دعوة ديمقراطية متواضعة

يقول مرجوايث — ان الاسلام هو الدين الحربي ، مشيراً بذلك الى الغزوات والى مبدأ القتال في الفتح الاسلامي والى تخيير الامم غير الاسلامية بين القتال والجزية

ولست المسألة في غموض يدعو الى كل هذا الغمز واللمز فجزية شي نوع من الزكاة على غير المسلم (١) ، والاسلام دين فيه كل معاني الديمقراطية الاشتراكية والحرب وسيلة

ليس من ينكر ان للجهل عقوبة ، وليس من ينكر ان الجود الفكري والاستسلام للتقاليد نوع من الرجعية العالمية وليس لمستشرق ان يلوم الاسلام على هذا وليس له ان يضع رأيه في كفة ميزان ورأي عقلاء العالم أجمع في الكفة الاخرى .

فها نحن أولاء قد عرفنا أن دعوة الاسلام لله ، وللعلم وليس في هذه الدعوة غار على الانسانية

(١) لاجل حمايته ومعاملته بما يعامل به المسلمون ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم فان عجز المسلمون عن حماية الذمي لم يكن لهم الحق في اخذ الجزية



وقد رأيت أن الزكاة فرض على كل مسلم . فكيف يعيش غير المسلم في هذا الوسط من غير زكاة .

وليس بيت مال المسلمين بمقصود على معاونة المسلم فحسب ، بل وغير المسلم بلا قيد ولا شرط

وليس أدل على تفسير هذا المعنى من مبادئ الاسلام التي شرحها النبي ﷺ والخلفاء الراشدون بعده ، وقد رأينا من أعمالهم المساواة المطلقة بين المسلم وغير المسلم ، وفي قصاص سيدنا عمر من ابنه لاجل حق امرأة مسيحية قبطية ألف دليل ودليل

وفي قوله رضي الله عنه « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » كل مبادئ الاسلام من الحرية والاخاء والمساواة

وفي وصايا سيدنا علي للاشتر النخعي الذي ولاه على مصر ما يزيد الشرح ويجلي البيان ، ولقد قال له :

« ... اعلم يا مالك أي وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول من قبلك من عدل وجور وإن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم ... ولا تكونن عنهم سبعا ضاريا تغتسم أكلهم فانهم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق . إلى قوله : ثم الله الله في الطبقة السفلى ، من الذين لا حيلة لهم . والمساكين وأهل البؤس والزمي فإن في هذه الطبقة قانما ومعترا واحفظ لله ما استحوطتكم من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل بلد فإن للأقصى منهم مثل ما للادنى - وكل قد استرغيت حقه ، فلا يشغلنك عنهم بطر ، فإنك لا تعذر بتضييعك النافعة لأحكامك بالنظر في الكثير المهم . »



ومن هذا ترى ان الجزية والخراج هما تنظيم الاحسان، يلا فرق بين  
الاديان، لانهم متساوون في نظر الاسلام من جهة الخلق وليس جعل الاحسان  
قانونا يعار على الانسانية. وقد رأينا ان استجداء الغماير للاحسن اخفق ولم يثمر  
في كثير من البلاد المتقدمة. والارتكان على العاطفة الانسانية وحدها لم يكف  
منذ هجر الناس مبادئ الاسلام الى اليوم.

ولعمري انك لو اتخذت رسالة سيدنا علي هذه على حقيقتها لوجدتها  
تفسيرا واضحا للسياسة الاسلامية ويكفي قوله لعامله « ان الناس إما أخ له في  
الدين أو نظير له في الخلق » أن يعرف الناس جميعا أن الاسلام لا يفرق بين  
الاديان في المعاملة والاخص في الاحسان والحق في بيت مال المسلمين.

والتفسير النفسي لكل ذلك هو أن الاسلام يعامل الفرائض البشرية بميزان  
العقل والحكمة وتتشريع الاوروبي، يعامل الناس بالتجارب والاختبار، ولم يهتد  
إلى الآن الى أن الاسلام مبني على معرفة أدق بعلم النفس قاله الذي خلق النفوس  
حدد عقوباتها وحدد معرفتها. ذا علمت ذلك فلا اعتراض. ومن يقل ان هذا  
ليس من عند الله فليأت ببرهانه المنطقي الذي لا شعوضة فيه ويكفي ان مبدأ  
يحريم الربا أخذ الآن يتطور في أوروبا الحديثة الى شكل الافلاس في الدفع  
بتغيير أسعار العملة وتخفيض قيمتها فلا يدفع الدين لدائمه شيئا ويكفي ان ألمانيا  
قلات من سعر عملتها الى الصفر لتجمع ذهب العالم ثم ألغت هذه العملة.

... وليس من المجهول أن عقوبة الجود لازمة.

فالتعليم الاجباري في كل بلاد أوروبا له قوانين تحمي وعقوبة الحبس توقع  
على من لا يعلم أولاده. وعقوبة السجن ان يزور في ابراده حتى لا يدفع ضريبة  
الدخل. وضرائب الدخل والربح أصبحت مبدأ أوروبا بعد ان قررها الاسلام  
بشكل أدق منذ أربعة عشر قرنا. في ركن من أركان الاسلام وهو الزكاة.



فهذه المبادئ التي تتقدم اليها أوروبا نتيجة الاختبار والتجارب هي المقررة في الشريعة الإسلامية . فطالب العلم فريضة على كل مؤمن ومؤمنة والنظام الاجتماعي في الشورى والسياسة العامة في الأمن والعلاقات الشخصية كلها من مبادئ القرآن .

والمثل أبلم رد على تعامل أوروبا بالربا وهي المعاملة التي حاربها الإسلام وحكم عليها بالموت هي تلك الظاهرة الغربية التي تبدو في أوروبا اليوم من قيام حتمات اشتراكية محضنة تحرم الرأسمالية وجمع الثروة في أيدي فئة خاصة وهو من تحريم الربا . لعدم استثمار فئة من الناس بالسلطة المالية والاستبداد بالعالم . فهناك . لما وقعت أوروبا في الازمة المالية التي تنبأ بها الإسلام من التعامل بالربا . لجأت أوروبا وأمريكا الى طرق الحيلة بفصل العملة عن الذهب فبسطت النقود وأخذت تراوغ في دفع القوائد بعد أن نقصت رأس المال فخلصا من ذلك الكابوس الاقتصادي .

أفليست بهذه الطريقة تنلس طريقها في الظلام لمهتدي الى طريق الخلاص وشعاع واحد من أشعة الاسلام يحلو عن العالم ذلك الظلام الدامس . وهو عدم التعامل بالربا . ثم أنظر الى الخراب الذي حل بمن استدانوا من المصارف المالية وبيعت أطيانهم بأبخس الاثمان . وثما في ذلك من العبر

ان العالم يسير اليوم على نظام اقتصادي أصبح ثابتا وليس من السهل زعزعته بين يوم وليلة . ولكنه على أي حال نتيجة اعتماد الناس على تفكيرهم . وايمانهم أيضا يلجئون الى التخلص منه من طريق التجارب وهم يقتربون نحو الحقيقة بخطوات وثيدة .





## الفصل السابع

تعليقات المستشرقين على التوحيد . وحياة محمد

لقد رأيت في الفصول السابقة أثر التوحيد في تحرير الفكر ، ومنع الوساطة بين الله وبين الانسان وان من مبادئ الاسلام ان يشعر الانسان بكفايته وقدرته العقلية على الفهم ، والمساواة بين الناس أجمعين ، وتحميد الملائكة بين الناس ، واجب صاحب السلطان نحو رعيته ، وواجب الرعية نحو الراعي ، كما يتجلى في كتاب سيدنا علي كرم الله وجهه « وقد تقدمت نبذة منه »

هذه المبادئ لا ترضي المستشرقين ، وليس من صالح الأمم الغربية أن يعرفها أهلها حتى لا يندفعوا أيضا إلى تلك المبادئ . ومن هنا كان عمل المستشرقين مزدوجا به تشويه الاسلام ، وتغيير أوروبا وحمايتها منه

ولذلك رأينا من فلاسفة أوروبا آراء أقل ما نقول فيها إنها عريضة في قالب مزخرف وجعل في ثوب منمق

فانظر إلى رينان في كتابه عن ابن رشد ومذهبه اذ يقول : ( ان خواص النفس السامية ( أي التي منها العرب ) تتجلى في انسياق فطرتها إلى التوحيد من جهة الدين وإلى البساطة في اللغة والصناعة والفن والمدنية ، أما النفس الآرية ( التي منها أوروبا ) فيميزها ميل فطري إلى التعدد وانسجام التأليف )

وكثير من المستشرقين على هذا النمط المضحك من الاستنتاج ويريدون بذلك أن يقولوا إن دين العرب على قدر عقولهم

وليس أدل على عدم المنطق واغفال الحقائق في هذا القول من أن العرب قبل الاسلام كانوا مشركين غاية في الشرك فكيف اتفق ذلك مع ميولهم ولماذا



فأمروا الدعوة الإسلامية في مبدئها وكيف وصنفوا في القرآن بقوله تعالى أو ما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون )  
وكل من شرك الجاهلية أن تلبيتهم في حجهم كانت الشرك المجسم فكانت  
قبيلة نزار تقول :

ليك لا شريك لك      إلا شريكاً هو لك

تملكه وما ملك

( راجع كتاب الاصنام )

ثم ارجع معنا إلى الفصل السابق من التوحيد وتدبر معنا سر الوحدة  
العربية وإن الإسلام طبع الأمم التي انتشر فيها بالطابع العربي وإن لم يكونوا  
من المسلمين وليس أدل على العدل المطلق من أن يتكافأ الشخصان على تباين  
دينهما أمام الإسلام في القضاء . وأن لا يكون المسلم ميزة على غيره كما سبق .  
هذه المسألة وهي التوحيد في المعاملة والتوحيد في النظر إلى الأجناس  
المتخلفة في ظل الإسلام لا ترضي جماعة المستشرقين لأنهم طلائع التفريق وتشيت  
الوحدات العربية والبلاد الإسلامية

فابتغوا علومهم في البحث والتنقيب واختراع النظريات الملفقة والدعاوى  
المشعومة فهاجموا أسماء قواد المسلمين وعظماء الفاتحين وأخذوا ينسبونهم إلى غير  
العرب وغير الإسلام

وبذلك أصبحنا نقرأ من نقشت أقلام المستشرقين مباحث علمية عويصة  
أقرأ وأعجب - أن أهالي مرا كش من البربر ما عرفوا الإسلام وما آمنوا به  
في يوم من الأيام وأنهم ولا زالوا غير مسلمين وإن العرب الذين فتحوا الأندلس  
وغزوا فرنسا وإيطاليا كانوا مسيحيين ولبن طارق بن زياد القائد العظيم والذي  
رفع منار الإسلام في الأندلس لم يكن عربياً ولا مسلماً ولكنه كان بربرياً مسيحياً -



وقد استعار جيرو هذه النظرية للاصلاح القانوني في مراکش ( راجع تقرير لجنة العمل المغربي المقدم للمؤتمر الاسلامي ببيت المقدس صفحة ٤ )

وليس من فرضنا أن نتكلم في موضوع السياسة والاستعمار ولكن هذه النظريات ليس الغرض منها سوى تشتيت الامم وتمزيقها وخلق عصبية متعددة فيها مما أصبح مألوفا لدى كل من له أقل المام أو اطلاع على تاريخ الاستعمار وطرق استثمار الخلافات في الجنس والدين

أما وحدة اللغة العربية فقد عمل المستشرقون كل ما يمكن عمله لتشويهها وإظهارها في مظهر أضعف لغات العالم . وإن اللغات واللهجات العامية خير منها استعمالا .

وصار يمدحها المستشرق برينو اللغة اللاتينية للعربي ، ويقول عنها في مقدمة كتابه الذي يدرسه الطلبة الفرنسيون باللغة العربية

« أتريد يا صاح أن تتعلم الكلام مع الاهالي الذين حولك ... »

الى أن يقول لا تظن « انني سأعلمك لغة القرآن فهذه اللغة قد ماتت ولا يتكلم بها أحد فهي لاتينية العربي . وهي اللغة المستعملة في جنة محمد وسأحب اليك دراستها في المستقبل اذا أردت أن تتذوق حلاوة الاجتماع بالخور العين » وبهذه الطريقة أصبح المستشرقون يناصبون اللغة العربية الفصحى العداوة فيتشككون في النثر الجاهلي والشعر الجاهلي ويلقون الشك في كل شيء يتصل باللغة العربية ولهم في ذلك مباحث أقرب للتبرير منها الى العلم الصحيح ولم يربيه في ذلك آراء منقوضة وأفكار مردودة ( راجع كتاب النثر الفنى )

بقيت مسألة القرآن الكريم الذي هو الدعامة الثابتة التي أعجز العالم عن التحرش بها . والصخرة العظيمة التي اذا أراد أكبر مستشرق أن ينطعمها تكسرت جهنمه قبل أن يصل الى حرمها ، ولذلك رأينا آراءهم في ذلك تهريجا وشموذة



هاك المستشرق مرجوليوت أستاذ اللغة القزبية بجامعة اكسفورد لم يترك  
قبضة في العالم الا نسبها لسيدنا محمد ولم يترك فخشا من القول إلا نسبته للقرآن  
واليك أمثلة من ذلك

قال في صحيفة ٢٣٦٤ من تاريخ العالم العام ما يأتي :

« وان كان محمد لم يترك تاريخا مفصلا لحياته إلا أن في القرآن كل عواطفه  
وإحساسه . والقرآن كسجل تاريخي ليس مرتبا حسب الحوادث والتاريخ ثم يقول  
« وربما كان الكثير منه مما لم يتذكره الرواة تماما عند روايته وقد يكون  
بعضه دخيلا في عصر متأخر وبعضه مسلم به أنه في عصر الرسول ولو أنه نسب  
إليه خطأ »

ثم يستفرغ مرجوليوت من فئة كل انواع المطاعن فيقول من المشكوك فيه  
اننا لا نعلم اسم والد النبي لان لفظة عبد الله معناها في العهد الاخير الشخص  
المجهول وربما كان لها هذا المعنى عند إطلاقها على والد النبي وقصة يتمه التي  
وردت في القرآن لا يلزم أن نأخذ بها على معناها الادبي .

والعلاقة المفروضة بين أمه وبين أهل يثرب مسألة مشكوك فيها كالفصل التي  
يجعلها الاسكندر الأكبر فارسيا أو مصريا بالنسبة لوالده

إلى هذا الحد بلغ ذوقه وأدب المستشرقين عند كلامهم عن رسول الله ﷺ  
وأن الحياء ليمعني أن أذكر المعنى العادي الذي قصده مرجوليوت من قوله (ابن  
عبد الله) نسبه إلى الاب المجهول ومع ذلك يجب بعض الناس بالمستشرقين  
وهم لا يعرفون من أمرهم شيئا

وانتقدنا طريقة مرجوليوت هذا في هذا النوع من التأريخ العلمي من غير  
سند أو دليل والقائه الكلام على عواهنه من غير إثبات فهذا — الخواجه — قال  
إن القرآن ملفق . وقال إن سيدنا محمداً — على أبسط تعبير — لا يعرف له أب  
أو أم





ونشرنا هذا الرد في مجلة المعرفة فترسل مرجوليث خطاباً يتعلق فيه على ما قلنا هذا نصه (١)

أما ما كتب الدكتور حسين المرأوي في ذم المستشرقين فلو كان ما أودع عقله من الشخصيات تلقى بالآداب لم يكن ما يمنع من الخوض في الموضوع والتمييز بين الخطأ والصواب . أما المسائل التي ذكرها فليست أرى فائدة في مداخلتها ، لأنها أقرب إلي منابر الخطباء منها إلى مجالس الأدباء

د . س . مرجوليث

ورداً على ذلك نقول إننا تنازلنا من آراء مرجوليث مسألتين مما كتبه في تاريخ العالم العام في الفصل التاسع والثمانين

الاولى أنه ذكر عن سيدنا محمد أنه مجهول الأب والام  
والثانية قوله إن إعجاز أسلوب القرآن يفسر إما بأنه لا يمكن تقليده ، أو  
الاخبار بأمور يمكن التحقق منها — ولم يكن للنبي وسيلة لمعرفة ما وأنها تعلم من  
القرآن أن كلا من هذين الادعائين — عندما أذيع — لم يسلم من النقد فلامر  
الاول أن الذوق الكتابي يختلف كباقي الاذواق وعن الامر الثاني لو أنه وجدت  
وسيلة للتحقق من صدق النبي فهذا يفهم منه أنه أمكنه بنفس هذه الوسيلة معرفة  
الامر الذي ذكره

وكذلك قال مرجوليث ، إن محمداً اعترف في مبدأ رسالته بمعرفة القراءة  
والكتابة :

ولتقش مرجوليث الحساب في هذه المسائل التي يرى أن ردنا عليها فيما  
مضى أقرب إلى منابر الخطباء منه إلى مجالس الأدباء



أي عبارة أخرى ليس له علاقة بالادب العربي ولا يعلم من العلوم فاما عن والد سيدنا محمد فتحن تنكر على أدب أستاذ في جامعة اكسفورد ان يوجه مثل هذا الظمن في نبي يدين بدينه ملايين المسلمين . وان يتفوه بنهمة تترفع ابسط قواعد الآداب الاجتماعية العامة عن ان توجهها لاقل الناس مركزا . وثانيا - ان مرجوليث لا يعرف شيئا عن الادب ولا الادب العربي . والا لعلم ان العرب كان فيهم نسابون ولو انه تكلم أولا عنهم — وعن مصادر الشك في أقوالهم وتنسيبهم — لكان لنا ان تناقشه بالأدلة العلمية أما وهو لم يذكر شيئا من هذا فدل على انه لا يعرفه — وثالثا — لان جد محمد عليه السلام وعمه هما الاذان كفلاء صغيرا ولو كان مجهول الاب ما عرف له عم ولا جد وهذا يدل على ان مرجوليث لا يعرف شيئا من تاريخ سيدنا محمد عليه السلام — ورابعا — ان عصبية محمد عليه السلام حتمه في مبدأ رسالته ولو كان مجهول الاب ما كانت له عصبية فاذا كان مرجوليث لا يصدق شيئا من ذلك ولا بد ان يكون قرأه . فليقل لنا هو كيف يريد ان نصدق كلامه . وكيف امكن وجود أشخاص تربطهم بالنبي الكريم صلوات العصبية حتى بعد الاسلام . اذا كنا تنكر كل ذلك لان مرجوليث قالها إذن فعلى العقول السلام .

ثم فليفسر لنا مرجوليث كيف مكنته نفسه وكيف مكنته ضميره ان يقول هذا . وعلى أي المراجع الوثوق بها عول في بحثه فهو أما لا يعرف شيئا مطلقا وأما يريد التشهير والتشنيع ! وهذا مالا يشرف الباحثين .

ثم فليجيبنا: أليست الانساب والنسابون جزءا من صميم التاريخ والادب العربي أم هي خروب من خطب المنابر ؟!

واذا كانت خروبا من خطب المنابر فكيف حفظ التاريخ انساب قوم لم يكن لهم مرتبة عليه السلام من الوجبة الاجتماعية والاثرا الخالد وكيف امكن معرفة نسب والدته وزوجه بخديجه ؟ ثم كيف امكن تنسيب شعراء مشهورين مثل امرئ القيس وغيره . ؟



أما القول في مسألة إعجاز أسلوب القرآن بأنها مسألة ذوق فاني أرى ان مرجوليث - كما يستبدل من أسلوب خطايه - ذو أسلوب ملتور كيك يجمه آخر شخص يؤخذ برأيه في مسألة الذوق الكتابي بعد ان تحدى القرآن نفسه الناس كلهم بل الانس والجن مجتمعين ان يأتوا بسورة من مثله فما استطاعوا . فلم يبق في نظر صاحبنا مرجوليث الا نقد الاسلوب بميزان الاذواق التي تختلف دقة ورقة

ونحن معه على ان يكون الشرط الاساسي ان تكون هذه الاذواق سليمة تفهم روح العربية . والمستشرقون هم ابعد الناس عن تفهم تلك الروح ولهذا فانهم ينشرون مؤلفاتهم باللغات الاجنبية . وان كانت بعض مقدمات الكتب التي طبعوها قد كتبت باللغة العربية إلا ان الحكم على أساليبهم قد لا يرضيهم من الادب الكتابي الفني

واذا كان مرجوليث حصر إعجاز القرآن في الأسلوب والاخبار بالغيب فقد فاتته ان ضروب الإعجاز في القرآن كثيرة ومنوعة . وليس من موضوعنا شرحها .

على اننا نسأل أستاذ الادب الاكبر ! ما قوله دام فضله في انواع الإعجاز العلى التي اثبت العلم الحديث مدى صدقها ونذكر منها على سبيل المثال ( وجعلنا الرياح لواقح ) و ( خلق الانسان من علق )

أي دور الحيوانات المنوية - و ( وقد خلقكم اطوارا ) وهي تتمشى مع

العلم جنباً الى جنب ؟

فهل كشف العلم عن اعجز هذه الآيات إلا حديثاً ؟ وهل كان الميكروسكوب « المجهز » وعلم تكوين الاجنة معروفا من قبل عند نزول

القرآن الكريم ؟

ولا يفوتنا ان نتكلم عن النقد فالتقد هو اسهل شيء في العالم . وبانه اوسع



الابواب — فقد ينتقد شخص ما الخلقة البشرية بأن عيني الانسان في وجهه وليس له مثلها في قفاه لينظر من خلف كما ينظر من الامام ??

وقد ينتقد البهلوان طريقة السير على الاقدام ويستحسن ان يمشي الانسان على يديه رافعا قدميه في الهواء . كل هذه أنواع من النقد قد يراها أهلها صحيحة ولكن الذوق السليم والعقل السليم بصفة خاصة يأيانها على ناقد .

وهذا هو النقد الذي يوجه الى تجاهل نسب النبي العظيم واسلوب القرآن لا يقصد به إلا مجرد تشهير وتشنيع

وكيف يفسر قوله تعالى ( اقرأ وربك الاكرم ) بانها اعتراف من النبي الكريم بمعرفة القراءة وهل هذا يدل على انه يفهم روح القرآن ؟

وقد اطليل البحث اذا استقصيت آراء مرجوليث في مصادر القرآن التي يقول بها ويقول بها معه المستشرقون الذين ينخون نحوه فقد ادعوا ان النبي عليه السلام قد درس كل الفلسفة اليونانية ثم حفظ التاريخ الفارسي ثم عرف كل الاديان الهندية القديمة كما اطلع على كل حكم الصين واخرج من كل هؤلاء كتابا سماه القرآن .

ومعنى ذلك ان الدراسات التي استنفدت القرون الاولى حتى القرن العشرين وتخصص لها العلماء الذين عكفوا على دراسة لغاتها المتعددة والجولان بين آثارها البالية كل هذا قد تعلمه محمد عليه السلام في سياحته للشام

فاذا رجعت الى التاريخ وجدت ان هذه السياحة لم تكن إلا ثلاثة أشهر كما تقدم

فهل في هذا منطق يناقش ؟ وهل هذا اسلوب المناير أم في صميم الادب العربي والتاريخ ؟

ولما نشرت المراجعة هذه المقالة للرد على مرجوليث قطع اشتراكه من المجلة ولم يعد يرسل صاحبها وكان هذا هو الجواب . فتأمل !!





## الفصل الثامن

حكاية فنسك والمجمع اللغوي الملكي

سنوك هرجورونييه (١) هو رئيس أكاديمية هولندا ومكث سبعة عشر عاماً في  
جاوه مستشاراً للحكومة في الشؤون الإسلامية: وقيل لنا أنه 'تقن العربية وأدعى  
لإسلام وسافر إلى مكة ومكث فيها خمسة أشهر. وكان يأتم به المسلمون في صلاتهم.  
وفنسك تلميذه وساعده الأيمن الآن في هولندا. وفنسك رئيس  
تحرير دائرة المعارف الإسلامية التي ملؤها الطعن الجارح في الإسلام والحشو  
بأقذر المثالب. يحرقها جماعة المستشرقين ومنهم مبشرون وقس وخصوصاً  
الاب لامانس. وتصور قسيساً مبشراً يكتب عن حياة سيدنا محمد أو عن القرآن  
أو التاريخ الإسلامي. وأي روح نعلي عليه وأي مبلغ من المال يأخذ أجراً؟  
ونحن نعرف الشيء الكثير عن المبشرين وطرفهم وأساليبهم وطالما تمنيت  
هذا اليوم الذي أقابل فيه سنوك هذا وفنسك لأقول لهم رأيي فيهم في صراحة  
وجرأة وليس الإسلام بخاف عن أحد. وليس القرآن بغريب في العالم وليس  
العقول التي تفهم بمعدومة.

إن عصابة فنسك في تحرير دائرة المعارف الإسلامية تكتب على أسلوب  
القرون المتوسطة. وتفرض على الناس فرضاً أن تعلمهم كل شيء ضد الإسلام.  
وأن تشعروا في التاريخ وتخترع أساليب التهريج كما شرحناه لك في الفصول المتقدمة  
من هذا الكتاب

واسم فنسك دائماً يتردد على ألساني وأعتقد أن هذا الرجل قضى الشطر  
الأكبر من عمره يعمل على السخرية من الإسلام. ولم يفتضح عمله أنسان ولم

(١) ولد في ٨ فبراير سنة ١٨٥٧ وتوفي في ٤ يوليو سنة ١٩٣٦



ينتقد سنوك هرجرونيه . واطائفة المستشرقين تلاميذ تعلموا في أوروبا وسرقوا  
مطاعنهم في الاسلام وروجوها باللغة العربية في أبواب مباحث علمية فكان مقتي  
لهذه الفئة أشد من مقتي للخواجة فنسك .

وصدر المرسوم الملكي ووجدت فيه اسم فنسك، فنشرت في اهرام ١١ من  
اكتوبر سنة ١٩٣٣ المقال الآتي :

لما اشتدت وطأة المبشرين في الاغواء ، والتضليل ، وغزو دقل المسلمين  
بمختلف الطرق عكفنا على دراسة شيء غير قليل من طرقهم ومؤلفاتهم وخرجنا  
بنتيجة رسخت في عقيدتنا رسوخاً قوياً . هي ان المستشرقين هم طلائع المبشرين  
وانهم هم الذين يهدون السبيل لتشكيك المسلمين في عقائدهم ، وانهم هم الذين يهدون  
للمبشرين سبيل الطعن في الاسلام وفي نبيه الكريم وانهم هم الذين يزودونهم  
بانواع شتى من الشعوذة العلمية باسم الاستنتاج التحليلي ، والنقد الفني وحرية  
الفكر ، والمباحث العلمية الحرة

وخرجنا من كل مباحثة هذه الى ان المستشرقين يعتمدون عند البحث في  
كل ما يختص بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ان يلغموا استنتاجاتهم العلمية  
بآرائهم الشخصية على ما فيها من خطأ وما فيها من غرض بما تمليه عليهم روح  
الاستعمار ومقاومة الاسلام في شخصية سيدنا محمد ﷺ أو في القرآن نفسه

وقد قسمنا المستشرقين ثلاث فرق ، قسم يختص بمباحث القرآن ، وقسم  
يختص بمباحث سيدنا محمد ، وقسم يختص بالتاريخ العربي الاسلامي

على ان من واجبتنا ان ندرس كل مستشرق من جميع نواحيه وندرس كل  
مؤلفاته خصوصا اذا كان ممن يبحثون في القرآن أو حياة سيدنا محمد لان  
الخطأ اللفظي في كلمة عربية قد يجر الى البحث في العقائد الاسلامية وقد يكون  
له أثر شديد في الاسلام نفسه .



ولقد فكرنا هذا التفكير عندما أردنا أن نباحث أحد المستشرقين أو أشباه المستشرقين ورأياء يقلب قواعد اللغة العربية رأسا على عقب لكي يدخل شكا في الاسلام واليك مثلا من ذلك

كان أحدهم يدعي أن الاسماء لا بد أن يكون لها معنى . فقلنا له أن الاسم ما دل على معنى وليس من الضروري أن يكون له معنى يشتق منه . أو أصل معروف ، والمسألة بسيطة . هكذا تعلمنا في المدارس الابتدائية وهكذا تراها في القاموس فأصر على رأيه . ولكنه أعطانا مثلا غريبا هو أصل كلمة (حراء) وهو سم الغار الذي تعبك فيه سيدنا محمد ﷺ فقلنا لم يرد في اللغة العربية ما يجعلني أعرف مصدره أو معناه فقال ان (حراء أصلها (هيرا) وهولا تينى ومعناه المقدس قلت انني أعرف ما تريد أن تستنتج . ان هيرا وهو الجبل المقدس هو اسم أطلقه الرومان على هذا الجبل الذي تمبدوا فيه فأنت تجمله في مكان (جبل الاولينبيا) في اليونان ، ويتأتى من هذا الاستنتاج أن محمداً عليه السلام اتبع الأديان الاخرى فاعطى الدليل المساوي على استنتاجك لانك تتكلم بلسان محرره عواطف ضد الاسلام . فسكت

والحق أن عقلية هؤلاء المستشرقين وأشباههم مدهشة فأى لفظة عربية لها مشابه في اللغات الاخرى قالوا ان العربية استعارتها واذن فما قولهم في لفظة

« نبل ونبل » التي توجد في كثير من اللغات والعربية أيضا بنفس المعنى نقول هذا مقدمة للبحث الذي سنكتبه عن فذسك وهو الاسم الذي ورد في ضمن أعضاء المجمع اللغوي . وسناقش رأيه الحساب لان استنتاجاته ستؤخذ علينا وقد أصبح عضوا رسميا علينا أن نحترم رأيه

قالت دائرة المعارف الاسلامية تحت لفظة ابراهيم :  
كان اسبرنجر أول من لاحظ أن شخصية ابراهيم كما وردت في القرآن



مرت بعده أطوار قبل أن تصبح في نهاية الامر مؤسسة الكعبة  
وجاء سنوك هرجروثيه بعد ذلك بزمن فتوسع في بسط هذه الدعوى فقال  
ان ابراهيم في أقدم ما نزل من الوحي ( في الذاريات آية ٢٤ وما بعدها ،  
الحجر آية ٥ وما بعدها ، الصافات آية ٨١ وما بعدها ، الانعام آية ٧٤ وما  
بعدها ، هود آية ٧٢ وما بعدها ، مريم آية ٤٢ وما بعدها ، الانبياء آية ٥٢ وما  
بعدها ، العنكبوت آية ١٥ وما بعدها ) هو رسول من الله أنذر قومه كما تنذر  
الرسل ولم تذكر لاسماعيل صلة به : والى جانب هذا يشار الى ان الله لم يرسل  
من قبل الى العرب نذيرا (السجدة آية ٢ ، سبا آية ٤٣ ، يس آية ٥ ) ولم  
يذكر قط أن ابراهيم هو واضع البيت ولا انه أول المسلمين

أما السور المدنية فالامر فيها على غير ذلك . فابراهيم يدعى حنيفا مسلما .  
وهو واضع ملة ابراهيم رفع مع اسماعيل قواعد البيت المحرم . البقرة آية ١١٨  
وما بعدها ، آل عمران آية ٦٠ الخ )

وسر هذا الاختلاف أن محمداً كان قد اعتمد على اليهود في مكة فما لبثوا  
ان اتخذوا حياه خطة عداة فلم يكن بد من أن يلتبس غيرهم ناصرا . هناك هدام  
ذكاء مسدد الى شأن جديد لابي العرب ابراهيم ، وبذلك استطاع أن يخلص  
من يهودية عصره ليتصل بيهودية ابراهيم ، تلك اليهودية التي كانت ممهدة  
للإسلام ، ولما أخذت مكة تشغل جل تفكير الرسول أصبح ابراهيم أيضا  
المشيد لبيت هذه المدينة المقدس «

والذي يكون خالي الذهن عن المستشرقين واعمالهم يظن لأول  
وهلة أن هذا بحث جليل مستفيض استقصى اصحابه سبر نمجرو سنوك وفنسنك  
كل آيات القرآن واستخرجوا منها مواضع الضعف ، ويخيل الى الناظر في هذا  
الموضوع ان الاسلام قد زعزعت اركانها وانهم اكتشفوا اكتشافا من





الخطورة، كان حين يدعون أن محمدا عليه السلام أراد استغلال اليهود ثم اخفق  
ثم هداه ذكاؤه المسبب لسان جديد لأبي العرب

أما اليهود فقد سبق أن شرحنا مركزهم في الكلام عن الوسط والبيئة التي  
سبقت الاسلام، وأما هذه القائمة الكبيرة من الآيات التي تتخذ الناظر اليها فهي  
في نظرنا دليل على الضعف المطلق وهم بهذا أشبه بما يفعل الممثلون، إذا وجدوا  
الرواية ضعيفة جعلوا المناظر أخاذاً، وأكثر من أشخاص الرواية ودفعوا  
بين الجماهير قوماً مأجورين للتصفيق

كل هذا فكّرنا فيه قبل أن نتقدم لنقد هذا البحث لأننا نعرف طريقة  
المستشرقين الملتوية وشعوذتهم العلمية

وما علينا إلا أن نراجع السور المكية جميعها والسور المدنية جميعها ونوازن  
بينها لنعرف إذا كانت السور المدنية هي وحدها التي انفردت بذكر نسب سيدنا  
محمد إلى سيدنا إبراهيم بآبي البيت العتيق أولاً؟ وفيما إذا كانت الحقائق التاريخية  
التي في متناول يدنا تتفق مع استنباط فنسك أم لا. وما غرضه في التعريض  
بسيدنا محمد إلى هذه الدرجة؟؟

علينا إذن أن نراجع كل ذلك لنتمشى معه في بحثه فإن كان ما قاله حقيقياً  
كان لنا أن نبحث في استنباطه أيضاً وعن السبب في عدم ذكر تلك الصلة في  
السور المكية إذاً ربما كانت من المعترف بها ولا توجد مناسبة لتوكيدها في  
القرآن. أما إذا كان ما نقل من الآيات خطأ كان الرجل قد عثر من أول الطريق  
فلنتركه في تلك الحفرة التي وقع فيها ولننظر إليه كيف يجاهد في الخروج منها  
ونحن لا نخامرنا شك في أن هذا الدين متين وإن فنسك وسيرنجروسنوك

أقل علما بفهم روح القرآن فضلاً عن نقده

إذن فلنسر في البحث على بركة الله



قال فنسبك : - انه لم تذكر في السور المسكية صلة اسيدنا اسماعيل بسيدنا ابراهيم . فهل هذا حقيقى ؟ وذكر لنا سورة الانعام بالنص فهل هذا حقيقى ؟ لقد ذكر الآية الرابعة والسبعين بالنص أيضا فانظر الى الآية الخمسة والثمانين حيث ذكر اسماعيل صراحة « واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين » نعم ان أسماء الانبياء وردت جملة ولكن لكل واحد منهم نسبة المعروفة . والمسألة الجديرة بالنظر هي لماذا حذف نفسك رقم هذه الآية من تلك القائمة الطويلة التي استقصاها مع انها في نفس السورة التي ذكرها ؟ الجواب سهل وهو انها تهدم نظريته من أساسها . ولان هذه الآية نسبت هؤلاء الانبياء الى ابراهيم ثم الى نوح

ثم انظر الى سورة ابراهيم وهي مكية الا آيتي ٢٨ و ٢٩ وانظر الى الآية ٣٤ وما بعدها حيث يقول ابراهيم :

« ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم - الى قوله تعالى - الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل »

اذن فقد ورد في السور المسكية اني اعتمد عليها فنسبك أن اسماعيل هو ابن ابراهيم وان ابراهيم دعا ربه عند بيت الله المحرم وقد ذكر هذا البيت في السور المسكية التي أنكر وجودها فنسبك

نحن لا ندهش من اكتشاف الحقيقة فما كنا نشك فيها ولكننا ندهش أن قوما ينتسبون للعالم ويخدعون الناس جهلا أو تجاهلا

المسألة الثانية:

هل ورد في الآيات التي ذكرها فنسبك أن الاسلام دين قديم يمت الى ملة ابراهيم ؟ واذا كانت هذه الحقيقة قد وردت فلماذا لم يذكرها فنسبك ؟

ارجع الى نفس السور التي ذكرها فنسبك ففي الذاريات في الآية ٢٣ وما بعدها تجد حديث ضيف ابراهيم المكرمين يدشرونه بابنه ويقصون عليه قصة



ملوط ومدينته وفي الآية ٣٤ يقول « فآخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين »

اذن ففي هذه الآية اعتراف صريح أن الاسلام دين قديم . هو ملة ابراهيم حيث يتحدث ضيفه عن بيت المسلمين :

اذن فدعوى قنسنك كلها خطأ . واستنتاجه كله خطأ

المسألة الثالثة :

يقول قنسنك أن آيات السجدة وسبأ ويسن تشير الى أن الله لم يرسل من قبل للعرب نذيراً ولم يذكر قط أن ابراهيم هو واضع البيت ولا انه أول المسلمين :

يريد قنسنك أن يقول بعبارة أخرى أن التاريخ المأخوذ من الاناجيل هو الحقيقة . وان ابراهيم لم يذهب الى مكة . وان هذه الدعوى لم تذكر في القرآن الا بعد الهجرة الى المدينة

وسياق هذه السورة من الآية ٣٤ وما بعدها :

« واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الاصنام ، رب انهم اضلّان كثيرًا من الناس فمن تبعني فإنه مني . ومن عصاني فانك غفور رحيم ، ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم . وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »

هذا يدل دلالة واضحة على أن ابراهيم كان أول من أسس هذا المكان المنعزل السحيق في واد غير ذي زرع لا تهوي اليه أفئدة الناس . ولا رزق فيه فدعواه : فاستجاب له

على انه يؤخذ من ذلك أيضا أن هذا كان أول عهد هذا المكان بالانبياء



وبتأسيس البيت ولم يذهب ابراهيم ليقيم ديناً جديداً بين الناس في بلاد أهل  
وهذا يستقيم مع معنى آية ٤٣ من سبأ في قوله تعالى « وما آتيناهم من كتب  
يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير »

يكفي أن نذكر لفنسنت أنه لم يذكر الحقائق ولم يستقص مبحثه . وأنه  
يستنبط قبل أن يبحث

أما الغرض من ذلك . فواضح لان الاستشراق منهة ضد الشرق .  
وضد الاسلام



## تاريخ هذا العدد

وضع تاريخ العدد الثالث نفسه على هذا العدد وصحة التاريخ أنه : ٩ صفر  
سنة ١٣٥٥ — ٣٠ ابريل سنة ١٩٣٦



## فرصة لمشتركي المنار

رأينا ان ننخفض لمشتركي المنار قيمة الاشتراك اذا سددوا اشتراك المجلد  
الخامس والثلاثين وذلك لنهاية رجب القادم فجعلناه خمسين قرشا للمشتركين في  
خارج القطر المصري وثلاثين للمشتركين في مصر فعلي الذين يحبون المنار ان  
يعملوا بالسداد انتهازا للفرصة ومساعدة لنا اذا أرادوا حياة المنار ولهم الشكر سلفا





## الفصل التاسع

### حكاية فنسنت «١»

( المقال الثاني )

إذا قلبت أي كتاب اجتماعي أو عمراني باللغات الغربية يتكلم عن مصر أو الشرق أو الاسلام وجدت أشياء كثيرة لا يقرها عقل ولا يستسيغها منطق وليست من الحقيقة في شيء.

ويوجه نظرك بصفة خاصة ما يوصف به الاسلام من الصفات التي لا تنبو عن قواعد الذوق السليم والحقيقة فحسب . بل ان الكتاب الاوروبيين يصورون الاسلام بصورة بشعة قبيحة لا تكاد تقرأها حتى يقشع بدئك من هول ما تقرأ

فاذا كنت شرقيا صميما أولت ما يكتب في تلك الكتب الاجتماعية بانه جهل من المؤلفين بأحوال الشرق وعاداته . واذا كنت مسلما أسفت كثيرا أن يوصف الاسلام بصورة بشعة بعيدة عن الواقع وأسفت على أن الاوروبيين لا يعرفون شيئا عن حقيقة الشرق بصفة عامة وعن الاسلام بصفة خاصة فليس حقيقا ما ذكره مارشال في كتابه « الزواج » أن الام في مصر لا يباح لها أن ترى وجه ابنتها بعد سن الرابعة عشرة من أثر الحجاب في الاسلام

وليس صحيحا ما جاء في هذا الكتاب أيضا من أن الفتاة الريفية المصرية يباح لها أن تعري جسمها كله أمام الرجال أما وجهها فلا يراه انسان . . .

١٠، ملخص مقال ٣٠ أكتوبر في الاهرام وأول يناير سنة ١٩٣٤

في الهلال



وليس صحيحاً ما وصف به الحجاب وما ذكره عن تمدد الزوجات . كما جاء في كتاب « نسبت عن الزواج والوراثة »

وليس صحيحاً أن سيدنا محمداً كان رجلاً شهوانياً محضاً يشبع شهوات الشيخوخة بزواجه بالشابات « كما جاء في هذا الكتاب »

فأول ما نلاحظه في تلك الآراء أنها مجرد تشنيع خال من الحق ومن العدل ويتجلى فيها سوء النية تجلياً لا يقبل تأويلاً أو تعليلاً . ولا يمكن الدفاع عنه

ومن محاسن الكتب الأفرنجية أنها تكتب المصادر التي اعتمدت عليها في إبداء رأيها وتشير إلى المراجع التي استقت منها تلك المعلومات . وكنت أتبع تلك المراجع فأجد ما راجعاً إلى بيئة واحدة هي جماعة المستشرقين

وفي الأدب الأفرنجي الحي كتب قيمة جداً تبحث في التاريخ العام والخاص وتاريخ الأمم والنهضات العلمية . وهذه الكتب محترمة عند الأوروبيين فكنت أطالع فأجد فرقاً كبيراً فيما تكتب من التاريخ القديم أو الحديث بلباقه ودقة علمية كوصف مصر القديمة وآثارها وسوريا وتاريخها . بل رأيت في تلك الكتب تاريخ بلدان ورسوم أما كن لا تستطيع أن تعرف موقعها على الخريطة ما لم ترجع إلى معجمات مطولة ، وبين ما تكتب عن الإسلام وفيه

فاذا تكلمت عن الإسلام والمسلمين أو عن حياة سيدنا محمد أجد تحريفاً ظاهراً وكذباً واضعاً . وتهريجاً قبيحاً

وانظر إلى مرجوليوت حيث يقول : ربما كانت الطبيعة الجغرافية أو المناخ الإقليمي هو السبب في تأخر المسلمين ولكن نظرية وجود رجل واحد « أي سيدنا محمد » يكون هو وحده الرسول بين الله والناس ويكون هو وحده آخر طريق هذه النظرية هي ثاني سبب لتأخر المسلمين »

فرجوليوت لا يقول هذا لاتهاض المسلمين ولكنه يقول هذا تشنيعاً وهو



الذي لم يترك نقيصة إلا ألصقها بالاسلام من غير سبب وها هو ذا كما ترى  
يتخيل نفسه على الاقل موزونا أو معقولا فيتكلم عن الاسلام . ولكي تفهم  
مقدار تحصيل مرجوليث هذا للغة العربية تأتي لك بالمثل الآتي الذي ساقه  
صديقنا الدكتور زكي مبارك

فقد تعرض مرجوليث لشرح هذه الايات

يقول لي الواشون : كيف تحبها؟ فقلت لهم: بين المقصر والغالي  
ولولا حذارى منهم لضدقتهم وقلت هوى لم يهوه قط أمثالي  
وكم من شفيق قال مالك واجما فقلت: اني مالي وتسالي مالي  
والشطرة الاخيرة من هذه الايات فيها خطأ كتابي فقط وصحته ( فقلت  
ترى ما بي ونسأل عن حالي ) ولكن مرجوليث العالم الضليع الذي ينتقد القرآن  
وأسلوبه ويتعرض للنبي ﷺ ويحقق تاريخ آبائه فيقول : انه ابن عبد الله يعني  
لرجل المجهول هذا العالم العلامة والخبر الفهامة يقول إن الشطر الاخير صحته:  
( فقلت أنا مالي وان تسالي مالي )

وليس هذا التصحيح هو المضحك وحده وان كان اشنع من الغلط الاول  
ولكن المضحك حقاً أن يكون المصحح أستاذ لغة عربية ويتعرض لاسلوب  
القرآن أو يدعي تقديمه !!

ولسنا في مقام الرد على أسباب وعوامل تأخر الامم الإسلامية فلاذني  
المستشرقين أنفسهم الأسباب

\*\*\*

والظاهر أن المستشرقين بجمعية دولية حتى إذا ألف مستشرق كتاباً أو  
كتيباً ظهر في ثلاث لغات حية دفعة واحدة في فرنسا وانجلترا وألمانيا مع أن طبع  
هذه الكتب قد يستنفد كل ثروة المستشرق في الطبع والمدهش الملك تزي في



مقدمة كل كتاب مستشرق قائمة بأسماء الذين عاونوه وساعدوه في البلدان الاخرى .  
وانى لا علم أن المستشرقين تنقصهم في مباحثهم عن الاسلام الروح العلمية .  
وان لهم في الاستقصاء طريقة لا تشرف العلم . وهي أنهم يفرضون فرضاً ثم  
يتلمسون الدلائل عليه فاذا وجدوا في القرآن ما يهدم نظريتهم تجاهلوه والتمسوا  
الآيات التي تتناسب والمعنى المراد ولا مانع من بترها اذا اقتضى الحال أو تحريف  
معناها حسب الرغبة فيخرج القاريء من كلامهم وهو يتهم الاسلام بالتلفيق  
كما يقولون كما سبق شرحه في كلام مرجوليث .

بمثل تلك النواحي التي أسلفناها أصبحنا لا نقرأ المستشرق شيئاً إلا ونحن  
نحرص على تفكيرنا وان نعلم بتصرف الغرض الذي يرمي اليه قبل أن نشق بما  
يكتب وأن نقتني أثره فيما يبحث وفي مستنداته لانه دائماً يتر الحقائق فيقول  
ان القرآن فيه آية ( لا تقربوا الصلاة )

وسنعطيك مثلاً آخر فيما قال فذسك تحت كلمة كعبة في دائرة المعارف  
الاسلامية صفحة ٥٨٧ النسخة الانجليزية .

« نحن لا نعلم شيئاً عن شعور محمد الشخصي في شبابه نحو الكعبة أو العبادات  
المسكية ولكن المفروض انه لم يشذ عن الجماعة

» وان ما ذكر في سيرته عن هذه المسألة مدة وجوده في مكة لا يوثق من

جهة القيمة التاريخية .

« وان الآيات المسكية لم تخبرنا شيئاً عن هذه العلاقات في تلك المرحلة الهامة  
من حياة النبي . على انه لم يظهر حماسه في حادثة نحو الحرم المكي . وفي المرحلة  
الاولى بعد الهجرة كان محمد في شغل بمسألة أخرى مختلفة عن هذه جد  
الاختلاف . ولكن أخفقت العلاقات الطيبة المنتظرة مع اليهودية واليهود . وهناك  
حصل تغيير حيث أنه — بعد مضي عام ونصف عام على الهجرة ذكرت الكعبة





## وذكر الحج في الوحي

« وأول مظهر من مظاهر التغيير كان وجهة القبلة . فلا يتجه المؤمنون في صلاتهم إلى القدس بل إلى الكعبة — ( قد نرى تقاب وجهك في السماء — الآيات ) ومن الوجهة الامرية فان هذا التغيير في القبلة برر بانه استئناف ملة ابراهيم — وهي — أي ملة ابراهيم — اخترعت خصيصا لهذا الظرف ! السورة ١٢٩ — آية — ٣ — ١٩ — كما بين سنوك هرجرونيه

« وقيل ان ملة ابراهيم هذه كان اليهود قد أخفوها ثم أظهرها محمد ومن ثم ادخلت فيها عبادات مكة »

وبعد . فقد انتهت الفقرة التي نقلها من دائرة المعارف الاسلامية بقلم فنسنت ، فلنتعرف أغراضها ومراميها وحققتها

وأول ما يعترضنا عند النظر الى هذه الفقرة أن فنسنت رجل مقلد في السب والشتم والهجاء وان تقليده أعمى يقوده عكاز ضعيف من الاطلاع السطحي والظاهر انه في هذه المسألة يتبع آراء سنوك هرجرونيه ويتلمس أدلة جديدة ليضيفها الى أدلة أستاذه السخيفة

والدهش أن هؤلاء المستشرقين يختلفون في كل شيء الا في هجاء محمد عليه الصلاة والسلام

فهذا فنسنت يقول دانه لا يعرف شيئا من شعور محمد عليه الصلاة والسلام نحو الكعبة في شبابه وبعد رسالته إلا بعد الهجرة بعام ونصف عام وان ما لديه من تاريخ حياته عليه الصلاة والسلام لا يصح أن يؤخذ أساسا تاريخيا

وزميل له في الاستشراق هو اميل درمنجنام يزعم أن محمدا كان يتعبد

على عبادي اليهودية أو النصرانية

ومرجوليث يقول ما قاله مالك في الخبر

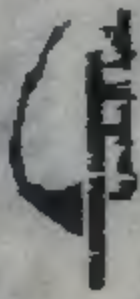












Bibliotheca Alexandrina



0531227